الرسالة إلى أهل رومية

الفصل الأول

المختصرات والكلمات الأساسية

أبيض

أهــلاً

أهلاً إلى دراسة الرسالة إلى أهل رومية. وسفر رومية كتبت عنه كتب وتفاسير أكثر من أى سفر آخر من أسفار الكتاب المقدس. وفى هذه الكلمات نجد اتفاقاً عاماً بأنه فى رسالة رومية، تصل الأسفار المقدسة إلى أقصى عُلولها.

إلقاء نظرة

يناقش الرسول بولس فى الرسالة إلى أهل رومية محبة الله التى تنازلت فى المسيح لتبرير الإنسان. وإذ يفعل الرسول بولس هذا يقترب إلى فهم قلب الله أكثر مما فعل من قبل. والأرجح ما لن يفعله مرة أخرى.

الحياة الفائضة والأبدية، نراها فى الرسالة إلى أهل رومية، وهذه الحياة تتحقق نتيجة للإيمان، وليس نتيجة عمل أو جهد. فالسلام الداخلى مع الله، وهو السلام الحقيقى المضمون ليس بعمل الإنسان غير الكامل، بل بعمل المسيح الكامل على صليب الجلجثة. والتأكيد المبارك أنك أنت وأنا قد وجدناه أو نستطيع أن نجده فى المسيح، ولايمكن لأى ظروف أن تزعزعه. ففى الرسالة إلى رومية نبدو أكثر من غالبين، فتقول لنا الرسالة أنه يمكننا أن نحيا الحياة التى يقصد الله لنا أن نحياها – ولهذا السبب، فإن النتيجة الوحيدة، والتجاوب الذى يلزم أن نقوم به، هو ليكن لله كل المجد.

تعريف العبارات الأساسية

يتناول هذا الفصل بعض الأمور التمهيدية، ومع أنه ليس فى المختصر الذى سيتبع فى هذه الدراسة، فمن الأفضل لنا أن ندرس كلمات قليلة مستخدمة فى الرسالة إلى رومية.

١ - البر

إحدى الكلمات التى تناقشها الرسالة إلى رومية هى البر. وهناك وجوه عديدة للبر نراها فى الرسالة إلى رومية يلزمنا دراستها.

أولا: البر يحتاج إليه كل البشر لأن كل البشر خطاة (رومية ١ – ٣ :٢٠).

ثانيا : هذا البر قد أعده لنا الله المحب (رومية ٣ : ٢١ – ٢٦). فنحن لا نحصل على هذا البر عن طريق سعينا بل بالحرى نحصل عليه من فضل الله.

أبيض

مخالفة للناموس: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب : ملعون كل ما لايثبت فى جميع ماهو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به» فالإنسان ملعون إذا لم يحفظ كل ما هو مكتوب فى كتاب الناموس. فالناموس نظام يستوجب الحفظ، ويدين كل من يكسره، لأول مرة.

ويقرر الرسول بولس فى رومية ١٠ : ٥ أن الناموس يعد فقط بالحياة على أساس حفظ وصاياه. وفى غلاطية ٣ : ١٣ يكتب الرسول بولس : «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب : «ملعون كل من علق على خشبة». ويقرر الرسول بولس فى غلاطية ٣ : ١٤ أن المسيح افتدانا لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح». ويقول فى غلاطية ٣ : ١٣ ، ١٤ ، رومية ١٠ ، نفس الشئ الذى يقوله الرسول بولس فى غلاطية ٣ : ١٠ . وعلى هذا، فالناموس يتطلب الطاعة الكاملة، ويعاقب فوراً أى عصيان له.

ويكرر الرسول بولس فى غلاطية ٢ : ١٥ ، ١٦ نفس العبارة ثلاث مرات ليؤكد أنه لأن الناموس يدين عند أول عصيان، فلن يستطيع أحد أن يتبرر بحفظ الناموس. فيكتب الرسول بولس : «نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة. إذ نعلم أن الإنسان لايتبرر» (أول استخدام للعبارة) بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح. آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر (ثانى استخدام) بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لايتبرر جسد ما» (ثالثا استخدام) . وهذا بالضبط مايقوله الرسول بولس فى الإصحاح الثالث من الرسالة إلى رومية كما سنرى فى دراستنا للرسالة إلى رومية.

يكتب الرسول بولس فى رومية ٣ : ١٩ ، ٢٠ أنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لايتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطية. ويقول فى رومية ٣ : ٢٣ : «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله». وأعوزهم فى زمن الفعل التام (فى اللغة اليونانية) وتعنى حرفيا أن الجميع «يقفون مقصرين». فلماذا يقف الجميع مقصرين؟ لأن الجميع أخطأوا. لقد كسروا الناموس. فخطية واحدة فقط تجعل الإنسان يقف مقصراً بالنسبة لمجد الله.

ولذلك أينما تستخدم كلمة «ناموس» فيجب محاولة استخدامها بالطريقة التى استخدمها بها الرسول بولس كنظام شرعى حيث أن كسرها مرة واحدة يدين العاثر.

٣ - الناموسية (التقيد الحرفى بالناموس أو القانون)

لا توجد هذه الكلمة فى الكتاب المقدس، ولكنها تأتى من مفهوم الناموس. والكلمة التى تستخدم بدلا منها فى العهد الجديد هى «متهود».

ثالثا: البر يحصل عليه الناس الذين يؤمنون (رومية ٣ : ٢٧ – ٤ : ٢٥). والمطلب الوحيد للحصول على البر هو الإيمان. فالإنسان يمد يده بإيمان لينال عطية الله.

رابعا: البر مركز اختباره هو النفس، أو بعبارة أخرى الإنسان الباطن. فلا يُختبر فى جهود الإنسان بل فى الإنسان الحقيقى الذى يسكن فى الداخل (رومية ٥ : ١ – ٨ : ١٧).

خامسا: هذا البر مضمون بقصد الله الأزلى (رو ٨ : ١٨ – ٣٩). وهذا البر ليس وقتيا أو جاء عفو اللحظة، ولكنه مضمون لأن الله قصده قبل الأزمنة الأزلية.

سادساً: هذا البر رفضته الأمة اليهودية (رومية ٩ – ١١)، رفضوه لأنهم أرادوا براً يمكن أن يكتسبوه بالأعمال. أرادوا أن يشعروا بأنهم أسهموا فيه، اشتروه واكتسبوه.

وأخيراً، سابعاً : هذا البر يظهر من خلال الحياة البارة. فبالحياة التى نحياها نثبت أن الله كان باراً فى فعل ما فعل . هذا البر هو المطلوب المُعدّ، والذى نحصل عليه ونختبره، وهو المضمون، لقد رُفض وقد ظهر.

وهناك بعض كلمات وعبارات أخرى فى دراسة رسالة رومية التى قد تكون هناك بعض الصعوبة فى فهمها، وفى هذه الدراسة نريد أن نستطيع أن نفهم جيداً هذه الكلمات حتى نعرف كيف استخدمها الرسول بولس وهكذا نعرف نحن أيضاً كيف نستخدمها.

٢ - الناموس

كيف يستخدم الرسول بولس كلمة «ناموس» ؟ فى اللغة الأصلية (اليونانية) قد تأتى أداة التعريف «أل» قبل كلمة ناموس، وفى هذه الحالة، تكون الإشارة دائماً تقريباً إلى ناموس موسى. أما إذا لم توجد أداة التعريف، فيكون المقصود هو الناموس عامة.

تعريف كلمة ناموس هو : نظام شرعى من قواعد تفرض الطاعة أو حفظها، حيث أن كسرها ولو مرة واحدة يعرض للإدانة، ومن السهل رؤية هذا فى نظام ناموس (أو قانون) بشرى. فخذ هذا المثال : إن الحد الأقصى للسرعة هو ٣٠ ميلاً فى الساعة أو ٤٠ كيلو مترا فى الساعة، فإذا تجاوزت هذا الحد من السرعة، وضبطنى أحد رجال القانون وأعطانى دعوة للمثول أمام القضاء، فأنا الآن كاسر للقانون، وعلىّ أن أظهر أمام القاضى فى المحكمة. فإذا أعلن أننى كسرت القانون، فعلىّ أن أدفع العقوبة التى يقررها القانون.

ونفس المبدأ ينطبق على القانون الروحى. ففى غلاطية ٣ : ١٠ يقتبس الرسول بولس من التثنية ٢٧ : ٢٦. وهنا نرى أن ناموس الله كان يستلزم الحفظ المطلق، وأصدر لعنة على أول

بالزوفا فأطهر، وفى ٥١ : ٨ قال داود : «اسمعنى سروراً وفرحاً».. وقال فى ٥١ : ٩ «استر وجهك عن خطاياى وإمح كل آثامى». وفى ٥١ : ١٠ : «قلباً نقياً إخلق فىّ يا الله ورحاً مستقيما جدد فى داخلى». وفى ٥١ : ١١ «لاتطرحنى من قدام وجهك..» وفى ٥١ : ١٢ «رد لى بهجة خلاصك».. وقال فى ٥١ : ١٥: «إفتح شفتى فيخبر فمى بتسبيحك» وفى ٥١ : ١٦ يعترف داود بأن الله لايسر بذبائح.

فلو كان الله يسر بهذه الأشياء لكان داود قد قدمها له. والجواب على ما يطلبه الله نجده فى الآية ١٧. فالله يريد حقا روحا منكسرة وقلباً منكسراً ومنسحقاً.

وفى ٥١ : ١٨ قال داود إن الجواب موجود فى أعمال الله. فيقول داود لله إنه سيحسن إلى صهيون وأنه سيبنى أسوار أورشليم. فإذا سمح الله بحدوث هذه الأشياء، حينئذ سيقدم الناس لله ذبائح، محرقات كاملة، ويصعدون على مذبحك عجولاً. فداود يقول أن الذبائح تأتى بعد غفران الله. وجوهرياً يقول داود إنه يستطيع أن يرى أن كل أعماله وذبائحه لا ترضى الله. الشئ الوحيد الذى يرضى الله هو الروح المنكسرة والقلب المنسحق.

مثال من إرميا ٧

نقرأ فى إرميا ٧ : ٢١ – ٢٤ :

«هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً. لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة. بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلا اسمعوا صوتى فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لى شعبا، وسيروا فى كل الطريق الذى أوصيكم به ليُحسن إليكم. فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه».

ما الذى كان يطلبه الله منهم ؟ ما الذى كان يأمر به الله هنا ؟ حتى مع كل الشرائع وتقديم الذبائح الحيوانية، ما الذى كان يريده الله حقيقة؟ إن الله يريد السمع والطاعة. فلو أن هذا حدث، لكان كل شئ حسناً مع الله.

مثال من عاموس ٥

وفى عاموس ٥ نرى أن الله لم يكن يطلب حقيقة ذبائح الشعب. بل ما كان يريده حقا منهم إنما هو برّهم، فنقرأ فى عاموس ٥ : ٢١ – ٢٣ :

وتعريف «الناموسية» هو أنها «مجموعة من الأفعال والشعائر كوسيلة للتبرير»، وبعبارة أخرى ليست الناموسية مجرد محاولة أن تكون على صواب، إنها الإيمان بأنه لأننى على صواب، فأنا مبرر. وبسبب ما أفعله فأنا مبرر أمام الله. وعلى أية حال ففى كل الكتاب المقدس، لم يعلن الله مطلقا أن هذه هى الطريقة التى يتبرر بها الشخص.

إرجع إلى أنبياء العهد القديم وبخاصة سفر ميخا. ففى ميخا ٦ : ٦ نقرأ «بما أتقدم إلى الرب، وأنحنى لإله العلى؟» والناموسى لايقف عند هذا السؤال، ولكن ثمة أسئلة أخرى: «بم أتقدم إلى الرب وأنحنى لإله العلى؟ هل أتقدم بمحرقات، بعجول أبناء سنة؟ هل يُسر الرب بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت ؟ هل أُعطى بكرى عن معصيتى، ثمرة جسدى عن خطية نفسى؟»

نرى فى هذه الأسئلة أن الناس لم يظنوا أن الله يمكن أن يُسر بتقدمات صغيرة.

على أية حال يقول الله فى ميخا ٦ : ٨أ ما الذى يطلبه : «قد أخبرك أيها الإنسان ماهو صالح. وماذا يطلبه منك الرب؟» وهذا سؤال عظيم، وإذا استطعت الإجابة على هذا السؤال، فإننا نصبح على الطريق لفهم الله. فما الذى يطلبه منك الله؟ ثلاثة أشياء: «أن تصنع الحق.. وتحب الرحمة... وتسلك متواضعاً مع إلهك» (ميخا ٦ : ٨ب) فبالنسبة لنفسى علىّ أن أعيش حسب كلمة الله. وبالنسبة للآخرين ، علىّ أن أعيش حسب الرحمة. وبالنسبة لله، علىّ أن أسلك متواضعاً. هذا كل ما يطلبه الله. لايطلب الله وفرة الذبائح . كل ما يريده للإنسان أن يحيا بالبر، يعمل برحمة، ويسلك باتضاع.

مثال داود

في مزمور ٥١ وُوجه داود بخطيته، الخطية التى وبخه ناثان النبى عليها بالنسبة لأفعاله مع بثشبع وأوريا. فقد كانت الخطية مزدوجة: فقد إرتكب داود الزنا مع بثشبع، ثم قتل أوريا. ولعل داود ظن أن أفعاله لم تكن معروفة لأحد سوى نفسه. ولكن الله قد رأى أفعال داود الشريرة. وعندما ووجه داود بخطاياه. صرخ مرة ومرات من أجل شئ واحد : أن يقبله الله مرة أخرى.

لاحظ التماس داود فى مزمور ٥١ : ١ . «ارحمنى يالله حسب رحمتك . حسب كثرة رأفتك امح معاصى». وفى ٥١ : ٢ يتوسل داود قائلاً : «أغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيتى طهرنى». وفى ٥١: ٣ – ٦ يقر داود قائلاً : لأنى عارف بمعاصى وخطيتى أمامى دائماً. لم يكن لديه إجابة عن كل ما فعله . وكل ما استطاع أن يقوله هو أنه فى حاجة إلى حكمة. ثم فى ٥١ : ٧ قال داود: «طهرنى

هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا». فالموت هو ما اكتسبناه، أما الحياة هى ما ننالها بسبب نعمة (العطية المجانية) الله.

ويكتب الرسول بولس فى أفسس ٢ : ٨ : «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان. وذلك ليس منكم. هو عطية الله»، هذه الآية وآيات كثيرة غيرها فى الكتاب المقدس، تجعل من الواضح جداً أن الإنسان ليس هو سبب هذه العطية ولم يدفع ثمنها، إنها كلها من جانب الله. هناك شروط للحصول على هذه العطية، ولكنها لا تلغى مجانية العطية.

فعندما يقول إننى مخلص بالنعمة بالإيمان. فالإيمان هو الشرط من جانبى، ولكن عندما أؤمن ليس معنى هذا إننى أسهم فى خلاصى، كما أنه لايلغى حقيقة أن العطية مازالت مجانية.

ويكتب الرسول بولس فى تيطس ٣ : ٤ – ٧، «ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى، وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية».

ونلاحظ فى أفسس ٢ : ٨ أننا خلصنا بالنعمة بالإيمان . وفى تيطس ٣ : ٤ نلاحظ أنه بالنعمة بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس، قد خلصنا . ولكن الشروط لاتلغى مجانية العطية إنه مازال خلاصنا بالنعمة.

٦ - الإيمان والتصديق

تعنى الكلمتان حرفياً : «الثقة والإتكال والتسليم». فالإيمان والتصديق هما الوسيلتان اللتان نحصل بهما على نعمة الله. فلأننى أصدق بما فعله الرب يسوع على صليب الجلجثة، فأنا مبرر بالإيمان. أنا مخلص بالإيمان، وأنا مخلص للإيمان. ونرى هذا فى قول الرسول بولس فى رومية ١ : ١٦ . إن الإيمان بالصليب هو الذى يعطى الصليب قوته لأجلى، إنه أساس حصيلة خلاصى.

٧ - العتق / الحرية

العتق أو الحرية فى الرسالة إلى رومية لها صلة بثلاثة أشياء : الناموس، والخطية، والموت. ففى رومية ٦ : ١٥ نقرأ عن الحرية من الناموس، فيكتب الرسول بولس أننى لا أستطيع أن أستمر فى الخطية والسبب هو أن الخطية لم تعد سيدى، وذلك بناء على حقيقة

«بغضت، كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم، إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع».

لم يكن الله ليلتفت أى إلتفات لكل هذه الأشياء لأنه بكل بساطة لا فائدة منها له ، ويصف الله مايلزم فعله فى عاموس ٥ : ٢٤ : «ليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم». أليس هذه فكرة جميلة ؟ هذه هى الفكرة من وراء مناقشة الناموسية.

٤ - التبرير

كلمة «تبرير» تعنى ببساطة أن «يبرئ» ويستخدم الرسول بولس هذه الكلمة مراراً فى الرسالة إلى رومية ليقرر أننا مبرورون بالإيمان، وليس بالناموس.

ويكتب الرسول بولس فى رومية ٣ : ٢١ ، ٢٢ : «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون».

وإذ يواصل الرسول بولس، يقول : «لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه» (رومية ٣ : ٢٢ ب ، ٢٥ أ).

وتقول لنا هذه الكلمات ليس أننا متبررون فقط، بل **كيف** صرنا متبررين.

كل هذا حدث بنعمة الله. كان هناك سبب لما فعله الله. ولكن كان هناك أيضا ثمن. ولكن لا الثمن ولا السبب منا، فيكتب الرسول بولس فى رومية ٣ : ٢٥:

«الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه. لقد فعل ذلك لإظهار عدله، لأنه فى طول أناته كان قد ترك الخطايا التى إرتكبت سابقا، دون عقاب..» «إن الرسول بولس يقول إن الله هو الذى دفع الثمن. هو الذى جعل كل هذا يحدث».

٥ - النعمة

النعمة كلمة – يُساء فهمها ويُساء استخدامها. فكلمة «نعمة» أساساً تعنى «هبة مجانية» على أية حال. توصف «النعمة» فى الكتاب المقدس أنها طريق الخلاص بالإيمان بالمسيح. إنها عطية مجانية، كما نقرأ فى رومية ٣ : ٢٤أ : «متبررين مجاناً بنعمته...» هذا التبرير مجانا لأنه عطية مجانية كاملة من الله. إنها نعمة. ونقرأ فى رومية ٦ : ٢٣ : «لأن أجرة الخطية هى موت. وأما

أننى لم أعد تحت الناموس، بل تحت النعمة. فطالما أنا تحت الناموس، حيث خطية واحدة كفيلة بأن تدينني، فأنا تحت سيادة الخطية ولكن لأننى تحت النعمة للمسيح، فأنا لست مدينا بالخطية. وليس معنى هذا أنه مسموح لى أن أخطئ كما أشاء، ولكنه يعنى أننى تحررت من نظام فيه خطية واحدة تستلزم الدينونة.

ونقرأ فى رومية ٦ : ١٨ عن العتق من الخطية، إذ تقرر هذا الآية: «إذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر» وهذه الآية تخبرنى بأننى لم أتحرر من الناموس فحسب، بل أيضا تحررت من الخطية بكل عقوباتها وممارساتها. تحررت من نزعاتها، واحتمال ارتكابها. لم تعد الخطية شيئاً أرحب به فى حياتى، والسبب هو أننى الآن عبد للبر.

ونقرأ فى رومية ٨ : ١ – ٣ «إذاً لاشئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع، لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفا بالجسد، فالله إذ أرسل إبنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح».

وتقول لى هذه الآيات إننى حىّ، إننى حى لأننى تحررت من الناموس ومن الخطية. لقد أنقذنا الله من دينونة الناموس.

ملاحظات ختامية

وفى الختام، هناك عشر كلمات تناقشها الرسالة إلى رومية : **خطية . ذنب . ودينونة** تناقشها الرسالة إلى رومية ١ : ١٨ – ٣ : ٢٠، فهذه حالة الإنسان، فهو هالك . **كفارة ، نعمة ، إيمان وتبرير** هذه عمل الله . **تقديس** هى حالة انفصال الإنسان. **تمجيد** هو مجد الإنسان حاليا . **التبرير** يبين أن الله قد أثبت أنه بار فى كل أعماله.

ومسئولية الإنسان الأدبية هى التطبيق العملى. فالرسالة إلى رومية تغطى كل الموضوع . فهى تجد الإنسان غارقا فى الخطية، ولكنها تأتى بنا إلى إعلان نعمة الله المخلصة التى ننالها بالإيمان. وهذا يؤدى إلى حياة تحررت من الخطية وتحيا للبر. إنه بر يجعل موقعنا سليما من نحو الله. وسليما داخليا، وسليما نحو الإنسان.

فهو حقاً أعظم إعلان أعطاه الله للإنسان. فقد جاء الرب يسوع لنكون لنا حياة وليكون لنا أفضل. هذا ما يناقشه الرسول بولس فى الرسالة العظيمة إلى رومية.

الفصل الثانى

مقدمـــات رومبـــة

رومية ١ : ١ - ١٣

الكاتب - بولس

الرسالة إلى رومية كتبها الرسول بولس، رسول الأمم العظيم . كان بولس شخصا غير عادى مؤهلاً لعبور الفجوة بين العالمين اليهودى والرومانى فى القرن الأول. كان من أصل يهودى، وكان يتكلم اللغة العبرية بطلاقة وبلاغة، وهو أمر لم يكن يستطيعه كل يهودى فى القرن الأول. فكثيرون من اليهود فى القرن الأول كانوا يتكلمون فقط باليونانية اللغة العالمية فى ذلك العصر.

ولد بولس فى مدينة طرسوس، المدينة الحرة، مما جعله مواطنا رومانياً . وكانت الرعوية الرومانية أمراً مرغوباً بشدة ومفيدة جداً فى القرن الأول، وقد علمه المعلمون اليهود فى بكور حياته مما يعنى أنه كان سيصبح خادماً دينيا . وكان معلمه الرئيسى غمالائيل الذى كان المعلم الرئيسى فى كل الديانة اليهودية. وكانت ثقافة بولس أساساً يونانية. فقد أستشهد بالألعاب اليونانية، واللغة اليونانية ، والثقافة اليونانية، وهكذا كان متأصلا فى تلك الأسس العقلية. ولكن لعل أعظم ما كان له هو نوع من الذكاء القومى. وكنت أود لو أعرف ما كان عليه، فمثلاً، يبدو أنه كان من السهل عليه أن يكون طبيعياً مع أى إنسان. فكان يمكنه أن يكون يهودياً مع اليهود، ويونانيا مع اليونانيين، ورومانيا مع الرومانيين. ومع الذين كانوا يكرمون الناموس، كان يمكنه أن يكرم الناموس. وللذين لم يكونوا تحت الناموس، كان يمكنه أن يكون وكأنه ليس تحت الناموس. كانت له القدرة السريعة والذكاء السريع مما جعله قادراً أن يكون على طبيعته مع كل أشكال الحياة (إرجع إلي ١كورنثوس ٩ : ٢٢).

التاريخ والمكان

كتبت الرسالة إلى رومية فيما بين ٥٥ ، ٥٧م ، بعد موت الرب يسوع بنحو ثلاثين سنة. وكتبت من مدينة كورنثوس، أشر مدينة كانت في القرن الأول – ونعرف أن الرسالة إلى رومية كتبت فى كورنثوس من الأشخاص المذكورين فيها، فتذكر فيبى فى رومية ١٦ : ١ – ٢ حيث تدعى خادمة الكنيسة فى كنخارية التى كانت ميناء كورنثوس. ويذكر غايس فى رومية ١٦ : ٢٣، كما يذكر غايس فى ١ كورنثوس ١ : ١٤، وأعمال ٢٠ : ٣. ويذكر أراستس فى رومية ١٦: ٢١ وكذلك فى أعمال ٣:٢٠، اكورنثوس ١٤:١. لقد كتبت هذه الرسالة فى أثناء فترة من أعظم فترات بولس نشاطاً، عندما كان يبشر مدينة كورنثوس الشريرة.

أبيض

الذى قبله الرسول بولس نفسه وامتلكه وأصبح له، هو ما أراد أن يشارك فيه هؤلاء الأخوة الرومانيين.

ثانيا: قدم لهم بولس قوة الله التى تؤدى إلى الخلاص، فهو لم يكن يريد أن يتكلم فقط عن الأخبار السارة ولكنه أراد أيضاً أن يتكلم عن قوة هذه الأخبار السارة .

ثالثا: قدم بولس بر الله. ولايتكلم الرسول هنا عن طبيعة الله، فهو يتكلم عن طبيعة الله بأنه بار، ولكنه هنا يتكلم عن البر الذى يمنحه الله، يتكلم عن الإنجيل إنجيله. يتكلم عن القوة، قوة الله، يتكلم عن كيف يجعل الله الإنسان باراً، وذلك بالإيمان. وبولس لا يخجل مطلقا أو يستحى من أى شئ من ذلك.

موجز عام

قد يكون حسناً أن نتأمل باختصار فى موجز عام للرسالة.

أولا: نجد المقدمة فى رومية ١:١– ١٥. **ثانيا:** لأنها نوع من المقالة أو من البحث، هناك أطروحة هامة فى رومية ١ : ١٦ ، ١٧. **ثالثا:** تقول هذه الأطروحة : إن قوة الله للخلاص هى فى الإنجيل، على أساس الإيمان، وتنتهى بالإيمان «لأن فيه معلن بر الله بإيمان الإيمان». وسيناقش الرسول بولس هذا التعاليم فى الرسالة : فلنا **أولا** المقدمة . و**ثانيا** هذه الأطروحة، و**ثالثاً** حوار عن التعليم الخاص بالخطية فى رومية ١:٣١٨:٢٠. فالخطية أفعى. أنها شئ رهيب مُدمر، إنها شئ شامل للكون. ومع أن الرسول بولس لم يكن فى حاجة لإثبات ذلك، فإنه سيقدم حقيقة أن كل العالم تحت الخطية، ويتكلم عن ماهية الخطية . سيتكلم عما تفعله الخطية. وسيتكلم عمن هو الذى يخطئ:

ثم الأمر **الرابع** هو تعليم التبرير. كيف يتخلص الله من أمر الخطية، وكيف يجعل الإنسان وكأنه لم يخطئ أبداً ؟ هذا هو الحوار في رومية ٣ : ٢١ – ٥ : ٢١ : والجواب هو «بالإيمان». هذه هى طريق الله لحل المشكلة. فالله يحلها بالنعمة من جانبه، ولكنه يعمل ذلك أيضا لأن الناس يثقون فيه أنه يفعل ذلك، ولأن الناس يريدونه أن يفعل ذلك.

خامساً : تعليم التقديس، فالتبرير هو جعل الإنسان لائقاً ، والتقديس هو فرزه وتخصيصه بعد أن أصبح باراً. فنحن لم نخلص فقط، بل تقدسنا، فلم نتبرر فقط، ولكننا تحررنا من الخطية هذا هو الحوار فى رومية ٦، ٧، ٨. فقد تقدسنا بنفس الشئ الذى به تبررنا، وهو الإيمان بالله. ونجد فى رومية ٩ – ١١ النقطة **السادسة**. تعليم التبرئة : كيف يستطيع بولس تفسير أن الله

المناسبة والظروف

من السهل أن نرى المناسبة والظروف التى كتبت فيها هذه الرسالة، لأن روما كانت لها جاذبية خاصة لبولس سواء كمواطن رومانى، أو كرسول للأمم . لقد اشتاق طويلاً أن يزور مدينة رومية. فيكتب الرسول بولس فى الرسالة إلى رومية ١ : ٩ – ١١.

«فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم، متضرعاً دائماً في صلواتى عسى الآن أن يتيسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى إليكم. لأنى مشتاق أن أراكم لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم».

يقول الرسول بولس : لقد حاولنا مراراً أن آتى إليكم (رومية ١٥ : ٢٠ – ٢٢). ولكنه كان يُعاق عن المجئ مراراً كثيرة (رومية ١٥ : ٢٠ – ٢٢) لأن غرضه كان أن يبشر حيث لم يُسمى المسيح. وهو يكتب هذه الرسالة ليفسر سبب غيابه، عالما أنه لن يستطيع الذهاب إليهم فوراً. وهذه الرسالة ستمهد الطريق لمجيئه فى المستقبل وستزودهم فى نفس الوقت بالتعليم الخاص الذى كان يريدهم أن يحصلوا عليه.

طبيعة الكتابة

ما هى طبيعة الرسالة إلى رومية. إن الرسالة إلى رومية خطاب شخصى، ولكنها أكثر من أن تكون خطابا شخصياً . فهى أيضا رسالة لاهوتية . إنها مقالة عن الله وطريق الله لخلاص الإنسان. لقد أدرك الرسول بولس مبكراً جداً فى خدمته أهمية الإمبراطورية الرومانية كوسيلة لنشر الإنجيل، لقد عرف أنه لو أن الإنجيل سيصل إلي كل العالم، فيجب أن يصل أولاً إلى رومية لأنه فى ذلك العصر كانت كل الطرق تؤدى إلى روما . لقد كان الناس يقيسون المسافات بناء على مدى بُعد المكان الذى يعيشون فيه عن مركز مدينة روما .

الغرض

إذ يكتب الرسول بولس هذه الرسالة، ليس من الصعب إدراك غرضه. بينما قد يكون غرضنا من قراءة الرسالة ودراستها شيئاً آخر، فإن غرض الرسول بولس من كتابتها كان أن يقدم لهم ثلاثة أشياء :

أولا: قدم بولس إنجيله فى الرسالة إلى رومية فى الإصحاحين الأول والثانى. فهذا الإنجيل

بولس ، عبد

هذه مقدمة جميلة. لاحظ بعض أشياء يقولها بولس فى هذه المقدمة. أول كل شئ، لاحظ مايقوله بولس عن نفسه: فعندما يتكلم بولس عن شخصيته، يقول إنه عبد وإنه رسول. لاحظ أيهما يأتى أولا. بالنسبة لبولس، كان لكونه عبداً للمسيح فى الدرجة الأولى من الأهمية، وكونه رسولاً فى درجة ثانية من الأهمية. «وعبد هنا هو عبد رقيق مِلكْ لآخر، وموجود لسبب واحد، هو خدمة الشخص الواحد الذى هو ملك له. ويقول الرسول بولس فى ١كو رنثوس ٦ : ٢٠».. «قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله». لقد كان بولس مخلصاً تماماً. فالعبد مدين بولائه لسيده. فالعبد لايملك شيئا، ولكنه مدين بولائه وطاعته لسيده. ولا قيمة له بدون السيد الذى يخدمه. وقيمة العبد لم يكن يحددها درجة خدمته، أو أين خدم، أو كيف خدم. ولكن الذى كان يحدد قيمة العبد. هو من يخدمه. وكان بولس يخدم الرب.

ثم يقول بولس أنه مدعو رسولاً. فخدمته هى أن يكون رسولاً، فهذا هو عمله. وليس له فضل بشرى فى أن يكون رسولاً، لأن الرسول لم يكن مجرد عمل بشرى. ثم إن سر أهمية بولس كرسول لم تكن فى رحلاته، بل من ارتحل لأجله. فكلمة «رسول» معناها «مرسل من» فمن الذى أرسل بولس؟ «يسوع» ولمن أرسل؟ «ليسوع» ولماذا ؟ لقد أُرسل ليمثل يسوع وماذا كانت أهميته؟ «يسوع». «لى الحياة هى المسيح، والموت هو ربح» (فيليبى ١ : ٢١). لاحظ إذاً فثمة كلمتان تدلان على عمله وشخصيته : «عبد» و«رسول» ففى خدمة بولس، هو مدعو ومفرز، «فمدعو» هى شهادة اعتماده. لقد كان مدعوا منذ مولده. ففى غلاطية ١ : ١٥ يقول بولس : «الله الذى أفرزنى من بطن أمى لأكون رسولاً». وهو فعلا قد دعى لخدمته عند تجديده. ففى أعمال ٩ : ١٥ يقول بولس إنه دُعى ليتألم، ولكنه دُعى ليخدم. ففى أعمال ١٣ : ٢ ب قال الروح القدس من السماء: «أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه». فسر نجاح بولس كان فى شهادة اعتماده. وشهادة اعتماده كانت فى الحقيقة أنه قد دُعى، دُعى للخلاص، دُعى للخدمة، دُعى للألم. ولكن لم يقل بولس فقط إنه قد دُعى، بل أيضا إنه قد أُفرز.

رسالة بولس

إذا فهناك تركيز. إذا أُخذت أشعة الشمس ونُشرت علي مرعى كبير، فإنها تُدفئ المرعى. ويستلذ الإنسان بهذا الإحساس. ولكن إذا مرت هذه الأشعة في عدسة مكبرة، ورُكزت على نقطة واحدة، فسرعان ما تحترق هذه النقطة لأن الأشعة قد رُكزت. فكل قدرات بولس وكل مواهبه المعطاه له مـــن الله قد تركزت فى فرزه لإنجيل الله. وهذا ماركز فيه بولس خدمته، فقد

بار فى تخليص الإنسان، بينما اليهود، الذين كانوا قد وعدهم الله بالخلاص، قد هلكوا وأدينوا بعد أن رفضوا المسيح؟ هذا هو المفتاح. ليس لديهم الشئ الوحيد الذى يطلبه الله. وهو أن يكونوا أمناء لذلك الإيمان الذى هو تقديم حياة منكسرة.

الجزء **السابع** من هذا الموجز هو التطبيق العملى أى قسم «ماذا إذاً». فأنا خاطئ، ولكننى مبرر بالنعمة بالإيمان. وقد انفصلت عن خطاياى. ولست واحداً قد رفض المسيح، إننى أبرر الله ليس برفضى للمسيح، ولكن بقبولى له. فماذا يعنى هذا لحياتى؟ هذا ما يناقشه فى رومية ١٢– ١٥: ٣. ماذا يعنى لى شخصياً ؟ ماذا يعنيه فى إخوة المؤمنين. ماذا يعنيه لى فى عالم غير المؤمنين ؟ ما الذى يعنيه لى فى علاقتى بالحكومة الرومانية ؟ ماذا يعنيه لى فى علاقة بالأخوة الذين لا أتفق معهم الذين أعتبرهم الإخوة الأضعف. كيف تكون صلتى بهم؟ أفعل ذلك بالإيمان، بسبب نعمة الله فى محبة وقبول. ثم تأتى النتيجة وهى النقطة **الثامنة** من الموجز. ففى رومية ١٥ : ١٤– ١٦ :٢٧ لدى بولس ملاحظات ختامية عن نعمة الله، عن الناس الذين معه، وعن الناس المحبين الذين يعرفهم فى رومية.

مقدمة بولس

لنبدأ دراستنا للسفر نفسه: وملاحظات بولس التمهيدية لازمة للإعداد لما سيقوله فى الرسالة. فلنتذكر ببساطة أن هذا السفر كتبه بولس رسول الأمم، إلى مدينة الأمم الرئيسية، ليحدثهم عن المخلص اليهودى. وإذ يبدأ بولس رسالته فهو أول كل شئ لديه كلمة ليقولها عن نفسه فى رومية ١ : ١. فلنقرأ الخمسة عشر عدداً الأولى، وسنعود لدراسة هذه الأعداد: «بولس عبد ليسوع المسيح، المدعو رسولاً، المفرز لإنجيل الله، الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة، عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا . الذى به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم. الذين بينهم أنتم أيضا مدعوو يسوع المسيح. إلى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله، مدعوين قديسين.نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح».

«أولاً أشكر إلهى بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم. فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل إبنه شاهداً لى كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائماً فى صلواتى عسى الآن أن يتيسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى إليكم. لأنى مشتاق أن أراكم لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم، أى لنتعزى بينكم بالإيمان الذى فينا جميعا إيمانكم وإيمانى. ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الأخوة أننى مراراً كثيرة قصدت أن آتى إليكم، ومنعت حتى الآن ليكون لى ثمر فيكم أيضا كما فى سائر الأمم. إنى مديون لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء. فهكذا ما هو لى مستعد لتبشيركم أنتم الذين فى رومية أيضا».

ويلزمنا أن نلاحظ هنا أن رسالة الله لم ترسل إلى الإمبراطور لأن القوة الفعالة فى خلاص رومية لم تكن فى الحكومة، ولم ترسل للحكام أو مجلس الشيوخ لأن القوة الفعالة فى خلاص رومية لم تكن فى الحاشية. ولم ترسل هذه الرسالة إلى المعلمين لأن القوة الفعالة فى خلاص رومية لم تكن فى مدارسها. ولم ترسل هذه الرسالة إلى الفلاسفة لأن القوة الفعالة فى خلاص رومية لم تكن فى الحكمة البشرية، لقد أرسلت هذه الرسالة إلى جماعة من قديسين فقراء يحتمون من الخوف فى السراديب والكهوف. لقد كانوا الناس الذين سادوا العالم، والذين كان يمكنهم أن يأتوا بالخلاص حتى إلى بيت قيصر. وسيناقش الرسول بولس ذلك.

أهداف بولس

لاحظ ما يقوله الرسول بولس عن أهدافه. ما الذى كان يدفع بولس ؟ ما الذى حوّل بولس نحو الله وجعله يكتب هذه الرسالة؟ أول كل شئ، نرى فى الآية العاشرة توجيه الله لحياته، فقال : «متضرعاً دائما فى صلواتى عسى الآن أن يتيسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى إليكم. لأنى مشتاق أن أراكم... إننى مراراً كثيرة قصدت أن آتى إليكم ومنعت حتى الآن» (رومية ١ : ١٠، ١٣) فالعناية الإلهية هى الفكرة الأساسية هنا. فلم يكن بولس يتخذ قراراته من نفسه، بل حاول أن تكون قراراته مبنية على مشيئة الله وماأراد الله أن يتم. فقد فتح حياته وكل نشاطه لتوجيه الله وإرشاده. ومكتوب في أمثال ٣ : ٥، ٦ : «توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لاتعتمد. فى كل طرقك أعرفه وهو يقوّم سبلك» لقد كان بولس مُوجهاً. لقد كان لديه بالوحى الإحساس بأن كل خطوة خطاها كانت باختيار وتوجيه من الله. ونحتاج أن يكون لنا نفس هذا المفهوم.

ويناقش الرسول بولس فى ١ : ١١ – ١٣ دافعاً ثانياً أو هدفا آخر لحياته، وهو الاهتمام غير الأنانى بالآخرين، والفكرة هنا هى الأخوية، علاقته بهم كأخوة. فأول شئ يتكلم عنه الرسول بولس فى هذا الجزء هو اشتياقه للشركة معهم، فيقول : «لأنى مشتاق أن أراكم، لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم، أى لنتعزى بينكم بالإيمان الذى فينا جميعا إيمانكم وإيمانى» (رومية ١ : ١١، ١٢). كانت هذه هى الشركة التى كان يجب أن تكون بينهم التشجيع المشترك بالإيمان. لقد آمنوا معاً، وبذلك استطاع بولس أن يمنحهم القوة الروحية لرؤية إيمانه. كما يقول «ليكون لى ثمر فيكم أيضا كما فى سائر الأمم» (رومية ١ : ١٣ب). كانت رغبة بولس أيضا ازدياد العدد. فهو لم يشأ أن يأتى إلى رومية كسائح، لم يشأ أن يأتى إلى رومية ليستفيد هو شخصيا منهم، بل أراد أن يأتى إلى رومية ليعبر لهم عن اهتمامه غير الأنانى بزيادتهم فى الإيمان وازديادهم فى العدد، بمجيئه إليهم.

ربما كان السبب الأساسى والدافع الأساسى لحياة بولس – علاوة على رغبته فى رؤية أولئك الأخوة، هما المعبر عنهما فى الآيتين ١٤، ١٥. ويمكن أن يكون هذا بكل بساطة التزاماً

ركز خدمتـــه وعمله فـــى إذاعة إنجيل يسوع المسيح. لقد كانت هذه رسالته. وفى الأعداد الخمسة التاليـــة (رومية ١:٢-٦) يناقش تلك الرسالة، ويقول أول كل شئ إن رسالته سبق أن تنبأ بها ووعد بها منذ العهد القديم. فالإنجيل موجود فى كل نبوات العهد القديم، وفى كل رموز العهد القديم، وفى تاريخ العهد القديم، وفى كل مفشلات العهد القديم. فالعهد القديم بكل بساطة يعلن بأعلى صوت : «لايمكنكم أن تجدوا تبريراً فى ذواتكم». ولكن التبرير يوجد فى نسل المرآة الآتى، الذى هو نسل إبراهيم من ذرية داود. فهذا الشخص الوحيد هو الذى سيتمم كل وعود الله.

يقول الرسول بولس إن رسالته هى رسالة موعود بها، وقد تنبأ الأنبياء عنها، ولكنه يقول أيضا أنها تجسدت فى شخص. فقد نزلت من السماء وتركزت فى شخص واحد، هو يسوع المسيح ربنا . فناسوته ناسوت ملكى، فهو من نسل داود حسب الجسد، ولكن الأمر الأساسى الذى تلزمنا معرفته هو أنه تعين ابن الله. لقد تعين ابن الله بقوة. لقد تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات. ويحسن بنا أن نناقش قوة قيامة المسيح، وهو ما سنفعله عندما نصل إلى الإصحاح السادس وبعض الأجزاء الأخرى من هذه الرسالة. على أية حال، إن الشئ الرئيسى الذى قاله بولس كان هكذا: لأن المسيح هو إنسان وإله، فهو متاح للجميع، يعلن بولس أن هذا المخلص اليهودى متاح لكل الأمم لو فقط كانت لهم الطاعة التى تأتى من الإيمان. وذلك هو ما يحتاج الأمم أن يعرفوه. إنهم فى حاجة إلى أن يعرفوا أن خطة الله ليست فقط لشعب العهد القديم، اليهود، بل كان قصد الله على الدوام هو خلاص جميع الناس.

جمهور المستمعين لبولس

عندما يصل الرسول بولس إلى هذه النقطة، كان عليه أن يناقش الذين يستمعون إليه. ففى رومية ١ : ٧ – ٩ ماذا يقول عمن سيسمعون الرسالة لأول مرة؟ يقول – قبل كل شئ فى آية ٧، إنهم مدعوون ليكونوا قديسين، وأنهم محبوبون من الله، وإن هذا أمر معرفته تنعش. فمن المعزى أن نعرف أنهم مدعوون ليكونوا قديسين. هذه صفتهم. وكلمة «قديس» تعنى ببساطة «شخصاً منفصلاً» فليس لها أية علاقة بوفرة الأعمال الصالحة. بل تعنى ببساطة أن الشخص قد دُعى للخروج من العالم إلى الله، وأنه قد أنفصل عن الأوثان البكم ليخدم الله الحى الحقيقى. هذه هى الصفة الحقيقية لأولئك الأخوة فى رومية، فهم قديسو الله. ويقول بولس فى الآية ٨ إن إيمانهم يُنادى به فى كل العالم، فهذه هى الصفة الحقيقية لأولئك المسيحيين. فهم مؤمنون بالله، ثم يقول عنهم فى الآية ٩ إنهم عبيد الله، وهذه هى الخدمة الحقيقية للمسيحيين.

الخاتمـة

من السهل أن نفهم لماذا أراد الرسول بولس أن يقول هذه الكلمات قبل الدخول إلى الكتاب نفسه. فقبل أن يذكر السبب الذى لأجله كان يكتب الرسالة، وقبل أن يصل إلى مناقشة الخلاص بالإيمان، أراد أن يعرف هؤلاء الأخوة أنه سيذهب إليهم إذا استطاع، ولكن حيث أنه لم يستطع الذهاب إليهم ، فإنه أراد أن يعدهم للموقف والذخيرة للمعركة. أرادهم أن يعرفوا أن المسيحية هى ميدان معركة وليست ميدانا للعب، وهذا هو سبب كتابته هذه الرسالة لكى يزودهم بكل شهادة عن محبة الله لهم، وعطية يسوع لهم، ومعونة الروح لهم، ليعرفوا بأنهم أعظم من منتصرين بيسوع الذى أحبهم، وأن يحيوا حياة النقاوة والكرامة أمام الله. ليت الله يمنحنا جميعا السلام والنعمة بالإيمان به.

بالقيام بمسئوليات الحياة. لقد كان يتحرك بحقيقة أنه مُوجه توجيها إلهيا فى حياته. كما كان مدفوعاً بحقيقة أنه يهتم بهم اهتماماً غير أنانى. كما أنه كان أساساً مضطراً لذلك بالدين الذى عليه، بالتزامه بالقيام بمسئوليات الحياة. وفى رومية ١ : ١٤ لاتعبر عنها الترجمة الدولية الحديثة بنفس القوة الموجودة فى اللغة الأصلية. ففى الترجمة الدولية الحديثة، نقرأ : إننى مُلزم لليونانيين وغير اليونانيين، للحكماء والجهلاء». فاللغة الأصلية (اليونانية) تقول «إننى مديون»، فكلمة «دين» أقوى من كلمة «ملزم». قد أكون ملزما بأن أكون شفوقا، قد أكون ملزما أن أكون كريما، بل قد أكون ملزماً أن أكون أمينا، ولكن فى بعض الأحيان لا أرى هذه الالتزامات بنفس القوة إذا نظرت إليها كدَيْن علىّ أن أسدده.

عندما أكون مدينا لأحد بشئ، فأنا مجبر أن أسدد هذا الدين لأتخلص من هذا الدين، كما يقول الرسول بولس فى الإصحاح الثالث عشر من نفس الرسالة: «لاتكونوا مديونين لأحد بشئ إلا بأن يحب بعضكم بعضا»، بغض النظر عن جنسيته، يهوديا كان أو يونانيا، بغض النظر عن مركزه الاجتماعى، سواء كان متعلما أو غير متعلم. لقد شعر بولس بأنه مدين لأولئك الناس. ويمكن قراءة هذه الآية وكأن بولس يقول : «إننى مديون لله» وهذه حقيقة ، فبولس مديون لله ولكن ليس هذا مايقوله فى هذه الآية. من الحق أننى مديون لله لأجل الخلاص، ولكننى أيضا مديون لكل الناس بتقديم إنجيل المسيح، وهذا هو السبب فى قول بولس إنه كان «مشتاقاً». لقد كان مشتاقاً أن ينادى بالإنجيل فى رومية. أعد قراءة رومية ١ : ١٤، ١٥ كما ينبغى أن يترجم: «إننى مديون لليونانيين وغير اليونانيين. أنا مديون للحكماء وللجهلاء، وهذا هو السبب فى اشتياقى أن أبشر بالإنجيل لكم أنتم الذين فى رومية. لقد كان بولس يفكر، لو استطعت الوصول إلى رومية والكرازة بإنجيل المسيح، إذا فمن تلك المدينة، سينتشر الإنجيل إلى كل العالم. لأنه هناك، واجه الإنجيل أعظم امتحان دينى له فى الوثنية التى كانت تسود تلك المدينة. وهناك واجه الإنجيل أعظم امتحان سياسى فى نظام رومية الإمبراطورى الذى كان هناك. وهناك واجه الإنجيل أعظم امتحان اجتماعى فى سكان المدينة المتنوعين. ويصل إلى أعظم امتحان أدبى فى الإجرام المنتشر الذى كان موجوداً فيها.

كان بولس رائداً، والرواد يريدون أن يذهبوا إلى حيث يوجد أعظم امتحان. يريدون أن يواجهوا اختبارات جديدة. يريدون أن يهزموا أعداء جدداً. كان بولس يشعر بأنه لو استطاع أن يصل إلى رومية، فإن إنجيله سيتعرض للامتحان من أقوى الوسائل وأقوى الأعداء الذين يثيرهم الشيطان ضد الله، وكان واثقاً من النصرة. وهذا هو السبب فى أن هذه الرسالة محبوبة كثيراً جداً. فرسالة رومية هى الله فى أفضل حالاته ضد الشيطان فى أسوأ حالاته. ففى الإصحاح الثامن تختم بنصرة الله الكاملة، فى الإصحاح الثامن نختم بأنه لادينونة، ولا انفصال، ولانصرة للشيطان علينا.

الفصل الثالث

رومية موضوع الرسالة

رومية ١ : ١٤ - ١٧

مراجعة ومقدمة

لقد انتهينا من المقدمة التى رأينا فيها أن هذه الرسالة تحظى باحترام كبير فى العالم الدينى وأن هناك تفاسير وكتب صورت عنها أكثر مما عن أى سفر آخر فى الكتاب المقدس. لقد رأينا أن الرسول بولس يفخر بصورة خاصة بالأخوة فى مدينة رومية : «إيمانكم ينادى به فى كل العالم» (رومية ١ : ٨). إنهم مثال لامع لما يستطيع الله أن يعمله فى وسط مدينة شريرة. كانت رومية مدينة متكبرة جداً، فخورة بموقعها وبقوتها. لقد جاء الإنجيل من أورشليم، عاصمة أمة صغيرة من الأمم التى هزمتها رومية. ولم يكن المسيحيون فى ذلك العصر من بين نخبة المجتمع، فقد كانوا من عامة الشعب، وكثيراً ما كانوا من العبيد. لقد عرفت رومية الكثيرين من الفلاسفة والكثير من الفلسفات، فلماذا تعطى أى اهتمام «لخرافة» عن شخص يهودى قام من بين الأموات؟ كان المسيحيون ينظرون بعضهم لبعض كأخوة وأخوات، جميعهم واحد، جميعهم متساوون فى المسيح. وهذا كان ضد لب الكبرياء الرومانية والعظمة الرومانية. إن مجرد فكرة ذهاب صانع خيام حقير إلى رومية ليكرز برسالة عن مسيا يهودى مصلوب، أمر هزلى يدعو للسخرية. ولكن كانت للرسول بولس أسباب – من وجهة النظر البشرية – لأن يخجل، يخجل من مركزه، ويخجل من رسالته. ولكن بولس لم يخجل من الإنجيل، لقد كان له ثقة وطيدة فى رسالته وقد أعطانا أسباباً عديدة تفسر لنا لماذا لم يخجل.

ولتقدمة هذا الفصل، لنرجع إلى رومية ١ : ١٤ – ١٧ ونرى الرسول بولس يذكر ثلاثة أسباب جميلة عما هو عليه، فيقول :

«إنى مديون لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء. فهكذا ماهو لى مستعد لتبشيركم أنتم الذين فى رومية أيضا. لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودى أولا ثم لليونانى. لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان. كما هو مكتوب: أما البار فبالإيمان يحيا».

سببان لعدم خجل بولس بالإنجيل

أنا مديون، أنا مشتاق، لست أخجل. ويالها من أسباب جريئة ! وذكر الرسول بولس سببين لماذا لم يستحِ بالإنجيل: **أولا** : قوة الإنجيل، **ثانيا** : بر الإنجيل.

أبيض

الوسيلة التى يجعل الله بها الإنسان باراً. فطبيعة الله معلنة، ولكن الرسول بولس يهتم بشكل خاص بالطريقة التى بها يجعل الله البار الإنسان باراً. وكلمة «بر» تستخدم باشتقاقاتها المختلة أكثر من ٦٠ مرة فى الرسالة إلى رومية، وتترجم إلى «بار» «بر» أو «تبرير». فهو لم يكن يخجل بالإنجيل لأنه يعلن ليس طبيعة الله البارة فقط، بل وأيضا كيف يمكن لطبيعة الله البارة أن يشارك فيها الإنسان. ويظهر بر الله فى عقابه للخطية، فى موت المسيح، وفى قيامة المسيح، ولكن أساساً فى جعل الخلاص ممكنا للخاطئ الذى يؤمن.

وسبب آخر لأجله كان الرسول بولس تواقا للذهاب إلى رومية، هو لأن رومية كانت مجمع قاذورات العالم، حتى كتّابها أنفسهم قالوا ذلك. فقد كتب سينكابين آخرين – عن شر روما، وقد كتب أحدهم أن روما هى المصرف القذر الذى تصب فيه كل نفاية الإمبراطورية الرومانية: وقال إنها تفيض بالناس الأشرار ذوى العيون الجاحظة الذين لايفكرون إلا فى وجبتهم التالية أو ممارستهم الجنس. كانت هذه هى المدينة التى كان يشتاق إلى الذهاب إليها الرسول بولس، لأنه لم يكن شئ يستطيع أن يأتى إليها بالخلاص إلا الرسالة التى عنده وهذا هو السبب فى أنه كان ممتنا للكنيسة التى كانت فيها، وفى أنه كان تواقاً جداً للذهاب إليها بنفسه.

العناصر السبعة فى إنجيل بولس

رومية ١ : ١٦، ١٧ هما أهم آيتان فى الرسالة إلى رومية، ففى هاتين الآيتين نلاحظ سبعة عناصر فى إنجيل الرسول بولس، هى التى جعلته لايستحى بإنجيل المسيح. هذا هو موضوع الرسالة، لأن هذه الكلمات تشكل الحوار فى باقى الرسالة.

أول عنصر : يتكلم عن **مصدر الإنجيل**، فيقول : «لست أستحى بإنجيل المسيح لأنه قوة الله..» (رومية ١ : ١٦). فمصدر هذا الإنجيل ليس فى دراسة الرسول بولس فى العربية، وليس مصدر هذا الإنجيل فى تأملات الرسول بولس فى حاجات العالم. فهو ليس هنا ليقدم نصيحة صالحة، ولكنه هنا ليخبر بكلمة الله ذاتها. ولم يكن الرسول بولس يستطيع أن يستحى بأى شئ جاء من الله. هذا هو السبب فى عدم خجل الرسول بولس. وهذا هو سبب فخره بالإنجيل، لأن مصدره موجود فى الله، علم الله العميق، محبة الله العميقة، رحمة الله العميقة. فنبع الإنجيل ينبع من الله كلى القدرة.

ثانى عنصر : يتكلم الرسول بولس عن **طبيعة الإنجيل**، فيقول إنه قوة الله للخلاص. وقد سبق أن قلنا إن الكلمة اليونانية «ديناميس» هى الكلمة التى جاءت فيها كلمة «دينامو» أو

وكلمة «قوة» فى رومية ١ : ٦ مأخوذة من الكلمة اليونانية «ديناميس» التى تشتق منها الكلمة الإنجليزية «ديناميت» دينامو أو ديناميك، فكل هذه الكلمات الإنجليزية أصلها من الكلمة اليونانية «ديناميس». ويمكنك الرجوع إلى القاموس أو تقرأ كتابك المقدس وتفحص المرات التى توجد فيها الكلمة «قوة». فقد استخدمت هذه الكلمة فى رومية ١ : ٤ حيث يقول : أن يسوع أقيم بقوة، أو تعين (أعلن) ابن الله بقوة.. بالقيامة من الأموات. فكلمة قوة كما تستخدم هنا تتكلم عن قيامة الرب يسوع. وفى رومية ١ : ٢٠ تتكلم عن قدرة الله السرمدية. وفى رومية ١٥ : ١٣ تتكلم عن قوة الروح القدس. وفى ١كورنثوس ١ : ١٨ تتكلم عن رسالة الصليب بأنها قوة الله. وفى ١كورنثوس١ : ٢٤ يقول عن الرب يسوع إنه «قوة الله وحكمة الله». وفى ١كورنثوس٢ : ٤ يقول الرسول بولس إن كلمة الله لم تكن من ضعف بل ببرهان قوة الروح. وفى أفسس ١ : ١٩، ٢٠ صلى الرسول بولس لأعرف «عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات، التى تعمل فىّ. وفى أفسس ٣ : ٢٠، يقول الرسول بولس : «والقادر أن يفعل فوق كل شئ أكثر جداً مما نطلب أن نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا». وفى فيلبى ٣ : ١٠ أراد الرسول بولس أن يعرف «قوة قيامة المسيح». وفى ١تسالونيكى ١ :٥ يقول الرسول بولس إنه عندما أتت كلمة الله، لم تأت بالكلام فقط بل بالقوة. وفى ٢تيموثاوس ١:٧ يقول الرسول بولس لتيموثاوس، الذى كان مبشراً شابا خجولاً: «إن الله لم يعطنا روح الفشل (الخوف) بل روح القوة والمحبة والنصح» (العقل الواعى). فهكذا لم يخجل بالإنجيل لأنه كان قوة (ديناميت) الله كان دينامو الله ليأتى بالحياة والقوة إلى حياة الناس. كما كان ديناميت الله لينسف كل الأفكار الشريرة وكل شر العالم ويهزم الشيطان نفسه. فلا عجب أن الرسول بولس كان تواقا للذهاب إلى مدينة رومية، لأن رومية كانت مدينة تؤله القوة، وأراد هو أن يأتيها بالقوة الوحيدة التى تقدر أن تغير الإنسان. وكما رأينا فى الدرس السابق، لم تكن القوة التى تغير رومية فى الإمبراطور، ولا فى المحاكم، ولم تكن فى فصول المدارس، ولم تكن فى الفلاسفة ولا فى مجلس الشيوخ. فالقوة الوحيدة لتغيير حياة الإنسان موجودة فى إنجيل يسوع المسيح، ولهذا كان الرسول بولس يريد أن يذهب إلى رومية. ولهذا السبب لم يكن يخجل بالإنجيل. ولماذا فى العالم يخجل أى إنسان من أقوى شئ فى كل العالم؟

بر الإنجيل

وهناك سبب ثان لقول الرسول بولس إنه لم يكن يخجل بالإنجيل، فيقول : «لأن فيه (فى الإنجيل) معلن بر الله... (رومية ١ : ١٧أ). هذا البر ليس هو طبيعة الله البار، بل هذا البر هو

إنسان خارج دائرة قوة الإنجيل، فهى ليست رسالة مقصورة على بعض الناس كما قد كان الناموس، فقد أعطى الناموس لليهود فقط، أما الإنجيل فلجميع الناس، والسبب فى هذا بسيط. فجميع الناس فى حاجة للخلاص، إذ يقول فى رومية ٣ : ٢٣ «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» وقد قال الرب يسوع: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدَن» (مرقس ١٦ : ١٥، ١٦). وهو ماستقوله الرسالة إلى رومية، فيقول الرسول بولس أن هذا الإنجيل هو قوة الله لخلاص كل إنسان فى كل العالم، أو أى إنسان فى كل العالم. يقول إنه إنجيل يخلص، إنجيل للخلاص لليهودى أولاً وأيضا للأممى. وكونه لليهود أولا ليس معناه أنهم أفضل من الأمم، بل هذه ببساطة حقيقة تاريخية، فقد كرز بالإنجيل لليهود أولا ثم للأمم.

ومن الشيق، كما سندرس فى فصل آخر، أن هذا الكتاب المقدس هو كتاب يهودى، فكل العهد القديم كتبه يهود، كما أن كل العهد الجديد – ماعدا سفرين – كتبه يهود. وقد اختص العهد القديم بمخلص يهودى، ولفترة من الزمن كانت الكنيسة مكونة من يهود فقط. لذلك قد يظن اليهود أن هذا امتياز قاصر عليهم مرة أخرى ولكن الرسول بولس يقول بكل بساطة : كلا، «إنه جاء لكم أولاً، هذا ماحدث تاريخيا. ولكن لاتمييز قومى أو عنصرى فى المسيحية. فيقول فى غلاطية ٣ : ٢٦ : «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودى ولا يونانى، ليس عبد ولاحر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع». ويتكلم الرسول بولس فى أفسس ٢ عن نقض حائط السياج المتوسط.. لكى يخلق الإثنين، اليهود والأمم، فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. فأى إنسان يأتى بأى كبرياء قومية أو أى انحياز عنصرى أو أى نوع من ا لحوائط الفاصلة إلى المسيحية، فهو يعمل ضد القصد الأساسى للرب يسوع. ففى أفسس ٢ : ١٤ – ١٥ نقرأ: «لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض» فيجب ألا يأتى أى إنسان بأى نوع من التمييز إلى ملكوت المسيح.

العنصر الخامس من هذا الإنجيل الرائع هو **مايستلزمه هذا الإنجيل**. إنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن. وهنا نجد الكلمة السحرية : «يؤمن» الكلمة المترجمة إيماناً فى الكتاب المقدس تعنى يثق ثقة كاملة، يتكل ويسلم نفسه لشئ ما. فهنا شئ كثير جداً أكثر من مجرد المعرفة، وموافقة عقلية، فهناك وقفة حازمة لابد أن تؤخذ، هنا يقف الإنسان، إذ لايستطيع أن يفعل شيئا آخر، فالأمر أوضح من أى جدال يجب على الإنسان أن يؤمن. أليس من الرائع أن الله لايطلب من الناس أن يسلكوا باستقامة لكى يخلصوا. بل أن يؤمنوا، ثم يعدهم بأنهم

«ديناميك». لقد استحى اليهود بالإنجيل، لأنه كان حجر عثرة لهم بسبب كبريائهم الدينية. كانوا يظنون أن قوتهم كانت فى الناموس وفى حفظهم للناموس. ولهذا كانوا يستحون على الدوام. مصدر قوتهم كان فى حفظهم للناموس. وسيناقش الرسول بولس هذا مناقشة شاملة ابتداء من رومية ٢ : ١٧ . كان الإنجيل، قوة الله، لليونانيين جهالة بسبب حكمتهم البشرية. لقد ظنوا أن القوة هى فى ذكائهم، ظنوا أن القوة فى عملهم وفى تعليمهم. وسيناقش الرسول بولس ذلك تماماً ابتداء من رومية ١ :١٨ . كان الإنجيل يعتبر عند الرومانيين ضعفا، فقد كان الرومان يؤلهون القوة الإمبراطورية، لقد ألهوا القوة الموجودة فى القياصرة وفى الفيالق الرومانية، على أية حال فإنهم حتى عندما كانوا فى أوج قوتهم، كتب سنيكا وجوفينال، مع أناس آخرين عن الضعف الأدبى الرهيب الذى وجدوه فى مدينة رومية، لقد كانت قوتهم عمليا هى نقطة ضعفهم، وما حسبوه ضعفا كان فى الحقيقة قوة الله. لذلك لم يستح بولس بالإنجيل لأن قوته لن تضعف أبداً، بل ستنتصر قوته على كل ديانة البشر، وعلى كل أخلاقيات البشر، وعلى كل قوة الإنسان العسكرية.

ثالث عنصر : كرز الرسول بولس **بالهدف من الإنجيل**. فالهدف من الإنجيل هو الخلاص، إذ يقول الرسول بولس إن الإنجيل هو قوة الله للخلاص. ويالها من كلمة جميلة! كانت كلمة معروفة جيداً فى رومية لأن المعنى الأساسى لكلمة «خلاص» هو التحرر، فقد استخدم الرومان دائما هذه الكلمة فى الإشارة إلى تحررهم القومى بأبطالهم العسكريين العظام، فعندما كان يعود أحد أولئك الأبطال بعد أن يكون قد أنقذ روما من أحد الأعداء، كان يمتطى حصانا أبيض جميلاً، ومن خلفه يسير جنوده راكبين على خيل من جميع الألوان، ومن خلفهم الجنود المشاة، ومن خلفهم الأسرى الذين جاءوا بهم، فكانوا يهتفون شكراً للانقاذ، للخلاص الذى حققوه للإمبراطورية الرومانية. جاء مخلصنا راكبا على أتان وجحش ابن آتان، ونشروا أغصان النخيل فى طريقه، وبماذا كانوا يهتفون: «أوصنا» أى خلصنا (ارجع إلي متى ٢١ : ٩–١١، مرقس ١١ : ٩–١٩، لوقا ١٩ : ٣٧–٤٠، يوحنا ١٢:١٢–١٥، مزمور ١١٨: ٢٥، ٢٦). لقد كان فكرهم مثل فكر الرومان. خلصنا من أعدائنا! فلم يكن بولس يستحى بالإنجيل لأنه يخلص الخطاة من عقوبة الخطية وقوتها والميل إليها. فلو أن الرجال والنساء يجب أن يخلصوا، فلابد أن يكون ذلك عن طريق الإيمان بالمسيح كما هو معلن فى الإنجيل الذى كان يكرز به الرسول بولس.

رابع عنصر : لم يكن الرسول بولس يستحى بالإنجيل بالنسبة **لاتساع مجال الإنجيل**، فقد كان لكل إنسان. فهذا هو قوة الله للخلاص «لكل واحد» وهى عبارة شاملة، فليس هناك

والكلمة تعنى حرفيا: «لهذه الغاية أمام أنظاركم». إنها تدل على الغاية التى نصل إليها أى الهدف من العمل الذى يتم. فما هو هدف الحياة؟ إنه خلق الإيمان، إنه مثل حركة الآلة المستمرة أو مثل فعل مستمر. لأن الإنسان يرى الدليل فى إنجيل المسيح، فإن الإيمان ينشئ حياة فيهم، هذه الحياة التى وضعها الآن فى داخلى قد وُلدت فىّ، التى تتحرك فى داخلى، والتى تسبب نمواً فى داخلى، تخلق الإيمان. فخلاصى يبدأ بالإيمان، ويستمر بالإيمان وينمو فى الإيمان، ويتكمل بالإيمان، وينتهى بالإيمان، فياله من حوار رائع هذا !

تطور الرسالة

ستتطور هذه الرسالة فى السفر، فعندما يدرس أحدهم الرسالة إلى رومية، فكأنه يسير فى قاعة محكمة. فيسوع يُحاكم، وإنجيل يسوع يُحاكم، ولكن الأكثر من هذا العالم يحاكم. وسيربح الإنجيل، والعالم سيخسر، وسيدعو الرسول بولس فى رومية ١ : ١٨-٣:٢٠ كلا من اليهود والأمم للمثول أمام المحكمة. وسيجدهم مذنبين أمام الله، سيكونون مذنبين رغم كل تعليمهم سيكونون مذنبين بالرغم من أدابهم، وسيكونون مذنبين بالرغم من ديانتهم. عندما يصل الإنسان وينظر إلى ما يعرفه أو ما يمكن أن يعرفه، فإنه ينظر إلى مسعى الإنسان العقلى، ويتعلم كل ما يمكنه أن يتعلم، فيصرخ التعليم بكل بساطة: «لا أستطيع أن أُعين، فلا معونة فىّ، لا أستطيع أن أنقذك من هذا الضياع، فيتطلع عندئذ إلى الآداب ويبدأ فى أن يكون صالحاً، لأنه من الصواب أن يكون صالحاً، ولأنه من العدل أن يكون صالحاً، عندئذ يصبح إنساناً باراً، يفعل كل شئ صائب، وأى شئ يجد أنه خاطئ، لايريد أن يفعله. ولكن أخيراً تصرخ الآداب: لا معونة فىّ، فأنا أيضا لا أستطيع أن أخلصك. وكل الأعمال الصالحة التى تعملها إنما لتضخم حقيقة إنك قد فعلت شراً فى الماضى». وهكذا يرجع إلى الديانة ويبدأ فى تقديم الذبائح، ويبدأ فى عمل أعمال الله الصالحة. ويبدأ فى أخذ نصيبه من الشركة، ويبدأ فى الكرازة، ويبدأ فى التعليم، ويرنم، ويصلى ويفعل كل شئ تعلمه الديانة وأخيراً تقول الديانة : لا معونة فى أيضاً ! لا أستطيع أن أعينك ! لا أستطيع أن أخلصك»، لأنه ليس ما يعرفه الإنسان ولا الأدبيات التى يمارسها الإنسان، ولا الديانة التى يعترف بها الإنسان، تخلصه خلاصاً أبدياً. بدون الإيمان بالمسيح.

بعد ذلك يفسر الرسول بولس طريق الله العجيبة للخلاص، التبرير بالإيمان. فيقول إن ما يطلبه الله هو أن يتخلى الناس عن ثقتهم فى أنفسهم ويبدأوا فى الإتكال عليه. وهذا أمر يصعب

سيكونون قادرين على السلوك باستقامة؟ لو أن الناس آمنوا فقط بالرب يسوع، فهذا الإيمان سيبدأ فى تغيير حياتهم. وسيوضح الرسول بولس هذا الموضوع فى هذه الرسالة إلى رومية. فسينتهى فى الإصحاح ١٢ : ١ –١٥ : ١٣ بعبارة رائعة عن الحياة التى تنتج عن هذا البر.

العنصر السادس : هو أن تلاحظ **كفاية الإنجيل**، إنه يعلن بر الله. وترد هذه العبارة سبع مرات فى هذه الرسالة، ويستحسن تسجيلها، فى ٣:٥، ٣:٢١، ٣:٢٢، ٣: ٢٥، ٣ : ٢٦، وهكذا نرى أن الإصحاح الثالث لابد أنه عن بر الله. ثم فى ١٠:٣ ترد العبارة مرتين. وهكذا ترد هذه العبارة سبع مرات أخرى فى هذه الرسالة. ودراسة هذه النصوص تعلن أن هذه العبارة هى عمليا مرادفة للقول بأن هذه هى طريقة الله لتبرير الفاجر. طريقة الله لسكب محبته بينما يُعظم ناموسه، هو ماينا قش هنا. فهو ليس ترجمة لبر الله، بل تفسيراً له. فبر الله يوجد فى تبرير الله. فنحن نعرف أكثر عن بر الله فى تبريره للخاطئ، عما يمكن أن نعرفه فى أى عمل ينجزه.

العنصر السابع والأخير : من هذا الإنجيل الذى جعل الرسول بولس لايستحى، هو **نتيجة الإنجيل**، فهذا هو أهم شئ. فالأهم هو ما هى نتيجة الإنجيل؟ ما هو ثمر كل هذا ؟ الجواب هو الحياة ! فيقول الرسول بولس البار يحيا بالإيمان. أو البار بالإيمان يحيا. وهذه العبارة مقتبسة من حبقوق ٢ : ٤.. فهذه الآية من العهد القديم يقتبسها الرسول ثلاث مرات فى العهد الجديد، هنا فى رومية ١ : ١٧، وفى غلاطية ٣: ١١، وفى العبرانيين ١٠ : ٣٨. والعبارة تعنى بكل بساطة أن الناس قد أعطاهم الله ما له. فالله له حياة بل هو الحياة، وقد أعطى الناس ما له عن طريق أنجيل المسيح الذى أعطى لهم. فهذه الآية تقول إنه على أساس الإيمان من الأول إلى الآخر.

نتيجة الإنجيل : حياة

هذه الطريقة من جعل الإنسان باراً هى «من الإيمان» «وللإيمان»، والكلمة المترجمة «من» هى الكلمة اليونانية «إك» فهى الطريق للخروج وعلى هذا الأساس تستخدم عن السبب الذى يتم به العمل المشار إليه، وينفذ ويكمل. وعليه : كيف تم هذا الخلاص وهذه الحياة التى صارت لنا؟ بالإيمان. وكيف تم هذا؟ بالإيمان. وكيف يثبت؟ بالإيمان. وكيف يظل إلى الأبد؟ بالإيمان.

وما الهدف من كل هذا؟ هذه هى الكلمة «لكى» وهى من الكلمة اليونانية «إير» وهى موجودة فى أعمال ٢ : ٣٨ حيث يقول «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح لغفران الخطايا»

الإيمان به. أليس كذلك؟ هذا تقريبا أجمل جداً من أن يكون حقيقة. فكل مايريده الله منى هو روح منكسر ومنسحق يؤمن ويثق فيه ويريد حقيقة أن يفعل مشيئته. وهكذا فى هذه النقطة، يجيب الرسول بولس على الذين يتهمونه ويدافع عن طريق الله للخلاص. يقول الذين يتهمونه: على أية حال، «هذه الخطة للخلاص تشجع الناس على أن يخطئوا». يصرخون : إنها ضد ناموس الله تماماً. إنك تجعل من الناموس شيئا غير مقدس». وجوابا على هذا يقول الرسول بولس: «كلا أنا لست كذلك بالمرة» ويفسر ببساطة كيف أن المسيحى يمكن أن يختبر الحرية والنصرة والأمن فى الأصحاحات من السادس إلى الثامن.

والإصحاحات من التاسع للحادى عشر مجرد جملة معترضة، حيث يناقش الرسول بولس حالة الأمة اليهودية. فهذه الإصحاحات ببساطة تبرر وتفسر وتدافع عن عمل نعمة الله على توالى القرون. كان هناك مؤمنون من اليهود فى كنائس رومية الذين قد يسألون بالطبيعة : حسناً وماذا عن إسرائيل؟ ما علاقة بر الله بهم فى هذا العصر الجديد من الكنيسة. وفى هذه الإصحاحات الثلاثة يبرر بولس قدرة الله على أن يخلص الخاطئ فى أى عصر بالإيمان الذى له فى المسيح.

الخاتمة

ثم يختم الرسول بولس بحل المشكلة عمليا، عن عمل بر الله فى حياة المؤمن. تبدأ هذه الخاتمة بالتكريس لله فى رومية ١٢: ١–٢، وتستمر فى الخدمة فى الكنيسة والعالم فى رومية ١٢ : ٣–٢١. ثم يتكلم الرسول بولس عن الطاعة للحكومة فى الإصحاح ١٣.. وفى الجزء الجميل من رومية ١٤:١ – ١٥ : ١٣ يقول لليهود والأمم، أقوياء وضعفاء، كيف يجب عليهم أن يعيشوا معاً فى إنسجام وفرح. فالضعفاء يجب أن يحملهم الأقوياء، والضعفاء لايجب أن يدينوا الأقوياء، بسبب قوتهم. ويفسر الرسول بولس خططه ويحيى أصدقاءه بالاسم فى الجزء الأخير من رومية ١٥، ١٦. وهو حوار غريب مدهش عن نعمة مدهشة فى سفر مدهش. وسيبدأ الإصحاح التالى بالحوار عن التعاليم التى تكمن وراء عمل الله العظيم فى خلاص الإنسان. يعطيكم الله سلاماً عظيماً بالإيمان بيسوع.

الفصل الرابع

الحالة الخاطئة للعقلانى والأخلاقى

رومية ١ : ١٨ - ٢ : ١٦

نظرة عامة ومقدمة

كان يمكن للرسول بولس أن يدخل إلى هذا الجزء من الرسالة، بمجرد القول: «المحكمة منعقدة الآن»، كان يمكنه أن يبدأ بهذه الطريقة. لأنه فى هذه النقطة من الرسالة، سيكون الموضوع هو طبيعة الإنسان الخاطئة. إن موضوع الرسالة هو بر الله ولكن الرسول بولس كان عليه أن يبدأ بفجور الإنسان، لأنه إلى أن يأتى الوقت الذى فيه يتحقق الإنسان من أنه خاطئ، لن يُقّدر نعمة الخلاص الذى يمنحه الله فى يسوع المسيح. فالرسول بولس يتبع النهج الأساسى الكتابى فى كتابة هذه الرسالة. فسيتحدث أولا عن الناموس ودينونة الناس تحت الناموس، ثم سيتحدث عن النعمة والخلاص الذى ستأتى به النعمة.

التعليم الخاص بالخطية

وسنركز دراستنا الآن على التعليم عن الخطية. ويُناقش هذا التعليم فى رومية ١ : ١٨ – ٣: ٢٠ . وبه ثلاث نقاط وخاتمة. والخاتمة تبدأ بكلمة «لذلك». فيتكلم الرسول بولس قبل كل شئ عن الشخص العقلانى وحقيقة أنه يعيش فى حالة الخطية. ففى ١ : ١٨ – ٣٢ نقرأ أن التعليم لايمكن أن يسمح لنا أو لايمكن أن يجعلنا نتجنب الخطية. ثم يتكلم الرسول بولس عن الشخص الأخلاقى، الإنسان الذى يفعل الصواب، وحالته الخاطئة. ففى الإصحاح ٢: ١ – ١٦ لايمكن للأخلاق أن تنقذنا من الخطية. ونتكلم عن المتدين، وبخاصة اليهودى وحالته الخاطئة. ففى ٢ : ١٧ – ٣ : ٨ لايمكن للممارسات الدينية أن تمحو الخطية. ويأتى الرسول بولس إلى «خاتمة» هى أن «الجميع تحت الخطية»، فالعقلانى والأخلاقى والمتدين جميعهم تحت الخطية.

حالة العقلانى الخاطئة

لا عذر للخطية

نلاحظ أول كل شئ حالة العقلانى الخاطئة تبدأ فى رومية ١ : ١٨. ففى ١ : ١٨ – ٢٠ يتكلم الرسول بولس قبل كل شئ عن أنه لا عذر لعدم الإيمان.

> «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم، إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلاعذر».

أبيض

لاحظ فى آية ٢١ انحطاط ديانتهم. لقد عرفوا الله ولكنهم لم يمجدوه كإله. ولم يشكروا الله وصارت قلوبهم غبية فأظلمت: فلم يبدأ الإنسان مشركا يعبد عدة آلهة وإرتقى حتى أصبح يعبد الإله الواحد، بل بدأ عابداً للإله الواحد ثم انزلق إلى عبادة الكثيرين من الآلهة. هذا هو قانون الإرتداد. فلا أثر هنا لتعليم نظرية النشوء والإرتقاء، ليس أن الإنسان بدأ من أسفل ثم إرتقى إلى أعلى، بل لقد بدأ الإنسان من أعلى وانحدر إلى أسفل.

لاحظ فى الآيات ٢٢، ٢٣ تدهور ذكاء الإنسان.

«وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذى لايفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات».

فمثلا كان آدم من المهارة والذكاء حتى إنه أستطاع أن يطلق على كل الحيوانات أسماءها البيولوجية كان عاملاً مع الله. ولكنه عندما أكل من الثمرة وبدأ حياة الخطية التى أدت إليها معرفته، كان عليه أن يهرب من الله. وقبل أن يمضى زمن طويل، بدأ الإنسان يحط من قدر الله كما تذكر الآية ٢٣ : «أبدلوا مجد الله الذى لايفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات». وتستطيع أن ترى أنه فى تاريخ الديانات الوثنية، عبدوا الإنسان، مثل فرعون مصر، أو فى عصر الرومان عبدوا قيصر روما أو أبولو اليونانى وعبدوا الطيور، نسر روما، والعجل فى الهند، والزحافات، كالأفاعى فى أشور حتى إلى الإله الرئيسى فى مجموعة الآلهة المصرية كان «الجعل» (ذكر الخنفساء) أى حشرة حقيرة. هل يمكنك أن تتصور أن يسقط الإنسان إلى الدرجة التى يعبد فيها الحشرات؟ واليوم يعبد الناس سياراتهم وبيوتهم وأعمالهم والمخدرات أو السجائر التى يدخنونها. لقد هبطنا من إيمان عظيم بالله إلى عدم الإيمان به حتى وصلنا إلى درجة عدم الإيمان بشئ تقريبا.

ترك الله لهم لعدم الإيمان

لم يكن فى الإمكان أن يحدث سوى شئ واحد هو أن يتركهم الله لذواتهم بسبب عدم الإيمان، ابتداء من رومية ١ : ٢٤ – ٢٥.

«لذلك أسلمهم الله أيضا فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم. الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد آمين».

وهنا نرى أن الله أسلمهم لعبادة الأوثان، لمحبة الأشياء الخاطئة. فاستبدلوا حق الله بالكذب، وعبدوا واتقوا الأشياء المخلوقة لا الخالق. لقد نسوا من الذى كان عليهم أن يعبدوه.

إعـلان الله

لاحظ إعلان الله المثلث عن نفسه.

أولا : أعلن غضبه. فغضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم، وهو معلن فى الدينونات التى يصبها الله على الأرض، وسواء كان الشخص يؤمن بيهوه أو لا يؤمن، سواء كان قد قرأ الكتاب المقدس أو لم يقرأه، فعندما تأتى الدينونات العظيمة من الطبيعة أو الحرب على الإنسان، فهو يتطلع إلى فوق، يفكر الإنسان فى خالق، ويفكر الإنسان فى إله غاضب، ولهذا السبب قال إشعياء فى ٢٦ : ٩ب: «لأنه حينما تكون أحكامك فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل». وهكذا قد أعلن الله غضبه وأحكامه.

ثانيا: هناك معرفة فطرية، حسب آية ١٩، معرفة طبيعة معلنة فى وعى الإنسان الباطن. وقال الرسول بولس إن معرفة الله (مايُعلم عن الله) ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن الله قد أعلن شخصيته أصلا للإنسان، ففى داخل الإنسان حاجة لاتشبع نحو الله، فإذا لم يكن يعرف الإله الحقيقى، فسيخلق له آلهة كاذبة، سيبدأ بنفسه ثم يتدنى إلى أن يعبد فى النهاية الحشرات وديدان الأرض. وقال سليمان فى سفر الجامعة إن الله قد جعل الأبدية فى قلب الإنسان (جا ٣ : ١١). قد لا نفهم ذلك، وقد لايلزمنا فهم ذلك، فهى كلمة الله لا كلمة إنسان. وقد لانفهم كيف فعل الله ذلك، ولكننا نعلم أنه أينما ذهبنا فى هذا العالم فإن الناس يؤمنون بشئ ما غير نفوسهم، إذ يجب أن يكون لهم إله لأن الله أعلن نفسه داخل قلب الإنسان.

ثالثا: إن قدرة الله السرمدية ولاهوته، ألوهيته، معلنة فى الخليقة، معلنة فى كل شئ فى الخليقة، فهناك استنارة، فهى ظاهرة لأن الله قد أنارها. فما هو المعلن؟ قدرة الله الإلهية ومعرفته الكاملة، نظامه وحكمته قد أعلنت. ومتى أعلنت كل هذه؟ منذ خلق العالم. وكيف أعلنت؟ فى أعماله، فلا عذر لعدم الإيمان، لأن الله قد أعلن نفسه.

عاقبة عدم الإيمان

فى رومية ١ : ٢١ – ٢٣ لاحظ النتائج الحتمية لعدم الإيمان :

«لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله، بل حمقوا فى أفكارهم، وأظلم قلبهم الغبى. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذى لايفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات».

ولكن النقطة الهامة هى أن الله أسلمهم إلى نوع من الذهن الذى لايمكن أن يصدر أحكاما أدبية سليمة. واليوم عندما يُسأل البعض: لماذا تركوا حياتهم لتصبح بالغة الشر، أو لماذا صارت حياتهم فوضى، فكثيراً ما يكون الجواب: لا أدرى. أنا لا أفهم لماذا فعلت ذلك وهم يقولون لك الحق، لأن الله قد أسلمهم لذهن مرفوض، وهم غير قادرين أن يصدروا أحكاما أدبية صالحة. وهذه حالة كل إنسان يحاول أن يكون صالحاً بدافع عقلانى.

حالة الأخلاقى الخاطئة

عشرة مبادئ لحكم الله الأخلاقى

على أية حال، هناك أناس ليسوا لا أخلاقيين، سواء بين اليهود أو الأمم، وهم يفتخرون أو يعتمدون على ممارساتهم الأخلاقية. وهؤلاء هم الناس الذين يتكلم عنهم الرسول فى رومية ٢: ١ –١٦. وهو ليس فصلاً سهلاً فى تعليمه لأنه مما يثير الاشمئزاز التفكير فى الحالة الساقطة للإنسان، بل يبدو أنه حيث أن الرسول بولس يقول كل هذا بسرعة، أنه كان يشتاق إلى الانتهاء من هذا الجزء لكى يصل إلى الأخبار الطيبة، فهذا الجزء هو الخبر السئ، وهو أن الإنسان العقلانى هالك، وأن الإنسان الأخلاقى هالك أيضا، وأن المتدين هالك أيضا. والرسول بولس – مثلنا – لايريد أن يطيل الكلام فى الأخبار السيئة، ولذلك قال كل هذا بسرعة.

ويذكر الرسول بولس فى هذه الآيات الستة عشر عشر مبادئ لحكم الله الأدبى للذين يريدون أن يكونوا أبراراً، وللذين يحاولون أن يكونوا أبراراً بسبب مايعملون، بسبب أخلاقياتهم، وبسبب برهم الأدبى واستقامتهم.

أولا : إذا وقفت للدينونة بدون المسيح، محاولاً أن أخلص على حساب سلوكى الأدبى، فإن الدينونة ستقع علىّ لذنبى، حيث أنه يقول فى رومية ٢ : ١ «لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان..» فالعقلانى بلا عذر، مهما يكن ليس لهم عذر. «لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها» فالإنسان الأخلاقى يدان أكثر لأنه يفعل إلى حد ما نفس الشئ الذى يدين الأخرين لأجله.

ثانيا: أن هذه الدينونة ستكون حسب الحق لأن ٢ : ٢ يقول : «ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق» ولعل أفضل ترجمة لهذه : «مبنية على أساس الحق» ففى إدانته للآخرين، فإن الأخلاقى يعلن : «إننى بلا خطية» وهكذا يدين نفسه بأنه كذاب لأن يوحنا قال : «إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذبا وكلمته ليست فينا» (١يوحنا ١ : ١٠).

إنها لمأساة حقا، ولكن الله أسلمهم فعندما تسلم نفسك لشئ ما، فإن الله سيسلمك لهذا الشئ ليس لأن الله أحمق بل هو محب كما يجب أن يكون. الله يريد من الإنسان أن يتوب، وأحيانا تكون الطريقة الوحيدة لتوبة الإنسان هى أن يصل إلى قرارة نفسه فيكتشف إن عليه أن يؤمن بالله ويتوكل عليه. فالله فى محبته كما هو فى حكمه. ولكن الله فى محبته قد أسلم أولئك الأمم لدوافهم العقلية، وقد أدى ذلك إلى حقيقة أنهم استبدلوا مجد الله بشبه الأشياء الخاطئة.

فى رومية ١ : ٢٦ – ٢٧ أسلمهم إلى محبة الأشياء الخاطئة، للشهوانية والعيشة الخاطئة. لذلك أسلمهم الله لشهوات مخزية:

«حتى إن نساءهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة»، وهو السحاق.
«وكذلك الذكور أيضا تركوا استعمال الإنثى الطبيعى واشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض».
وهذا هو اللواط «فعل الرجال الفحشاء ذكوراً بذكور، نائلين فى أنفسهم جزاء انحرافهم».

فما تحبه لابد أن يؤثر فى كيف تعيش. لأنهم يحبون الأشياء الخاطئة، فى الوثنية بدأوا يعيشون عيشة خاطئة فى حياة شهوانية. فمحبتهم للأشياء الخاطئة، أدت إلى كل أنواع الحياة الخاطئة. ولكن الرسول بولس يركز على أسوأ هذه الأشياء ليبين مدى الأعماق التى يهبط إليها الإنسان عندما يترك بمفرده. فلو أن كل مالدىّ هو مايمكن للإنسان أن يعلمنى إياه، وإذا كان كل ما أستطيع أن اكتشفه هو ما أستطيع أن أتعلمه فى الجامعات وبين فلاسفة العصر، فلابد أن أحب الأشياء الخاطئة وأحيا بطريقة خاطئة.

وفى رومية ١ : ٢٨ – ٣٢ سيتحدث الرسول بولس عن الحقيقة أن الله أسلمهم إلى ذهن مرفوض (إلى الفسوق)، أى التفكير الخاطئ، وعندما تفكر تفكيراً خاطئاً، فهذه هى نهاية الأمر. فبداية من ١ : ٢٨ نقرأ.

«وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لايليق، مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث. مشحونين حسداً وقتلا وخصاماً ومكراً وسوءاً. نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولاعهد ولاحنو ولارضى ولارحمة، الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لايفعلونها فقط، بل أيضا يُسرُّون بالذين يعملون».

فالمحبة الخاطئة التى تتبعها حياة خاطئة، تؤدى إلى تفكير خاطئ. فلإنهم رفضوا أن يبقوا الله فى معرفتهم ولم يستحسنوا أن يذكروا هذا، أسلمهم الله إلى ذهن فاسق ليفعلوا هذه الأشياء التى لاتليق. ويذكر الرسول بولس قائمة من نحو ٢١ من هذه الأشياء فى هذا النص، وتوجد قوائم أخرى فى فقرات مثل غلاطية ٥، ويعقوب ١ مع الكثير من الفقرات الأخرى التى تتناول كل خطايا الإنسان الفردية.

«أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولايطاوعون للحق، بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر، اليهودى أولا ثم اليونانى، ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح، اليهودى أولا ثم اليونانى».

فستكون هناك مكافآت كثيرة لأولئك الذين طلبوا الله. وهذه المكافآت تُنال بالإيمان. واليست هذه الطريقة الوحيدة التى يمكن أن يُطلب بها الله حقيقة؟ فقد اكتشفنا أنه لايمكن طلبه بالعقلانية، وها نحن نكتشف أنه لايمكن أن يُطلب بالأخلاقية. وسنكتشف فى رومية ٢ : ١٧ أنه لايمكن أن يُطلب بالديانة، بالأعمال أو بالناموس. إذ طلبنا الله بالإيمان، فسننال من الله المجد والكرامة وعدم فساد وسلام وحياة أبدية. ويالها من مكافآت رائعة هذه! ولكن إذا كنا نطلب ذواتنا أو نسعى وراء أمورنا الذاتية أكثر مما نطلب أمور الله، إذا رفضنا الحق، وإذا اتبعنا الشر، إذا سعينا وراء ملاذنا وشهواتنا ورغباتنا: فلابد أن الدينونة ستأتى بالسخط (سخط الله) والغضب (غضب الله) وشدة (لنا) وضيق (لنا). فسخط الله وغضبه سينصبان علينا فى الشدة والضيق اللذين سيعانيهما للأبد.

ونرى فى رومية ٢ : ١١ **المبدأ الثامن**، أن هذه الدينونة «غير متحيزة» فى فحصها، فيقول الرسول بولس: «لأن ليس عند الله محاباة». وهذه الدينونة، أو هذه المكافآت ستأتى أولا لليهود ثم للأمم، والسبب فى هذا هو لأن الله ليس لديه أثيرون فالله لامحاباة عنده، لايتصرف بانحياز، فستكون هذه الدينونة بلا انحياز فى إجراءاتها. فلن يهم من أنت. ولن يهم من أين جئت. ولن يهم من أية ديانة أنت. لاشئ من هذه الأشياء ستكون له أى أهمية، الشئ الوحيد الذى ستكون له أهمية فى ذلك اليوم هو ماذا فعلت إذا وقفت بدون يسوع كبرّك.

وفى رومية ٢ : ١٢ – ١٥ نجد **المبدأ التاسع** الذى يقرر أن الدينونة عامة شاملة للجميع فى مداها، إذ نقرأ:

«لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك. وكل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يدان. لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون. لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ماهو فى الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم. الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا فى قلوبهم شاهداً أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة».

وهذا جزء صعب، فالرسول بولس يقول بكل بساطة إن هناك دينونة للذين بلا ناموس، لأنهم يخطئون، وللذين تحت الناموس لأن الخطية هى التى تدين وليس الناموس وفى حديثه للأمم أو

ثالثا: يقول فى رومية ٢ : ٣ إننى إذا وقفت بدون يسوع فى الدينونة، فلا مهرب من الدينونة فى تأثيرها . «أفتظن هذا أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله». لا أستطيع أن أنجو من دينونة الله. فلا أستطيع الهروب من دينونة الله، لايمكن الهروب من ذلك اليوم . فيقول فى عبرانيين ٩ : ٢٧ «كما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» فبدون المسيح برّنا، فيوم الدينونة هو يوم دينونة.

رابعا : إذا وقفت للدينونة بدون يسوع. فإن الدينونة ستأخذ فى الإعتبار حقيقة أن صلاح الله قد كان متاحاً على الدوام، إذ يقول فى رومية ٢ : ٤:

«أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة»؟

فأعظم إمتحان ليس هو حقيقة أننى قد انتهكت البر، ولكن هو إننى قد إحتقرت الرحمة. وعندما أقف أمام الله بدون الإيمان بالمسيح، الذى كان متاحاً لى، فإننى أقف هناك قائلا لله: «أنا لا أهتم إطلاقاً بلطفك، أنا لا أهتم إطلاقا بمحبتك. أنا لا أهتم إطلاقاً برحمتك. إننى أقف هناك لأنال ما استحق». والحق هو إننى سأنال ما استحق.

خامسا : نرى مبدأ الدينونة. فليست هناك دينونة فى المستقبل فقط، بل هناك دينونة فى الحاضر. فيقول فى رومية ٢ : ٥:

«ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا فى يوم الغضب وإستعلان دينونة الله العادلة».

إن الدينونة عملية مستمرة، فهى حادثة الآن، ولكنها ستصل إلى ذروتها فى الأبدية. إننى مطرود خارجا لأننى وقفت هنا بدون يسوع كبرى، وبدون إيمان أمتلكه. إننى مطروح فى جهنم أبدية. هذا هو المستقبل الذى ينتظر الأخلاقى.

سادسا : يعلن مبدأ آخر للدينونة : فيقرر فى رومية ٢ : ٦ أن مبدأ الدينونة مؤسس على عدالة الله فإذا وقفت فى الدينونة بلا يسوع الذى هو عدالتى، وبدون إيمان أمتلكه، فالله سيعطينى حسب ما قد فعلته. فإذا ذهبنا إلى الدينونة بدون يسوع. فسندان حسب أعمالنا، وهذا سيكون معناه أننا سنُدان أبديا حسب ما تستحقه أعمالنا . وثمة جدال وأخذ ورد كثيرا حول هذا، ولكننا نعلم أنه حق، لأنه واضح هنا . إذا ذهبنا إلي الدينونة بدون يسوع كبرنا، وبدون إيمان نمتلكه، فسننال العقاب الذى تستحقه أعمالنا .

والمبدأ السابع نجده فى رومية ٢ : ٧ – ١٠ . وهذا المبدأ هو أن هذه الدينونة سيكون بها مكافآت وندامة. إذ نقرأ :

عنهم، قال إنه إذا فعل الأممى مايقوله الناموس، بدون أن يكون قد قرأ الناموس إطلاقاً، فإن هذا وحده يثبت أن الناموس مكتوب فى قلبه. ويقف ليس فقط مدانا بل تحت دينونة مع اليهود الذين أُعلن لهم الناموس، ولم يفعلوا أفضل من الأمم فى طاعته فالعالم هالك. إنه هالك تماماً. فأى شخص ليس له يسوع براً له، والإيمان كمحرك له وواقع حياته، فان هذا الشخص مدان. وليس ذلك لأنه ليس تحت ناموس الله. فكل شخص فى كل العالم هو تحت ناموس الله. فلايوجد شخص واحد فى هذا العالم، لا خطأ فى حياته. قد لايكون له معرفة. بالتعريف الكتابى للسرقة أو الزنا، ومع ذلك فإن كل شخص يعرف أن هذه الأشياء خطأ. فهناك إدراك عام شامل للصواب والخطأ فى العالم.

والمبدأ العاشر نجده فى رومية ٢ : ١٦ فمرجع الدينونة هو إنجيل المسيح. فستحدث الدينونة فى اليوم الذين فيه سيدين الله سرائر الناس بيسوع المسيح كما يُعلن الإنجيل. فعندما تأتى الدينونة، فلن يكون الأمر مجرد موضوع الخطية، كما هو واضح من هذه الآية، بل سيكون الابن هو موضوع القضية. كيف عاملنا نحن يسوع ؟ فلنا حياة جديدة مؤسسة على رب جديد هو يسوع المسيح.

خاتمة

ما هى النغمة التى سمعناها فى هذه الآيات؟ يتكلم الرسول عن بعض الأمور المتيقنة الهائلة. و**أول** هذه الأمور المتيقنة هو **يقينية الدينونة نفسها**. تستطيع أن تتيقن منها فهى آتية لاريب فيها. **ثانيا** – هو **شمولية هذه الدينونة**. فهى دينونة ستشمل كل الجنس البشرى. ثم هناك **مبادئ هذه الدينونة** التى سيدان الإنسان بناء على حقائقها، وستكون **نتيجة هذه الدينونة**. إما الجزاء النهائى مع يسوع أو الدينونة فى جهنم. ويجب أن نتفرس فى هذه الحقائق فى ضمير كل إنسان . فهى تثبت أنه لاسبيل لخداع النفس فى أمر هذه القضايا بالغة الأهمية المتعلقة بالصواب والخطأ. فالقصد منها هو أن ترشد، فإذا طُبقت بشكل صائب، فستؤدى بلا شك إلى التبكيت بالخطية والتوبة أمام الله. هذا ما أعلنته رومية ٢ : ٤. هذا درس سريع، ولكن يجب أن نذكر على الدوام أن الرسالة إلى رومية كتبت لتقرأ بنوع من العجلة حتى يمكننا إدراك فحوى وسياق مايريد الرسول بولس أن يقوله. تأمل أيضا فى رومية ١ : ١٨ – ٢ : ١٦ لبعض التفاصيل الأخرى، وتأمل الخطايا الشخصية التى يدان من أجلها الإنسان، وفى طبيعتها التى لامهرب منها عن طريق معرفة الإنسان أو طبيعته. وماذا فى الديانة؟ بالتأكيد يمكن للديانة أن تنقذنا من ذلك، وسيكون هذا موضوع الفصل التالى. ليتك تجد فكاكا من الخطية وسلاماً مع يسوع.

الفصل الخامس

الحالة الخاطئة للمتدين

رومية ٢ : ١٧ - ٢٩

نظرة عامة ومقدمة

بعد تقرير مبادئ الدينونة الإلهية فى رومية ١ : ١٨ – ٢ : ١٦، يتوجه الرسول بولس فى الإصحاح ٢ : ١٧ مباشرة إلى اليهود ليثبت لهم خطورة شرهم. فاليهودى يتعلم بوضوح أن الامتيازات الخاصة لايمكن أن تحصنه من دينونة الله إذ ظل فى طاعة الشر.

لقد أوضح الرسول بولس فى رومية ١ : ١٨ – ٣٢ أن الأمم سيدانون بسبب عدم برهم. وفى رومية ٢ : ١ – ١٦ يتعلم الأخلاقى المتكل على بره الذاتى، سواء كان يهوديا أم أمميا، نفس الدرس. وهذا القسم ٢ : ١٧ – ٢٩ يثبت دون أى ريب أن اليهود قد فشلوا فى حفظ الناموس. واليهود يمثلون فى دراستنا، كل الذين يتكلون على وضعهم الدينى أو انجازاتهم الدينية. مثل هذا الشخص كاليهودى، له بصيرة أقوى، ولكن كبرياءه واكتفاءه بذاته لاجدوى منهما، وليس لا جدوى منهما فحسب، بل هما خطيران ايجابيا، فإنهما يزيدان فى دينونة وأخيراً يؤديان إلى أن يُهان اسم الله بين الأمم.

إدعاءات الامتيازات اليهودية

نجد فى رومية ٢ : ١٧، ١٨ إدعاء الامتيازات اليهودية : «هوذا أنت تسمى يهوديا» وتتكل على الناموس وتفتخر بعلاقتك بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلما من الناموس... «توجد ست إدعاءات مختلفة فى هاتين الآيتين. ولهذا نحن نقف هنا، فى منتصف القراءة، حتى نستطيع دراسة هذه الإدعاءات.

فالإدعاء الأول كان هو اسم اليهودى، فيقول الرسول بولس : «إذا كنت تدعو نفسك يهودياً» وكان هذا إدعاء قوميا وعرقيا. ولكنهم ظنوا أن كونهم يهودا، يجعلهم أفضل من الأمم، أنه جعلهم أسمى ومنحهم امتياز القبول عند الله. لقد نسوا ما قاله لهم حزقيال مراراً عديدة، وبخاصة ما جاء فى حزقيال ١٨ : ٢٠. فهذه الآية تناقش حقيقة أن البر ليس وراثيا، فالابن لايرث بر أبيه ولاخطيته. فكونك يهوديا أو كونك أمريكيا، أو كونك صينيا أو روسيا لايمنحك أى إمتيازات أمام محكمة الله. قد يعطى بعض الامتيازات فى الحياة الطبيعية بالنسبة للبيئة أو الثروة، أو الموارد الطبيعية فى المنطقة، ولكنه لا يعطى أى امتياز أبدى أو دينى كونك من أمة معينة أو طبقة اجتماعية معينة.

أبيض

كانوا يستطيعون أن يعرفوا ماهو الأفضل أى القدرة على التمييز بين أشباه الصواب والخطأ. وأيضاً يمكن أن هذا الإدعاء كان حقا لأن الناموس قد تكلم عن بعض الجرائم التى كان يجب على الشخص أن يعاقب ببساطة بالتعويض، أو بعض الجرائم التى كانت تستلزم عقوبة الموت، أو عن بعض الخطايا التى كانت تستلزم فقط ممارسة بعض الطقوس كالاغتسال. فالله يجعل من الواضح جداً أنه ليس كل الأخطاء سواء فى نظره. فكل الأخطاء خطأ، ولكنها ليست متساوية فى الخطأ. فلو كانت متساوية فى الخطأ، لكان الشخص الذى لمس جثة ميتة، يجب أن يرجم حتى الموت مثله مثل الشخص الذى قتل ذلك الشخص الذى كان يرجم حتى الموت. وهكذا نرى أنه فى الناموس كانت لهم القدرة على التمييز بين أشباه الصواب والخطأ. وألا يؤدى هذا إلى دينونة أعظم؟ إذا كان الشخص يستطيع أن يميز، ليس فقط الصواب من الخطأ، ولكن الصالح من الأفضل، والأفضل فما هو أفضل منه، أفلم يكن يجب عليه أن يلتزم بعمل الأفضل الذى عرف كيف يفعله ؟

وكان إدعاؤهم السادس هو امتلاك معرفة خاصة كما نرى فى آخر جزء من ١٨:٣. كانوا يدّعون هذا لأنهم كانوا متعلمين من الناموس. والكلمة المترجمة هى «متعلمين» هى الكلمة التى أشتقت منها الكلمة الإنجليزية التى تعنى كتاب التعليم بالسؤال والجواب، وهو كتاب عبارة عن قائمة! إفعل ولاتفعل، إنه مجموعة من القوانين والقواعد والتعليمات. قائمة بالأمور التى تجعلك جزءاً من ديانة معينة أو جماعة معينة. وكان اليهودى يعرف مثل هذه الكتب جيدا، ولكنه قد نسى أن المستوى الرفيع من التعليم يستلزم مستوى رفيعا من الحياة. ثم أيضا لا جدال فى أن اليهود كان لهم امتيازات خاصة جداً. لقد كانت لهم هذه الستة امتيازات بسبب علاقتهم بناموس الله. ولكن النقطة الهامة هى أن علاقتهم لم تعطهم الحق فى القبول أمام الله أو الرضا عنهم. فكان يلزمهم شئ آخر قبل أن يستطيعوا أن ينالوا رضا الله.

الإدعاء اليهودى بالتفوق

يتكلم الرسول بولس فى رومية ٢ : ١٩ – ٢١ فى إدعاءات اليهود بالتفوق. فلم يدعوا فقط بأنهم ممتازين ولكنهم ظنوا إنهم بسبب هذا الامتياز فإنهم أسمى من الآخرين، فيقول الرسول بولس:

> «إذا كنت تثق إنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة، ومهذب للأغبياء، ومعلم للأطفال. ولك صورة العلم والحق فى الناموس. فأنت إذاً الذى تعلّم غيرك، ألست تعلم نفسك؟».

وكان **الإدعاء الثانى هو الوثيقة (العهد)**. هذا الإدعاء اليهودى هو أنهم يعتمدون، يستندون ويتكلون على الناموس. إنه من الحق أن الناموس قد أُعطى لهم ليدعمهم، ولكن ليس ليجعلهم أبراراً. سنرى مراراً، كما قد رأينا، أن البر لايمكن الحصول عليه بالناموس. كان الناموس يدعمهم بأن يجعلهم يدرون بخطيتهم، وماهو معنى الخطية، ولذلك يتجنبون الخطية. ولكن إتكال كاسر الناموس على الناموس، هو غباوة. فأنت لا تستطيع أن تعتمد على ما تعديت عليه. لاتستطيع أن تستند على ماكسرته. لقد كسر اليهود الناموس، لذلك كان إتكالهم على الناموس الذى كسروه، أمراً مضحكاً.

والإدعاء الثالث كان إلها. إذ كان اليهود يفتخرون بعلاقتهم بالله. فزعموا أن يهوه هم إلههم وحدهم. إنه لمن الحق أنه كانت لهم علاقة خاصة بيهوه، فقد اختارهم يهوه باعتبارهم الأمة التى سيأتى منها النسل، يسوع المسيح. ولهذا السبب أعطاهم الله ناموسا لم يعطه لأحد آخر، وأرسل لهم أنبياء لم يرسلهم لأحد آخر. ومنحهم بركات لم يعطها لأحد آخر. ولأجل هذا زعموا أن الله منحاز لهم، وأنهم الشعب المفضل عند الله، وأن الله لهم ولهم وحدهم. وهذا ما يشعر به بعض الناس الآن، فيفتخرون بأن الله هو إلههم بخاصة. وهؤلاء عادة هم الشعب الذين ينكرون معرفته لأعداد لاتعد من النفوس. كان هذا هو الموقف مع اليهودى، فقد إدعى إن الله هو إلهه وحده، وبسبب هذا لم يشعر بأى حاجة لمشاركة آخرين له فى الله.

وكل هذه الإدعاءات هى حق فى الأساس، فقد كان لهم كل أمر من هذه الأمور، فقد كانوا شعبا ذا امتيازات. ففى رومية ١:٣ يُسأل هذا السؤال: إذاً ما هو فضل اليهودى؟ ويجيب الرسول بولس: «كثير على كل وجه»! فأول كل شئ: لقد استؤمنوا على أقوال الله» (رومية ٢:٣). وهكذا كان لليهود امتيازات، وإدعاءاتهم كانت فى محلها وعلى أية حال، سنكتشف أن فشلهم فى أن يحيوا حسب هذه الإدعاءات جعلهم أكثر استحقاقا للملامة.

وكان إدعاؤهم الرابع هو المعرفة، إذ نقرأ فى رومية ٢ : ١٨ ... «وتعرف مشيئته»، هكذا يقول الرسول بولس. فهم لم يعرفوا الحقائق فقط، بل عرفوا مشيئة الله» هل كان هذا حقا؟ يمكن هذا، لأننا عندما نقرأ العهد القديم، لانقرأ فقط حقائق تاريخية، ولكنك ترى رد فعل الله على ما عمله إسرائيل، وتعرف مشيئته فإذا كانوا قد عرفوا مشيئته، وإذا كان هذا الإدعاء حقا، فإن هذا وحده يكفى لأن يؤدى إلى دينونة أشد عليهم لفشلهم فى عمل مشيئته.

الإدعاء الخامس كان التمييز كما نراه فى الجزء الأخير ٣ : ١٨ حيث يقول إنهم كانوا يستطيعون التمييز بين الصواب والخطأ فى مشيئة الله، ويقول إنهم كانوا متعلمين تماماً،

مربى. وكلتا الدعوتين، مثل كل دعواتهم صحيحة إلى حد ما. كان لهم تحت تصرفهم، فى العهد القديم وفى أعمال الرب يسوع التى كانوا يستطيعون التأمل فيها، القدرة على أن يكونوا معلمين مهذبين للأطفال ومعلمين للأطفال. على أية حال، كان يلزمهم أن يدركوا أن الأطفال فى حاجة إلى قدوة أكثر مما يحتاجون إلى مجرد التعليم. إن الأمر يشبه شاعرا كتب أنه يفضل أن يرى عظة أفضل مما يسمع شخصا فى يوم من الأيام، إنه يريد شخصا يسير بجانبه أفضل من شخص يشير له إلى الطريق. هذه هى مشكلة اليهود. فهم يريدون أن يرتفعوا فوق الناس لأنهم يظنون أنهم أعلى من الآخرين، يريدون أن يجلسوا فى الأعالى، ويكتفوا بالإشارة إلى الطريق قائلين: «هاهى الطريق التى يلزمك السير فيها»، «هكذا يجب أن تعيش». فباستمرار يعتبرون أنفسهم السادة لنفوس الآخرين.

إن أعظم مشكلاتهم – على أية حال – هى الإدعاء فى الجزء الأخير من ٢ : ٢٠، **حيث إدعوا أنهم كانوا ناضجين بسبب الناموس**. فيقول فى الآية ٢٠ إنهم كانوا يدعون كل هذه الإدعاءات لأنه كان لهم الناموس الذى يتجسد فيه كل العلم والحق. كانوا يظنون أن الناموس احتوى كل الحق الموجود، كانوا يظنون أنه احتوى التجسيد الإجمالى لكل العلم ولكل الحق. وما لم يدركوه هو ما أعلنه الرسول بولس فى تيموثاوس ٢ : ٣ : ٥ وهو أن الناموس كان صورة فحسب. بل لم يفهموا ماقاله الرسول بولس فى تيموثاوس ٣ : ١٤ – ١٧ من أن الناموس كان مجرد جزء من إعلان الله. ونحن نعرف الرب يسوع ليس فقط مما كُتب ، بل من الحياة التى عاشها.

ومراراً كثيرة الآن نعتقد أن المسيحية صورة إلى مدى بعيد. وينتج عن هذا التقيد الحرفى كما بيناه فى الدرس الأول. ونحن نعتقد أن المسيحية مجرد صورة علينا تكرارها، علينا أن نمثلها، أن نتغنى بها أن نستظهرها وأن نقتبسها. إنها يجب أن تكون صورة تغيرنا وتغير مدينتنا المادية، حتى يمكننا أن نصبح أشبه بالرب يسوع. هذه هى الدعاوى، وهذه الدعاوى ليست زائفة بالمرة. فكل إدعاء من تلك الإدعاءات حق. لقد كان لهم فعلا امتيازات عظيمة. لقد أُعطى لهم الحق فى أن يكونوا قادة ومانحو نور ومعلمين. ولهم فى الناموس على الأقل صورة الحق والتقوى، فلو أنهم آمنوا وانتظروا إعلانا آخر من الله، لجاء ذلك بهم إلى الإيمان بيسوع المسيا، ولكان لهم الخلاص الذى تقدمه هذه الرسالة.

دحض الإدعاءات بدعوى الله المضادة للمسئولية

نجد فى رومية ٢ : ٢١ – ٢٤ دعاوى الله المضادة. فعندما أدعى التفوق، يسمع الله، ويلزمنى أن أتذكر أنه فى بعض الأحيان أنسى أن الله يسمع، وهكذا أقول كثيراً من الأشياء التى كان

كان هناك أول الكل الإدعاء بالقيادة فى آية ١٩، فقد إدعى اليهود بأنهم قادة للعميان: وكلمة «قائد» تدل على إدعائهم بأنهم كانوا يستطعيون أن يرشدوا إلى الطريق من خلال ما تعلموه. لقد وصلتهم كلمة الله، فلم يكونوا مثل أولئك «الأمم العميان» لقد رأوا الطريق، وحيث أنهم رأوا الطريق، فإنهم إدعوا أنهم قادة للذين كانوا أيضا على الطريق، ولكنهم فى الحقيقة لم يكونوا قادة (أو مرشدين)، لقد عرفوا الطريق، حتى الرب يسوع يقول إنهم يعلمون الطريق ولكنهم لم يسيروا فى الطريق، كانوا يقولون ماكان صوابا، وفرضوا على الآخرين ماهو حق، ولكنهم هم أنفسهم لم يتبعوا ذلك الطريق: ولايكفى أن تدل على الطريق، بل يجب على الإنسان أن يسير فى الطريق. فالراعى لا يشير إلى حيث يريد أن تذهب الخراف، بل يسير فى الاتجاه الذى يريد أن تسير فيه الخراف. وهو لايشير للخراف إلى الماء الذى يريدها أن تشرب منه، بل ينزل إلى الماء ويشرب منه هو نفسه.ولايشير للخراف إلى المرعى الذى يريدها أن تستريح فيه، بل يذهب ويضطجع فيه هو بنفسه. عندما سُئل بطرس عما عليه أن يفعله فى يوحنا ١٩:٢١، قال له الرب يسوع شيئا واحداً : «إتبعنى أنت»، فهو لم يشر له إلى الطريق ويقول: «إذهب هناك يابطرس» بل قال له : سر حيثما رأيتنى أسير، وإذهب حيثما رأيتنى أذهب». وهكذا إدعى اليهود أنهم قادة، وهو ماكان يجب أن يكونوه، لأنه كانت لهم كل الوسائل اللازمة ليكونوا رعاة، ولكنهم كانوا يأكلون الخراف بدلاً من قيادتها.

ثم إدعى اليهود فى الجزء الثانى من ١٩:٢ أنهم نور، أو مانحو النور، فلم يدعوا فقط أنهم قادة للعميان، بل أيضا «نور للذين فى الظلمة». ومرة أخرى هذا الإدعاء صحيح لدرجة ما. فمن الذى قدم لنا الأنبياء؟ هم اليهود. من الذى أعطانا المزامير؟ هم اليهود. ومن الذى أعطانا كل العهد القديم؟ هم اليهود. وممن جاء المسيح؟ لقد جاء من اليهود. وماذا عن كل أسفار العهد الجديد فيما عدا سفرين؟ لقد كتبها اليهود. وهكذا بالحق نحن شاكرون لليهود لأنهم جاءوا للعالم بالنور. ولكن الشعب اليهودى الذى يتحدث إليهم الرسول بولس لم يشع بالنور، لم يعكسوه على الآخرين. وهكذا لم تكن دعواهم بالتفوق غير صحيحة. كان لهم حق أن يدعوا أنهم مانحو النور، وكان لهم حق أن يدعوا بأنهم قادة، ولكن كان يجب عليهم أن يقودوا، وكان يجب عليهم أن يشعوا بالنور، ولكنهم ليسوا كذلك.

فى الجزء الأول من ٢ :٢٠ نرى الدعوى اليهودية **إنه معلم**. ويقول الرسول بولس بأنهم كانوا مهذبين للأغبياء ومعلمين للأطفال. والكلمة المترجمة «مهذب» تعنى حرفيا مُقوّم أو مُنظّم للأولاد. والفكرة هى أن شخصا يأخذ الصغار فى سلسلة من التعليم والتدريب التى لاتعلمهم فحسب، بل تهذبهم (تنظمهم). والكلمة المترجمة «معلم» تدل على دعواه أنه معلم، مدرس،

وفى رومية ٢ : ٢٣ نجد **الدعوى المضادة بالشكر المخلص**، فيكتب الرسول بولس: «أنت الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله؟» لقد اتهمهم الله بالرياء، اتهمهم بأنهم يقولون شيئا ويفعلون شيئا آخر. فالله يُكرم بحياة أمينة، ويُهان بعكس ذلك.

لاحظ نتيجة الخطية الدينية. فعندما يركتب الشخص الوثنى خطية، فإنه لايجلب إهانة على إسم الله. وعندما يخطئ الشخص الأخلاقى، فإن هذا لايسبب إهانة لاسم الله، ولكن عندما يخطئ الشخص الذى له كل هذه الامتيازات التى جعلته يشعر بالتفوق، فماذا كانت النتيجة؟ كما هو مكتوب: «لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم». (رومية ٢ : ٢٤) فإن خطيتهم جلبت ضرراً أعظم على العالم لأنها جعلته لايحترم الله بل بالحرى يجدف عليه.

العلامات الخارجية ليست برهاناً على البر

نجد فى رومية ٢: ٢٥ – ٢٩ مقارنة بين علامات البر الخارجية والداخلية. فترينا هذه الآيات أن العلامات الخارجية ليست دليلا على البر، ليست برهانا على القبول عند الله ففى ٢ : ٢٥ – ٢٧ نرى **الالتزام بدون طاعة**».

«فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس، ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة. إذاً إن كان الأعزل يحفظ أحكام الناموس، أفما تحسب غرلته ختانا، وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس؟».

ويستخدم الختان هنا بنفس معنى إرضاء الله. ويقرر الرسول بولس أن حفظ الناموس أهم من أى علامات خارجية. فإذا كان اليهودى يتعدى الناموس، فإنه يصبح مثل الأممى غير المختون، هالكاً وفاجراً. فالأمم الذين ليس لهم المعرفة التى لليهود، ولكنهم يعيشون حياة مساوية على الأقل لليهود، فسيدينون اليهود، فمع أن الأمم ليس لديهم الناموس وليست لهم نفس العلاقة مع الله التى لليهود، فإنهم يحيون الحياة التى يريد الله أن يحياها اليهود.

ويستخدم الرب يسوع نفس الكلام فى متى ١١:٢٠–٢٤ وهو يحكم علي المدن التى عُملت فيها أعمال الله العظيمة بكثرة بالغة. كفرناحوم وكورزين وبيت صيدا، فيقول لهما: لو أن سدوم رأت ما قد رأوه، لو أن مدن الأمم رأت ما قد رأوه، لتابت من زمن بعيد فى المسوح والرماد. وقال الرب يسوع أنها ستكون قاضيهم. ونحن فى حاجة حقيقية إلى ذلك الدرس فى مجتمع اليوم حيث توضع قيمة كبيرة على علاقة الإنسان بجماعة من الناس، من دين معين، أو بكنيسة من الكنائس، فهذا لن يؤدى إلى أى شئ سوى دينونة أعظم. فلو أننى كنت من الذين بوركوا بركة عظيمة من الله وأعيش كما يعيش سائر أهل العالم، فأنا فى الواقع فى خطر أعظم مما لو أكن قد عرفت الله بالمرة.

ينبغى علىّ ألا أقولها. لقد إدعى هؤلاء اليهود بعد الإدعاءات التى كان يجب عليهم أن يدّعوها لأن الدعاوى حق، والآن سيستدعى الدعاوى المضادة للمسئولية. بعبارة أخرى، حيث أنكم تعلمون هذا، فإليكم بعض الأمور التى كان يجب عليكم أن تعملوها. ففى ٢ : ٢١ – ٢٤ نقرأ:

«أفأنت إذاً الذى تُعلِّم غيرك، ألست تعلم نفسك؟ الذى تكرز أن لايُسرق أتسرق؟ الذى تقول ألا يُزنى أتزنى؟ الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل؟ الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله؟ لإن اسم الله يُجدف عليكم عليه بسببكم من الأمم كما هو مكتوب».

فالله يضع **الدعوى المضادة للممارسة** بإتهام أولئك اليهود بأنهم مخطئون أخلاقياً. فليس هناك فرق كبير بين ماقاله لهم وماقاله للأمم فى رومية ١ : ٢٨ – ٣٢. فلقد كان فكر الأممى خاطئا، وكذلك فكر اليهودى خاطئ. لأنهم يظنون أن مجرد معرفة الله تكفى. ولكن الرسول بولس يقول إنه بينما هم يقولون للآخرين ألا يسرقوا، ألم يكونوا هم أنفسهم يسرقون. إن تعليم الصواب فقط يزيد من مسئولية المعلم. تذكر مايقوله يعقوب عندما يكتب: «لاتكونوا معلمين كثيرين ياأخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم» (يعقوب ٣:١) والآن لماذا يأخذ المعلم دينونة أعظم؟ لأن لديه معرفة أعظم، وقد قال الرب يسوع فى (لوقا ١٢ : ٤٨)..«فكل من أُعطى كثيراً يُطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر».

ثم يذكر الرسول بولس **الدعوى المضادة للطهارة** فى رومية ٢ : ٢٢أ، فيقول : أنت الذى تقول أن لايُزنى أتزنى؟ اتهمهم بالشهوات الحسية، نفس المعيشة الخاطئة التى سبق أن إتهم بها الأمم فى ١ : ٢٦، ٢٧. فهو يقول لليهود إنه بالرغم من كل إدّعاءاتهم، فليسوا بأفضل من الأمم، لأنهم يمارسون إلى حد ما نفس الشئ الذى أدانوا الأمم لأجله. والآن يمكنهم أن يرفعوا أيديهم قائلين : تريث دقيقة، إننا لسنا خطاة موغلين فى الشر مثلهم، فنحن لانرتكب الأمور الشنيعة التى يرتكبونها». ولكن أن تخطئ ضد معرفة عميقة وكافية هى خطية أعظم. فأعظم دليل على الديانة الحقيقية هى الحياة الطاهرة التى تنتج عنها، فإذا كانت الديانة لا تؤدى إلى طهارة الحياة، فهى ليست ديانة الله.

ثم فى رومية ٢ : ٢٢ب، يذكر الله **الدعوى المضادة للورع**، فيقول الرسول بولس : «أنت الذى تستكره الأوثان، أتسرق الهياكل؟» قد يصعب فهم هذا، ولكن الإتهام فى هذه المرة هو عبادة الأوثان، أو محبة الأمور الخاطئة، فاستكراه الأوثان لايكفى، إذ يجب إكرام الله فى القلب. ولايعرف كيف سرقوا الهياكل. لعلهم ربحوا من بيع التماثيل للناس، أو لعلهم دخلوا إلى الهياكل التى كانت قد هُجرت وسرقوا ما كان بها من ذهب. ومهما كان الأمر، فالنقطة المهمة هى أنهم بينما كانوا يستكرهون الأوثان، فإنهم كانوا فى الحقيقة ينتفعون منها. يجب علينا أن نكرم الله، ليس فقط بممارساتنا بل بقلوبنا.

الاعتراف. إنه يريد أن تكون المسيحية اعترافا، إنه يريد أن تكون المسيحية التزاما عند أولئك الناس وليس مجرد اعتراف، فإذا كانت علاقتنا بالرب يسوع مبنية على اعتراف دينى فحسب، فثمة خطران فى ذلك.

الأول هو خطر الافتراض، فأفترض أننى على خير مايرام مع الله بناء على هذا الموقف الدينى، هذا الاعتراف الدينى الذى قد عملته. فكلما عظمت المعرفة، عظم خطر الاكتفاء بمجرد المسيحية الإسمية، إقرأ تعليم الرب يسوع لليهود فى إنجيل متى ٧ : ٢٢، ٢٣، ولوقا ١٣: ٢٦، ٢٧، فستجد أن المطلوب هو أكثر جداً من مجرد تنفيذ بعض الشكليات أو بعض الطقوس والفرائض.

الثانى هو خطر الشكلية : فهناك خطر دائم من تماثل العلاقة الخارجية والمعنى الروحى الباطن. فالمعمودية تعليم جميل فى العهد الجديد، إنها ولادة ابن لله فى شركة مع الرب يسوع. ولكن وضع كل الأهمية على العمل الخارجى وليس على ما يحدث فى النفس، سيكون نفس الخطأ بالنسبة للختان. وقد قال أحدهم: إن الختم الطقسى والحقيقة الروحية أمران منفصلان. وهما كذلك حقيقة، نستطيع الفصل بينهما. نستطيع الفصل بين العمل والحقيقة. ولكنهما ينبغى ألا ينفصلا، فيجب ألا نكون متدينين فى الظاهر بل وفى الباطن أيضا. ففى الباطن يُقوى المسيح قلوبنا بالروح القدس. وفى الفصل الثانى سنرى بعض الاعتراضات على طريق الله فى جعل الإنسان باراً. ليت الله يمنحنا كل سلام ونعمة فى الإيمان به.

الختان الباطن والظاهر

يتحدث الرسول بولس في رومية ٢ : ٢٨، ٢٩ عن **الديانة بدون حقيقة**، فيقول : إن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا، كما أن الختان ليس هو مجرد علامة خارجية فى الجسد كلا، فالإنسان يكون يهوديا إذا كان يهوديا فى الباطن، والختان هو ختان القلب وبالروح، وليس بمجموعة قوانين مكتوبة. ومثل هذا الإنسان يكون «مدحه ليس من الناس بل من الله». وكما يقول الرسول بولس. يكون الإنسان يهوديا أو غير يهودى فى هذه النقطة. والتحدى هو وجود يهودى حقيقى، يهودى صادق، شخص مقبول حقيقة لدى الله. تذكر إدعاءهم؟ لقد إدعوا أنفسهم يهوداً، ولكن الرسول بولس لم يقل: «لو كنت يهودياً.. بل قال : إن كنت تدعو نفسك يهوديا.. فهناك من يُدعون يهودا تحت ناموس العهد القديم، وهناك يهود حقيقيون، هناك اسرائيليون حقيقيون، إسرائيليون مختونون حقيقة. انظر فى قاموس الكتاب المقدس كلمة «ختان» واكتشف كم جزء من جسد الإنسان يقال عنها مختونة فى العهد القديم، ويقال إنها فى حاجة إلى ختان: العيون، الأذان، الأقدام، القلوب، والأيدى. وهذا يعنى الختان يتناول كل علاقة الإنسان بالله. فهناك ختان حقيقى، وهناك ختان زائف. فالختان الذى فى الجسد فقط، أى مجرد قطع الغرلة، ليس ختانا حقيقيا، فالختان يجب أن يكون علامة أو دليلاً على ما قد حدث أو سيحدث فى الباطن.

ثم هناك ناموس روحى وناموس مكتوب عليهم قبولهما. أنظر مرة أخرى فى رومية ٢ : ٢٩، إذ يقول الرسول بولس بكل بساطة إن هذا الختان ليس هو ختان الجسد فحسب، بل ختان القلب بالروح وليس بالكتاب. فروح الله يختن الناس فى الباطن. ففى كولوسى ٢ : ١١ – ١٢ يقول الرسول بولس: إن قلبى قد ختن لأنى قد غُسلت بمياه المعمودية، فعندما يعتمد الإنسان، يختن روح الله كل الكيان، فيُقطع القلب القديم ويتطهر أمام الله. وكان اليهودى الحقيقى في نظام العهد القديم هو الذى كان يُختن ليس فقط فى الجسد بل فى القلب أيضاً. وسيتناول الرسول بولس هذا الموضوع بأكثر تفصيل فى رومية ٣ : ١–٨.

الخاتمة

وفى ختام هذا الفصل، هناك خطران يتعلقان بالاعتراف الدينى. فكل شخص يجب أن يخلص، فإنه لهذا مات الرب يسوع. «فهو يتأنى عليك لأنه لايشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» هذا ما جاء فى (٢بطرس ٣ : ٩ب) فالله يريد ماهو أكثر من مجرد

الفصل السادس

رومية الحُكـــم الأخـــير

رومية ٣ : ١ - ٢٠

نظرة عامة ومقدمة

فى رومية ١ : ١٨ جاء الرسول بولس بكل العالم إلى قاعة المحكمة ليمثلوا أمام القاضى. وفى ١٨:١ إلى نهاية الإصحاح، ناقش حقيقة أن الأمميين العقلانيين، أولئك الذين سعوا إلى قبولهم عند إلههم وعند الجنس البشرى عن طريق معرفتهم وفلسفتهم كانوا خطاة هالكين وبلا عذر. وفى رومية ١:٢– ١٦ يتكلم الرسول بولس عن الرجل الأخلاقى وليس المرفوض أو المرتد كما تكلم فى الإصحاح الأول، ولكن عن الشخص الذى حاول أن يكون مستقيماً لأن كان من الصواب أن يكون مستقيما. ويمكن أن يكون هذا الشخص يهودياً أو أممياً. وقد أورد الرسول بولس عشرة مبادئ للحكم مبرهنا على أن هذا الشخص لا رجاء له عند الوقوف أمام الله فى الدينونة بناء على ما قد فعله، فهو هالك ومدان وبلا عذر. ثم فى رومية ٢ : ١٧، ٢٩ عاد إلى المتدين وبخاصة اليهودى الذى لديه إعلان من الله، فقد وبخه الرسول بولس بالرغم من ختانه، وبالرغم من علاقته بالله، وبالرغم من محاولته حفظ الناموس، فهو هالك وبلا عذر.

والآن نحن مستعدون للحكم الأخير المذكور فى رومية ٣ : ١–٢٠. فالإصحاح كله له هدف رئيسى واحد، ويخرج مرة واحدة عن الخط الرئيسى ليقدم إتهاما كتابيا لليهود. وسيُستكمل هذا بشكل خاص فى ٣ : ١ – ٩، فسيعترف بولس الرسول بحق الاحتجاج سيعطيهم استجواب شاهدهم فى ٣ : ١ – ٨ سيعترف بكل احتجاجاتهم واعتراضاتهم على ما قد قاله. ثم يعود إلى حقيقة أنهم هالكون. فاحتجاجاتهم شملت نسبة عدم الأمانة إلى الله كما يبدو الأمر لهم. وسنتناول هذا الأمر بالتفصيل فى الإصحاحات ٩ –١١. فالمعروف عن الرسول بولس أنه يتكلم عن أمر فى رسائله سيعود ويتكلم عنه فيما بعد بالتفصيل. ولكن لننظر أول كل شئ على الاعتراضات فى الإصحاح ٣ : ١ –٨. فهذه الاعتراضات يمكن اعتبارها ببساطة مجرد دفاع سيقدمه اليهود ضد إتهام الرسول بولس لهم فى ٢ : ١٧ وقائلين بأنهم هالكون وخربون.

الاعتراضات

الاعتراض الأول من اليهود حسبما يذكر الرسول بولس هو أنه **لا أفضلية** فى كون الإنسان يهوديا. على أية حال يقول الرسول بولس فى ٣ : ١ – ٢: «إذاً ماهو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان؟» كثير على كل وجه! أما أولا فلأنهم استؤمنوا على أقو،ل الله. بالنسبة لهم كان إتهامهم منطقياً جداً، فقد وعد الله فى العهد القديم بأن اليهود سينالون بركات إبراهيم العظيمة، وأنهم سيرثون الأرض، وأنهم سيباركون كل الجنس البشرى، وأنهم سيسحقون رأس

أبيض

غضب؟ وهذا أمر غير مفهوم تماماً لنا، ولكنه كان مفهوماً لأولئك اليهود، لأن مفهومهم كان هو أن الغاية تبرر الوسيلة. فإذا كانت تتم مشيئته، فلماذا يغضب عليهم لإتمامهم مشيئته (٣ : ٥ – ٦) «إن كان إثمنا يبين بر الله بأكثر وضوح، فماذا نقول؟ ألعل الله الذى يجلب الغضب ظالم. ويقول الرسول بولس إنه يتكلم بمنطق الإنسان، لأن هذا هو الأسلوب الذى يفكر به الإنسان. وجواب الرسول بولس على كل هذا هو: «حاشا. فكيف يدين الله العالم إذ ذاك؟ (رومية ٣ : ٦). إن الرسول بولس يقول بكل بساطة – مع اعتبار أن خلفية هذا الاعتراض هى صلب المسيح، إذا كان صلبنا للمسيح جاء بالخلاص للعالم فكيف يُديننا على صلب المسيح؟» والجواب هو أن اعتراضهم معناه أن من الخطأ أن يدين الله أى شئ، حيث أن فى التحليل الأخير، كل الأشياء ستمجد الله فى النهاية. فإن أشر الناس، وأشر الشياطين بل وإبليس نفسه سيقول يوما ما : «يسوع هو المسيح». وسيكون هذا لمجد الله. وهكذا فكل شئ فى النهاية سيمجد الله، فإذا كان الله لايستطيع أن يدين مايمجده، فهو إذاً لايستطيع أن يدين شيئاً.

واعتراضهم الرابع والأخير نجده فى ٣ : ٧ – ٨ : حيث أن **الخطية ستمجد الله، فهل يجب على الناس أن يخطئوا أكثر فأكثر**؟ ألا يجب أن نهتم بأن يتمجد الله بأعظم مجد يستطيعه؟ حيث أن الخطية تمجد الله، فلنخطئ أكثر فأكثر، ولكن هذا اعتراض مُخز، ولكن لنقرأه:

> «يمكن أن يقول أحدهم: «فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ؟ أما كما يفترى علينا وكما يزعم قوم أننا نقول : لنفعل السيآت لكى تأتى الخيرات. الذين دينونتهم عادلة».

إن اعتراضهم يجعل من المستحيل لهم أن يدينوا الرسول بولس كخاطئ لأن بولس يجعل الناس يمجدون الله. فإن كان جعلنا الناس يمجدون الله يجعلنا غير معرضين لأن نُدان، فيجب ألا يدينوا الرسول بولس لأن أناسا بلا عدد يمجدون الله بسبب خدمته. ثم إن اعتراضهم يماثلهم بالأمم الخطاة الذين يقولون: «لنفعل الشر لكى يأتى الخير» وقال الرسول بولس : «أى إنسان يعلّم ذلك، دينونته عادلة».

أمور يجب تذكرها عن الله

لاحظ أن فى هذا النص أمور عديدة عن الله يلزم أن نتذكرها.

أولا: تكلم الرسول بولس فى ٣ :٢ عن أقوال الله التى أستؤمن اليهود عليها. وكان يجب على اليهود أن يولوها إهتمامهم حتى لايعترضون هذه الاعتراضات البشرية الغبية.

الحية. وسيكون لهم ملك أمين فى مدينة أمينة، وستكون لهم إمبراطورية ستمتد لتشمل كل العالم. ولذلك يقول اليهود: «لو أن ماتقوله عن اليهود كان حقا، إذا كان اليهودى هالك مثل الأممى، وأن الله ينظر إلى اليهودى مثله مثل الأمم، ففسر إذاً كل بركات العهد القديم هذه. فما تقوله هو: أنه ليس لليهود بركات، ولامزايا ولاامتيازات مطلقاً». على أية حال، يقول الرسول بولس: «كلا البتة. أنا أظن أن لهم مزايا كثيرة، أظن أن لهم أفضليات من كل نوع».

وفى رومية ٩ : ١–٥ يتناول الرسول بولس هذه المزايا التى لليهود، فيكتب :

> «أقول الصدق فى المسيح. لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس. إن لى حزنا عظيما ووجعا فى قلبى لاينقطع. فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد آمين».

فلهم التبنى، ولهم المجد، ولهم العهود والناموس، ولهم العبادة والمواعيد. ولهم الآباء، ومنهم جاء المسيح، وهذه بركات عظيمة.

يقول الرسول بولس إنهم أولا مباركون بالثقة التى منحها الله لهم المستقبلين لكلمته ونشرها. ويقول لهم إن اعتراضهم ليس فى الحقيقة صحيحا لأن الله قد بارك إسرائيل وسيظل يبارك إسرائيل. والمشكلة هى أنهم أخطأوا رغم كل تلك البركات، فلم يتبعوا الله.

ونرى الاعتراض الثانى لليهود فى ٣ : ٣، ٤ حيث يدّعون أن بولس يقول إن **اليهود غير المباركين سيثبتون أن الله غير أمين**. إن كان الله لا يبارك اليهود، أفليس الله إذاً إلهاً غير أمين. ويكتب الرسول بولس فى العدد الثالث: «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء. أفلعل عدم أمانتهم سيبطل أمانة الله؟». يسأل الرسول بولس اليهود أين كانوا يقولون إن الله سيكون غير أمين لوعده، ويجيب فى ٣ : ٤ «حاشا بل ليكن الله صادقا وكل إنسان كاذبا. كما هو مكتوب: لكى تتبر فى كلامك وتغلب متى حوكمت». فاليهود غير المباركين لايثبتون عدم أمانة الله، لأن قصد الله كان أن يُبارك اليهود (الآية ١، ٢) ولكن يجب أن يظل الله صادقا لنفسه حتى ولو كان عليه أن يلعن الشعب الذى يريد أن يباركه حقا. فقصد الله ورغبة الله كان أن يبارك اليهود، ولأنه لم يباركهم، فذلك برهان على عدم أمانتهم. فيجب أن يظل الله قادراً على إدانة الذين يحبونه. فالله يريد أن يباركهم ولكن الله يجب أن يظل أمينا لنفسه.

واعتراضهم الثالث هو هذا : **إن الله مخطئ فى غضبه إذا كانت الخطية تتمم مشيئته، أليس كذلك**؟ إذا كانت خطية الإنسان تتمم مشيئة الله، أفلا يكون الله مخطئاً إذا

إن الاعتراضات اليهودية منطقية بالنسبة لهم، لكن الرسول بولس يقول إنهم بكل بساطة سيجعلون من الصعب على الله أن يظل هو الله. إن مشكلتهم هى أن مفهومهم للناموس قد قلب مفهومهم لله. إنهم يظنون أن الناموس هو أهم شئ عند الله. ولكن فى النهاية، على أية حال أهم شئ عند الله هم الناس. وقد قال الرب يسوع إن الناموس جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل الناموس» (مرقس ٢ : ٢٧). وهذا مبدأ هام جداً يجب علينا أن نتذكره، فلم يخلق الإنسان لكى يحفظ الناموس، بل خلق الإنسان لتكون له حياة. فائضة على نهج الآب المحب.. والناموس بكل بساطة يحميه من خطيئته ومن خطية الآخرين. لقد تمت الإجابة على الاعتراضات. وفى الواقع قال القاضى عن كل واحد منهم : «لقد تم الرد على الاعتراضات» فهو لم يؤيد أى اعتراض من دفاع المحامى.

الحكم النهائى

سينطق القاضى بالقرار الأخير. لقد سلمه المحلفون قصاصة من الورق، وأصبح الآن على استعداد لقراءة الحكم النهائى للأممى العقلانى، وللأخلاقى، والمتدين. ونرى هذا الحكم فى رومية ٣ : ٩. ولنقرأ قبل كل شئ من الآية ٩: «فماذا إذاً؟ أنحن أفضل؟ هل نحن اليهود، أفضل منهم (الأمم) أو هل نحن (مهما نكن) أفضل منهم (مهما يكونوا) «كلا البتة!» ويواصل الرسول بولس كلامه: «لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين (الأمم) أجمعين تحت الخطية «ذُكر الحكم وقُرأ فالجميع هالكون، الجميع تحت الدينونة وطبيعة الحكم نراها فى كلمة «خطية» وتستطيع أن تسمع همس الحية، ففى كل مرة أنطق بكلمة «خطية» يتجه فكرى إلى تلك الحية فى الجنة التى أفسدت الشركة التى كانت للرجل والمرأة مع الله. هذا ماتفعله الخطية، فهى تُفسد. وأن تخطئ معناها ألا تصيب الهدف، معناها ألا تحسن التقدير، هى التعدى على الناموس، إنها الفشل فى عمل ماهو صائب. إنها ألا نكون على ما يجب أن نكون عليه.. فما تفعله الخطية إنما هو الفساد. والحكم هو أن العالم كله قد فسد.

دائرة الحكم تشمل الجميع، فالكل تحت الخطية.. وهذا معناه الأسر، معناه السجن، معناه عدم القدرة على فعل ماتريد أن تفعله. فعندما لاتكون على مايجب عليك أن تكون عليه، فهذه هى الخطية. فأنت غير قادر أن تفعل مايجب عليك فعله لأنك تحت الخطية. ومثلما كان اليهود أسرى للمصريين، فهم الآن أسرى لخطيتهم. ولهذا جاء الرب يسوع، لقد جاء الرب يسوع ليقول: «وتعرفون الحق والحق يحرركم» (يوحنا ٨ : ٣٢).

ثانيا: يُشار إلى أمانة الله فى ٣:٣ بأن الله سيظل أمينا لنفسه ولشخصيته مهما فعل الإنسان.

ثالثا: فى ٥:٣ يتكلم عن بر الله، وأن الله سيظل باراً. فإذا كان كل إنسان فى العالم شريراً، فإن الله يقصد أن يخلص أولئك الناس الذين سيقبلون بره، وطريقته فى جعل الناس أبراراً.

رابعاً : تذكر دينونة الله فى ٣ : ٦. يجب أن نحترس جميعاً وإن نظل محترسين عالمين حقيقة أننا سنقابل الله يوما ما فى الدينونة.

خامساً: يُذكر صدق الله فى ٧:٣، فالله لن يكذب أبداً، لن يحيد عن الحق لأنه هو الحق.

ثم **سادساً:** يذكر مجد الله فى ٧:٣، فالله سيتمجد مهما فعل الإنسان أو مهما يفتكر الإنسان. ويجب حفظ هذه أمام النظر قبل أن نعترض على الطريقة التى يتعامل بها الله مع الإنسان.

مسئولية الإنسان

هناك أيضاً بعض المسئوليات الإنسانية التى يلزمنا دراستها فى هذه الآيات.

أولا: كما أن اليهود قد استؤمنوا على أقوال الله، هكذا نحن أيضا. فقد سلم الإيمان مرة للقديسين (يهوذا ٣) فنحن وكلاء على كلمة الله. فالكنيسة هى عمود الحق وقاعدته (١تيموثاوس ٣ : ١٥).

ثانيا: نحن لم نُستأمن على أقوال الله فحسب، بل نحن فى خطر دائم من عدم الإيمان، وعلينا أن نتنبه، كما قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «أن لايكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الإرتداد عن الله الحى» (عبرانيين ١٢:٣).

ثالثا: نكتشف أننا يمكن أن نسئ استخدام رحمة الله، فرومية ٣ : ٨ تقرر هذا بكل وضوح، فقد نزعم كما يزعم البعض أنه يجب أن نفعل السيآت لكى تأتى الخيرات، فالله لايتطلع إلينا حقيقة. الله لايهتم حقيقة: يجب أن نتذكر ماقاله الرسول بولس فى رومية ٤:٢، إن الله سيظل أمينا لنفسه، ولكلمته، ولإرادته. ثم **رابعا**: نستطيع أن نتأكد من دينونة الله. ويغطى بولس الرسول هذا الموضوع فى ٣ : ٦، ٨. فسيأتى الله للدينونة. ويقول الكاتب فى عب ٩ : ٢٧: وكما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة».

أطياف خطايا الماضى تتدفق من أفواههم. ويقول «بألسنتهم قد كذبوا، فهم يمارسون المكر والخداع، وينفثون السم من أفواههم مثل سم الحيات». ولابد أن هذا هو الدم والأحاديث التى تقتل الناس. فعندما نمسك سيرة أى إنسان ونهتك سيرته لعله يكون من الأفضل أن نمسك ببندقية ونقتلهم، لأن تدمير سمعة إنسان، يجعله يعيش باقى حياته بعار فضيحتك له كذبا إلا إذا استطاع إثبات العكس. وهكذا تنطق شفاههم بالأكاذيب والفضائح. وأفواههم مملوءة بالتجديف إنهم يجدفون على الله. حديثهم رذيل وخسيس كلامهم كذب شفاههم واشية أفواههم مجدفة وأرجلهم سريعة إلى سفك الدم. فهم يسرعون إلى المكان الذى يجدون فيه الفرصة للتدمير ويقول إن «طرقهم اغتصاب وسحق». ولا سلام لهم إطلاقا فى أى طريق يسلكونها. فهم لايعرفون ماهو السلام، وسبب عدم السلام هذا هو أنه «ليس خوف الله قدام عيونهم».

العلاقة بين الخطية والناموس

يعود الرسول بولس الآن إلى النقطة التى بدأ منها أولا. الأمم لايخافون الله، وتذكر كما قرأنا فى الإصحاح الأول أنهم لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم (١ : ٢٨)، فلم يفعلوا ماهو خاطئ فحسب بل صفقوا وأبدوا موافقتهم للذين يمارسون هذه الأشياء الخاطئة. فى ١ : ٣٢ كان فى استطاعة اليهودى أن يقول: «حسنا هذا صواب تماماً، يسرنى أنك قد وصلت إلى هذا الحد، طبقها على الأمم» على أية حال، يقول الرسول بولس : «أنتم أيضا على نفس الصورة فليس خوف الله قدام عيونكم أنتم أيضا» ويقتبس الرسول بولس آية أخرى من العهد القديم لإثبات مايقوله مزمور ٣٦:١ب: «ليس خوف الله أمام عينيه». تصور أناسا يمسكون بشريعة الله فى أيديهم، ويتحدثون بشريعة الله بشفاههم ومع ذلك ليس خوف الله فى أذهانهم. هكذا كان الأمر مع اليهود، ولم يكونوا يستطيعون مجادلته، لم تكن لديهم أية حجة شرعية لمجادلته لأن الرسول بولس أثبت ذلك بممارساتهم. لقد أثبتها بأجابته على اعتراضاتهم كما أثبتها باقتباسه من أسفارهم المقدسة. فنفس الأشياء التى كانوا يقولون إنهم يعتمدون عليها، كانت هى نفس الأشياء التى استخدمها الرسول بولس لإثبات أن اليهود تحت الخطية.

فالأممى الوثنى والشخص العقلانى لم تكن أمامه مشكلة لمعرفة أنه لايحفظ شريعته تماماً. وعندما كان الأخلاقى يتأمل القواعد التى يحترمها، يكتشف أنه هو أيضاً لايحفظها. إنه المتدين وحده الذى له علاقة بالله حتى ليظن أنه قد خلصه. وما كان يلزمه أن يدركه هو أن العامل بالناموس هو الذى يتبرر وليس القارئ فقط والآيتان الأخيرتان فى هذه الدراسة هما ٣ : ١٩، ٢٠ سيظهران العلاقة بين الخطية والناموس، فهذه الإعداد هى خاتمة القرار:

وفكر اليهود يتجه فوراً إلى الحرية الجسدية، ولذلك قال لهم الرب يسوع: «كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية» (يوحنا ٨ : ٣٤) فالحكم إذاً ليس فقط أنهم قد فسدوا، بل الحكم هو أنهم أسرى للخطية، هذا هو سلطان الحكم.

وما **مدى اتساع** مجال الحكم؟ هذا ماناراه فى الكلمة الأولى: «**الجميع** تحت الخطية». الجميع؟ هل تعنى أن كل إنسان؟ هذا بالضبط ما يعنيه الرسول بولس. كل إنسان هو تحت الخطية، ماعدا الذى مات حتى لانكون تحت الخطية. فكل إنسان ماعدا الرب يسوع، قد أخطأ، إذ يقول فى رومية ٣:٢٣: «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله..» وفى لائحة هذا الاتهام أن الجميع تحت الخطية، يشير الرسول بولس إلى ما جاء بالكتاب المقدس. والكتاب المقدس يشير أولاً إلى اليهود، لأن الأمم لم يقولوا أبداً أن الإنسان هالك، فالأخلاقى عندما يتأمل حياته بالمقارنة مع الناموس الذي يريد أن يتبعه، لايعترف مطلقا بأنه هالك. على أية حال، المتدين لأنه يرنم المزامير ويصلى ويقدم الذبائح ويحضر العبادة ويتمم الفرائض، يظن أن هذا يجعله أفضل من أى شخص آخر، لذلك سيقتبس الرسول بولس العديد من الآيات من الكتاب المقدس، ليثبت أن اليهود كانوا فى الحقيقة هالكين. لذلك فكل العالم هالك. وأول كل شئ يصف الرسول بولس الخطية فى الطبيعة البشرية فى ٣ : ١٠ – ١٢ «كما هو مكتوب: «أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد».

وأيات العهد القديم التى يرجع إليها الرسول بولس هنا، موجودة فى مزمور ١٤ : ١ –٣، مز ٥٣ : ١–٣، والجامعة ٧ : ٢٠ يقول الرسول بولس أن الكتاب المقدس يثبت أنه ليس أحد باراً. لاحظ عبارة «لا أحد» هنا : «ليس بار ولاواحد، ليس من يفهم، ليس من يبحث عن الله وليس من يطلب الله، وليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد، عندما يُرى فى ضوء ناموس الله الذى لايتغير، وعندما يرى فى نور طبيعة الله. فالخطية كائنة فى شخصية الإنسان، ولايوجد شخص واحد قد تمم النواميس التى يدّعون أنهم يحبونها.

وفي رومية ٣ : ١٣ – ١٨ يتحدث الرسول بولس عن الخطية والسلوك البشرى فيقول: «حنجرتهم قبر مفتوح، بألسنتهم قد مكروا سم الأصلال تحت شفاههم. وفمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. فى طرقهم اغتصاب وسحق. وطريق السلام لم يعرفوه. ليس خوف الله قدام عيونهم».

فينتقل الرسول بولس من هامة الرأس إلى باطن القدم ثم يعود إلى الرأس، فيقول : «ماذا عن حناجرهم؟ هى قبور مفتوحة» وهذا يعنى ببساطة أن كلاماً قبيحاً يخرج من حناجرهم وكأن

وهناك خاتمة أو نتيجة واحدة يمكن استخلاصها: إن السعى العقلانى لايمكن أن يمحو خطية. والسلوك الأخلاقى لا يقدر أن يمحو خطية، وإتمام الطقوس الدينية لايمكن أن يمحو خطية. فهناك شئ واحد يستطيع أن يمحو الخطية. وستكون هذه هى نقطة البحث بدءاً من رومية ٣ : ٢١. فالشئ الوحيد الذى يمكن أن يمحو الخطية هو دم المسيح، وهناك طريقة واحدة نستطيع أن نحصل بها على دم المسيح، وهى بالإيمان. فالجميع تحت الخطية، فلذلك فكل الناس فى حاجة إلى المسيح، فقد جاء المسيح – كما يقول الرسول بولس فى ١تيموثاوس ٤ : ١٠ – مخلصاً لجميع الناس، وبخاصة الذين يؤمنون. إنه يريد أن يخلّص الجميع، ولكنه سيخلص الذين يؤمنون. إننى أؤمن بذلك. وأنت تؤمن بذلك. فليكن لنا رجاء وسلام فى الإيمان بذلك.

«ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس لكى يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله، لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لايتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطية».

فيقول الرسول بولس أن الغرض الأساسى من الناموس مزدوج : فغرضه **الأول** هو أن يوقف الافتخار، أن يوقف الناس عن القول : «أنا على صواب بسبب ما أفعله» فهؤلاء الناس لم يكونوا يحفظون الناموس، فكيف يمكن إذا لكاسر الناموس أن يفتخر بحفظ الناموس؟

ثانيا: إنه لكى يحضر العالم تحت الدينونة. فما كتب فى شريعة موسى، كتب أيضا فى قلب الأممى كما وجدنا فى الإصحاح الثانى. ويتحدث الرسول بولس فى ٣ : ٢٠ على الضعف المزدوج للناموس. لقد تحقق الغرض من الناموس. ولكن بالناموس ضعف بالنسبة للخطية. وضعفه **الأول** هو أنه لايستطيع أن يبرر الإنسان. هذا هو تعليم الرسول بولس من ١ : ١٨ إلى هذه النقطة. فلا يتبرر أى إنسان بالناموس، وذلك لأنه لايمكن لأى إنسان أن يحفظ الناموس كاملاً.

والضعف الثانى للناموس إنه يستطيع فقط أن يجعل الإنسان واعيا بخطيته، فالناموس يستطيع أن ينير ولكنه لايستطيع أن يمحو، يستطيع أن يجعل الإنسان يرى أخطاءه، ولكنه لايستطيع أن يمحوها. ويقول الرسول يعقوب أن الناموس مرآة (يعقوب ١ : ٢٣) وعندما تنظر فى مرآة وترى أن وجهك قذر، تكون المرآة قد أدت وظيفتها، فلا تستطيع أن تمسك بالمرآة وتمسح بها وجهك وتتوقع أن يصبح وجهك نظيفاً. لقد كان الناموس مجرد مرآة. إنه بنعمة الله تُمحى الخطية.

الخاتمة

ويمكن تلخيص هذا الفصل فى كلمة واحدة : التبكيت. فهذه الفقرة مكتوبة لتبكيت العالم. أنها مكتوبة لتبكيت الإنسان عن الخطية من اختبار الحياة البشرية. إنها لتبكيت الناس عن الخطية من كلمة الله. إنها لتبكيت عن المسئولية عن الخطية. إنها للتبكيت عن الذنب أمام الله. إنها للتبكيت عن العجز البشرى بالنسبة للبر إنها مكتوبة أيضا للتبكيت عن الضرورة المطلقة للبر الكامل أمام الله. كل هذا، فكل القسم من ١:١٨–٣:٢٠ لهدف واحد، وهو أن يمكن أن يتبكت الإنسان، فالعقلانى والأخلاقى والمتدين جاء بهم إلى قاعة المحكمة وأوقفوا أمام كرسى القضاء وأمام دينونة الله. ويقدمهم الرسول بولس لكى يصغوا، ثم يستعرض حياتهم، ويقدم الدليل، ليس من أحد آخر، بل من نفس مرآة نفوسهم. فيكشف كل آلامهم، وكل أخطائهم، وكل خطاياهم، ويكشفها ليس أمام أنظارهم فقط، بل فى نظر الله، ونظر الملائكة وأنظار العالم.

الفصل السابع

مبرر ولكن غير فخور

رومية ٣ : ٢١ - ٣١

مراجعة ومقدمة

فى هذا الفصل ينتقل الرسول بولس من التعليم عن الخطية إلى التعليم عن البر، فهنا يُبرز الرسول بولس نقطة أننا مبررون ولكننا يجب ألا نفتخر ويلزمنا لفهم هذا الفصل أن نراجع مختصراً لما قاله الرسول بولس :

ففى الموضوع الموجود فى رومية ١ : ١٦ – ١٧ يقرر الرسول بولس أن الإنجيل أعلن مارتبه الله ليجعل الإنسان باراً، فالحصول على البر يجب أن يكون بالإيمان، ثم يتناول الرسول بولس حقائق الحياة البشرية فى ١:١٨ – ٢:٢٩، فقد بيّن الرسول بولس فى هذا الجزء أنه لا فائدة مطلقا فى الفلسفة الأممية، ولا فى الأخلاقيات البشرية ولا فى الديانة اليهودية، لقد هدم الرسول بولس أعذار أولئك الذين كانوا يواصلون حياة غير بارة ومع ذلك كانوا يظنون أنهم سينجون من دينونة الله. ويفند كل اعتراضات اليهود فى ٣: ١ – ١٨. ويختم ببيان أن البر غير ممكن إطلاقا أن يحصل عليه الإنسان بأى جهد من ذاته، وأن هذا حق فى نور شريعة الله. فرومية ٣:١٩–٢٠ ترينا أنه فى نور شريعة الله جميع الناس مذنبون وتحت الدينونة. هذه هى الأخبار السيئة.

وسيتناول الرسول بولس الآن تعليم التبرير (أو الخلاص)، والفصل الذى يركز على ذلك هو رومية ٣ : ٢١ – ٣١. فيمكن أن يسمى هذا الفصل بحق قلب الرسالة، فهو النقطة المحورية فى حوار الرسول بولس ويبدأ بكلمة «لكن»، وعندما تتحول من مناقشة الخطية إلى مناقشة الخلاص، سنجد عددا من الخواص المتعلقة ببر الله وبالتبرير الطريق الذى سيجعل الله الإنسان باراً.

خواص بر الله

أول كل شئ لنلاحظ خواص البر فى رومية ٣: ٢١–٢٦:

«وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لافرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح، الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع».

هذه قراءة فنية، وإلى حد ما فى حوار فنى، فلندرسه فى سبعة جوانب مختلفة، لنرى بالضبط ما يقوله الرسول بولس عن بر الله.

أبيض

نجدهم ناقصين. فلنأت الآن بيسوع إلى قاعة المحكمة، نأتى ببر الله إلى قاعة تلك المحكمة. فمن يقف للشهادة ليسوع؟ من يقف للشهادة بأن البر بالإيمان؟ يقف الناموس والأنبياء. فناموس الله وأنبياء العهد القديم خير شهود. وبماذا يشهدون؟ أول كل شئ يقول كلاهما إن البر ليس فيهم، فلن تجد براً فى الناموس ولا فى الأنبياء. إقرأ مزمور ٥١، فستجد أن داود التمس الرحمة للتطهير وللغفران وللشركة. ثم قال داود إن الله لايريد ذبائح وتقدمات، فلو كان الله يريد تلك الأشياء لقدمها داود له، فمايريده الله حقيقة هو القلب المنكسر والمنسحق.

ويكتب النبى ميخا فى ميخا ٦ : ٦ – ٨: «بم أتقدم إلى الرب وأنحنى للإله العلى؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يُسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى، ثمرة جسدى عن خطية نفسى. قد أخبرك أيها الإنسان ماهو صالح، وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك.

إذاً ما الذى يشهد به الناموس والأنبياء عن البر؟ يشهدون بأن البر ليس فيهم.

الخاصية الجوهرية الثانية: تخاطب **بشهادة النبى عن البر**. نجد فى أرميا ٢٣ : ٦ حيث يدعى الرب: «الرب برنا» ويتفق هذا مع ١كورنثوس ١ : ٣ حيث يدعى الرب يسوع «بر الله». وبماذا يشهد الناموس، وبماذا يشهد الأنبياء عن البر؟ إنهم يشهدون بما يقوله الرسول بولس هنا وهو أن البر يأتى بالإيمان.

فى تكوين ١٥ : ٥ أخذ الله إبراهيم إلى خارج وقال له : «أنظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها» ثم قال له: «هكذا يكون نسلك» وفى تكوين ١٥:٦ نقرأ أن إبراهيم آمن بالله»، آمن إبراهيم بالرب فحسب له براً. وفى حبقوق ٢ : ٤ب، يقول حبقوق: «البار بإيمانه يحيا».

فإلى أى شئ يشهد الناموس والأنبياء؟ إنهم يشهدون بأن البر يأتى بالاعتراف، وأن غفران الخطية يأتى عندما يُعترف بالخطية. ويقول داود فى المزمور ٣٢ : ٣–٤ : «لما سكت (عندما لم أعترف بخطيتى) بليت عظام... تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ. ثم قال داود فى ٣٢ : ٥ : «اعترف لك بخطيتى.. وأنت رفعت أثام خطيتى». وهكذا نجد المزمور ٣٢ يقول أن البر بالاعتراف. فالناموس والأنبياء يشهدون تماماً بما يقوله الرسول بولس، وهو أن البر بدون ناموس، أى بالإيمان وأنه بالاعتراف.

فى ٢ تيموثاوس ٣ : ١٥ يقول الرسول بولس قبل وفاته مباشرة لتيموثاوس بشهادة العهد القديم : «.. وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة...» والنقطة هنا هى أن الكتب المقدسة التى كان فى إمكان تيموثاوس أن يعرفها منذ الطفولية، هى العهد القديم. ويقول الرسول

الخاصية الجوهرية الأولى – كما قال الرسول بولس هى أن هذا البر **هو بر قد ظهر أو «عُرف»** فالكلمة «ظهر أو عرف» تعنى حرفيا «قد عُرض علناً»، أو «أُعلن جهاراً»، فمثلا لنقل أنك تذهب إلى رصيف السفن حيث ترسو السفن، وترى هناك لوحة مائلة أمام كل باخرة. وعلى هذه اللوحة سجل الباخرة، فهناك أمام أنظار الجميع قائمة بكل ما على سطح الباخرة معلنة للجميع.

هكذا الأمر مع الله، فقد وضع بره أمام أنظار الجميع علنا، فيمكنك أن تقرأ وتكتشف كل شئ عليك أن تعرفه عن بر الله بالنظر إلى حياة الرب يسوع المسيح والقراءة عنها. فبعمل ذلك، نجد أن هذا البر هو من الله، وهو مؤسس على عمل عمله الله منذ نحو ألفى سنة مضت، إنه مؤسس على عمل المسيح الذى أكمله على الصليب فهذا البر لاينتج عن الإنسان أو حكمته أو ذكائه أو فلسفته، كما أجد أيضا أن هذا البر لاعلاقة له بالناموس، فهو ليس مبنيا على حفظ الإنسان لمجموعة من القواعد. وفى الواقع، لايقول النص «بدون الناموس» بل بالحرى يقول: «بدون ناموس». فهذا البر غير مؤسس بأى شكل من الأشكال على ناموس، والآن مع أنه من الحق أن الناموس مازال موجودا لتنظيم حياة الإنسان، ليجعله يعرف ماهو الصواب، وماهو الخطأ، وليحفظه من الناس الأشرار، فإن البر مع ذلك لاينتج عن الناموس. فالبر غير مؤسس على أداء الإنسان لأى قواعد بما فيها قواعد الله، بل البر مؤسس على العمل الواحد الذى أكمله المسيح على الصليب.

والفعل المترجم «ظهر» هو فى صيغة الفعل التام فى اليونانية، ومع أن ليس المجال هنا لدراسة قواعد اللغة، فإنه يلزمنا أن نفهم بعض صيغ الأفعال التى تدل على الزمن والمستخدمة فى العهد الجديد. فالفعل فى الزمن التام يدل على عمل قد أكمل تماماً ولكن له نتائجه المستمرة فى الحاضر. فبر الله قد «ظهر» أين؟ هناك على الصليب، ولكن مازال الصليب منظوراً. لازال الصليب قائما، فيقول الرسول بولس : لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا (١كورنثوس ٢:٢) وهنا يستخدم الرسول الفعل التام فيقول : أنا أكرز بالمسيح الذى صلب، وبالصليب الذى مازال قائماً فالصليب مازال موجودا، فيمكن الإنسان أن يجرى نحو الصليب الآن وينظر إليه حيث ينتصب أمام مرأى الجميع. هذه هى الطريقة التى قصد الله أن يجعل بها الإنسان باراً، فإذا آمنت بذلك، فالبر يصبح لك.

وفى الجزء الأخير من ٣ : ٢١ نرى ليس فقط أن البر ظهر، بل مشهوداً له، فيقول الرسول بولس: «ظهر بر الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء» مازلنا فى قاعة المحكمة، أليس كذلك؟ والآن حيث يقف جميع الناس فى قاعة المحكمة هذه، فعلى أية حال نجدهم؟

لاحظ كيفية الحصول على هذا الغفران. فالحصول عليه بدون أى عامل بشرى، فنحن متبررون مجانا، وكلمة «مجانا» هنا تعنى «بدون سبب» فلا يوجد سبب بشرى يعلل تبريرنا، فلم يكن وليس ثمة ثمن بشرى، وهذا واضح من عبارة «بالنعمة» ويرى السبب الإلهى والتكلفة الإلهية فى كلمة «فداء». سبب كل هذا هو الله، والثمن هو دم المسيح. فالتبرير يأتى بالفداء الموجود فى الرب يسوع.

وخاصية البر السادسة هى أنه «**بر معلن**» ونرى هذا فى الجزء الأول من ٣ : ٢٥. فقد قدم الله الرب يسوع «كفارة بالإيمان بدمه». فبذل الله للرب يسوع أعلن بر الله. لقد هتف بصوت عالٍ أن الله لديه طريقة لتبرير الإنسان. لقد أرضى الله نفسه، لقد بذل الرب يسوع ذبيحة كفارة للترضية. وكفارة وترضية عبارتان دينيتان، ويعنيان ببساطة أن الله قدم الرب يسوع ليمنع غضبه، فالأخلاقى قدم أعماله، ولكن هذا لم يمنع غضب الله. وقدم اليهود فرائضهم الدينية، وهذا لم يمنع غضب الله. ثم قدم الله الرب يسوع، وقد منع هذا غضبه. وهذا هو الخبر الطيب أو البشارة، وهذه هى حلاوة الله، فالله محبة، كما أن بر الله قد أعُلن بجعل الإيمان هو الشئ الوحيد المطلوب، فليس علىّ أن أترضى الله فقد تم إرضاؤه، وليس على أن أمنع غضبه، فقد مُنع فعلا. فالإيمان هو كل ما يطلبه الله منى. وما علىّ إلا أن أتكل، فالإتكال معناه الطاعة كما نرى في رومية ١:٥ حيث يتكلم الرسول بولس عن «طاعة الإيمان». فلا أحد يدّعى أنه يثق فى دكتور ولايتعاطى الدواء الذى يصفه، ولا أحد يدعى أنه يؤمن بالله ولايفعل مايقوله الله. فالطاعة ملفوفة فى الإيمان، وإن كان ليس من اللازم أن يكون الإيمان ملفوفا فى الطاعة، فقد أثبت اليهود ذلك.

والخاصية الجوهرية السابعة والأخيرة التى يصفها الرسول بولس بالنسبة لهذا البر نجدها فى رومية ٣ : ٢٥، ٢٦ فهذا **البر بر كافى**، فهذه الطريقة التى تجعل الإنسان باراً، ترضى تماماً بر الله أو عدله. أعد قراءة هذه الآيات لقد قدم الله الرب يسوع كفارة عنا. لقد فعل ذلك ليبين، ليعلن ويثبت عدالته، لأنه فى إمهاله قد ترك الخطايا التى سبق إرتكابها، أن تظل بلاعقاب. لقد فعل الله ذلك ليبين عدالته «فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع».

فالله عادل سواء عرفنا هذا أو لم نعرفه، وسواء قاله لنا أو لم يقله، فالله عادل، فهذه صفته، وعدالته معلنة. فقد قدم الرب يسوع على الصليب لكى يعلن، ويبين، ويثبت، ويرضى عدالته. وسيظل الله عادلاً. ومحبته قد وجدت كفايتها فى مغفرة الخطية فى كلا التدبيرين. فقد غفر الخطايا السالفة، فقد أخبر إبراهيم بأنه كان باراً، وأخبر داود بأن خطيته قد غفرت. وهكذا الله بار فى كلا التدبيرين، والإيمان هو المطلب الوحيد.

بولس: ... «وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة، القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع». فعندما نأخذ أنبياء العهد القديم وناموس العهد القديم ونضيف إليها الإيمان بيسوع، نكتشف أن الطريق الوحيدة التى بها يمكن للإنسان أن يكون باراً هى أن نقدم لله قلباً منكسراً ومنسحقاً. ويثبت رومية ٤ هذه الحقيقة بالنظر إلى مثال إبراهيم ومزمور داود.

والخاصية الأساسية الثالثة، ترينا أن **البر يمكن الحصول عليه**، فهذا البر من الله يأتى بالإيمان بيسوع لكل من يؤمن فما هو مطلب الله الذى يسمح للإنسان أن ينال البر؟ هناك مطلب واحد. من يستطيع أن ينال هذا البر؟ يستطيع أن يناله أى إنسان ولكن المطلب هو الإيمان. فكل مايطلبه الله إنما هو الإيمان، فهو لا يصنع أى فارق مطلقا بين الناس. فأى شخص يثق ويتكل ويسلم نفسه تماماً للرب يسوع، وبذلك يفعل مايطلب الله عمله، هذا الشخص سينال بر الله.

وفى رومية ٣ : ٢٣ نجد **الخاصية الأساسية الرابعة**. وهى ترينا أن **البر مطلوب**.. «لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله».. «الجميع أخطأوا» فى اللغة اليونانية يعنى عملاً فى وقت واحد. «والجميع.. أعوزهم..» فى اليونانية يعنى أنهم باستمرار يعوزهم. فكل الناس فى وقت ما من حياتهم، قد أخطأوا، وبسبب هذه الخطية ماتوا ولأنهم ماتوا، فمنذ ذلك الوقت أعوزهم مجد الله.

لاحظ إذاً ما نجده فى هذه الآية. هناك عمل فى زمن واحد معين قد عمله جميع الناس ينتج عنه العجز المستمر للوصول إلى مجد الله.. فقصد الله من كل خليقته، كان أن يتمجد، ولكن خطية الإنسان تجعل هذا التمجيد مستحيلاً. يجب التعامل مع الخطية، ولايمكن التعامل معها بالفلسفة، ولايمكن التعامل معها بالأخلاقيات، ولايمكن التعامل معها بالديانة، فكيف يمكن إذاً التعامل مع الخطية؟

فى رومية ٣ : ٢٤ نجد **الخاصية الأساسية الخامسة**، وهى أن «**البر مُقدّم**» فيقول فى الآية ٢٤ : ليس أن الجميع قد أخطأوا فقط بل الجميع «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح» فقد تم هذا البر تاريخيا وليس اختباريا. إنه قد قدم تاريخيا في حقيقة الصليب، فمرة واحدة كانت فى وقتها وميعادها، أعد الله مايلزم لبر الإنسان فى الصليب الرهيب. وهذا الخلاص لايأتى اختباريا، ولكنه يأتى لكل شخص بالإيمان بدم ذلك الصليب. فنحن لانؤمن بالله فقط، بل نؤمن أيضا بعمل الله. نؤمن بأنه بعمل الله فى صليب الجلجثة، غفرت للإنسان خطاياه. على الإنسان أن يؤمن بأن الدم قد سُفك، على الإنسان أن يؤمن بفوائد ذلك الدم وبالرب يسوع المسيح.

الافتخار؟ إنه يفعل هذا بالتمجيد. ومايعنيه هذا هو إننى عندما أثق حقا فى بعض الأشخاص وأؤمن بهم، أتحدث عنهم باستمرار. فهناك أطباء هم أطباء عظام فعلا، وفى أى وقت يمرض أحد الأشخاص فهؤلاء الأطباء هم الذين يوصى الناس بالذهاب إليهم. لماذا؟ لأن الإيمان وُضع فيهم. فالإيمان يخلق الوضع الذى يتجه فيه الإنسان إلى الآخر وليس إلى الذات.

كما أن الإيمان يعترف بحاجته إلى الرحمة يقول الإيمان: «اللهم إرحمنى أنا الخاطئ» (لوقا ١٨:١٣) فالإيمان ينفى كل افتخار بشرى، كما أن الإيمان هو مطلب الله للتبرير. ولا افتخار فى الإيمان إلا فى الشخص الوحيد الذى تؤمن به. وكما كتب الرسول بولس : «من افتخر بالرب» (٢كورنثوس ١٠:١٧ قارن إرميا ٩ : ٢٤، مزمور ٣٤ : ٢، ٤٤: ٨، ١كورنثوس ١ : ٣١). ولماذا هذا؟ لأن الله هو مصدر الافتخار وأساسه. ولمن يوجه هذا البر؟ (فى ٣ : ٢٩، ٣٠) نجد اليهود يفتخرون بأن الله لهم وحدهم. وهذا ما منع اليهود من التبرير ومن التقديس (فهذه الصفات تناسب فقط من لايفتخرون. فالفرق لايمنح أى فائدة بالنسبة للبر. فالله ليس إله اليهود فقط، فهو إله الأمم أيضا.

البر يتطلب الإيمان أكثر من أى إدعاء آخر. فاليهود سيبررون بالإيمان، والأمم سيبررون بنفس الإيمان. والبر بالإيمان يثبت الناموس كما فى ٣ : ٣١. والعمل بالناموس لايثبت الناموس، بل يبرهن على أن الناموس صحيح. على أية حال البر بالإيمان يثبت الناموس. كيف يحدث ذلك؟ إنه يحدث بتعليم أن حياة المؤمن يشكلها الإيمان فى طريق إتمام أمر ما وجد الناموس لأجله.

النقطة الثالثة : هى أن البر بالإيمان يثبت الناموس. هدف الناموس هو تنظيم حياة الناس لإرضاء الله. والمؤمن يوافق على هذا الهدف، ويسعى إلى تحقيقه، وبعمله هذا يثبت الناموس. والتبرير بالإيمان يثبت الناموس بمعنى أنه يبين ويتمم ما علّمه على الدوام العهد القديم مع الناموس والأنبياء بأن البر بالإيمان.

وتعليم التبرير بالإيمان يثبت مطالب الناموس بطريقة لايستطيع التقيد الحرفى. فالمؤمن وليس الملتزم بحرفية الناموس. يضع الناموس على قاعدة الطهارة، فلم يكن هو الذى كان يحتقر مطلبه. بينما كان المتقيد بالحرف يفعل ذلك. فقال المتمسك بالحرف عن الناموس: «هذا هو أفضل ما أستطيع أن أعطيك، وهو أننى علىّ أن أرضيك، وعلى هذا الأساس سأتبرأ». وهذه إهانة لشريعة الله المقدسة، بينما يقول المؤمن: «أنا آسف، إن أفضل ما أستطيع أن

ويلزم هنا أن نقول عن الله إن الله عادل. فإذا لم يستطع الله أن يجد طريقة. ليغفر للإنسان، فلايمكن إذاً أن يغفر للإنسان لأن الله لايمكن أن يكون غير عادل. ما الذى يجعل الله عادلا فى غفران خطايانا؟ إن ذلك ليس فى ما نعرفه، وليس فى ما نفعله، بل وليس فى ما نؤمن به، بل أنه فيمن نؤمن به، فيسوع هو الذى يجعل الله عادلاً فقد قال الرسول بولس.. «لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢تيوثاوس ١ : ١٢) عندما قدم الله الرب يسوع قدم كل الثمن الذى كان لازما ليجعل نفسه عادلا فى غفران الخطايا. فلو أن الله لم يغفر للشخص الذى يؤمن به ويطيعه، فإن الله يكون غير عادل، لأن الله قد قدم فى الرب يسوع ذبيحة كافية تماماً لإرضاء عدالته.

بر الله يستبعد الإفتخار

رومية ٣ : ٢٧ – ٣١ فصل جميل يبين أن طريق الله لتبرير الإنسان، تستبعد وتمنع كل افتخار، فيكتب الرسول بولس : «فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأى ناموس. أبناموس الأعمال؟ كلا، بل بناموس الإيمان، لإننا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضا؟ بلى للأمم أيضا لأن الله واحد هو الذى سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان. أفنبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا . بل نثبت الناموس».

هذا أيضا حوار فنى منطقى، ولكنه كلام جميل، يوضح هذه النقاط :

النقطة الأولى: كيف ينتفى الافتخار؟ يسأل الرسول بولس هل انتفى الافتخار بالأعمال؟ والجواب: «كلا» فالافتخار قد انتفى بالإيمان. وهذا موجه أولا لليهود الذين كان يفتخرون بالناموس، ولكن كان هناك أيضا الأمم الذين يفتخرون بمراعاتهم للأخلاق وبأعمالهم فالإنسان لايتبرر بالأعمال كما أن الافتخار لاينتفى بالأعمال. فناموس الأعمال يخلق أناساً مفتخرين يدعون بأنهم يفعلون ما يأمرهم به الناموس. وناموس الأعمال يشير إلى الإنسان، إنه يشير إلى البشر وليس للمسيح. فناموس الأعمال يؤكد الاستحقاق وليس الرحمة. ناموس الأعمال يخلق العبث وليس الاتمام. ناموس الأعمال يستجلب الغضب لا الملجأ. ناموس الأعمال يُعظم الإنسان ويمجد الإنسان وأعمال الإنسان ويخلق ليس الافتخار فحسب بل أناساً مفتخرين.

النقطة الثانية : وهنا يثار السؤال : «إلى من يُوجه هذا البر؟» فناموس الأعمال لايمكن أن ينتفى الافتخار، ولكن الإيمان يستطيع وهو يعمل فعلا، فكيف ينفى الإيمان

أعطيك من نفسى هو ببساطة القلب المنكسر والمنسحق، حتى وإن كان ذلك لايكفى لإرضاء مطلبك البار والمقدس «يجب علىّ أن أستدعى بديلاً هو يسوع المسيح» ويسوع يقف فى مكانى لإتمام الناموس.

إقرأ لوقا ١٧ : ١٠ واكتشف أنه بعد أن عملنا كل ما أُمرنا أن نفعله، علينا أن نقول إننا عبيد بطالون غير أمناء. لقد عملنا الواجب علينا عمله فقط، ولا واحد منا قد حفظ كل الناموس، ولكن حتى لو حفظنا كل الناموس، وكل وصية بذاتها، فمازلنا عبيداً بطالين، فلا سبيل إطلاقا لإرضاء سيدنا بما نفعله، وهذا هو السبب فى أن ابنه كان يجب أن يموت.

الخاتمة

فكل حضورنا الكنيسة ونمونا فى الكنيسة، وكل المال الذى سنعطيه حتى النهاية، وكل الناس الذين سيمكننا أن نعلمهم وكل المواعظ التى يمكن أن نلقيها، وكل الذبائح التى يمكن أن نقدمها، وكل الصلوات التى يمكننا أن نصليها، وكل العطف التى يمكن أن نظهرها، وكل الأحلام التي سنحلم بها، لاتمحو خطية واحدة، فكل هذه الأشياء نحن مدينون بها لله، ونحن مدينون له بالأكثر. ومتى عملنا كل هذه الأشياء، فمازلنا عبيداً بطالين أمام الله.

فما الذى يلزم إذاً لنكون نافعين لله؟ يلزمنا يسوع، وهذا هو السبب الذى لأجله يقول الرسول بولس : «لأن لى الحياة هى المسيح...» (فيلبى ٢١:١)، ولهذا أيضاً يقول الرسول بولس : مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ (غلاطية ٢٠:٢)، ولهذا يقول الرسول بولس أيضا: «أن رجاء الأمم هو المسيح فيهم رجاء المجد».

فيسوع هو وحده الذى فيه رضاء الله، فهو بر الله، وعندما امتلكه، فإننى أصبح نافعا لله. أثمر ثمراً نافعاً لله، وأنمو نافعا لله، وعندئذ أتقدس، وهذا سنناقشه فيما بعد، ولكن يلزمنا أن نعلم أن هناك فرقاً بين التبرير والتقديس. التبرير هو عمل الله الذى يجعلنى باراً، أما التقديس فهو المكان الجديد الذى أعيش فيه ويجعل أفعالى نافعة لله السرمدى. ففلسفتنا لايمكن أن تجعلنا نافعين لله، كما لاتستطيع أخلاقنا أو ديانتنا . إيماننا وحده هو الذى يمكن أن يجعلنا نافعين لله. آمن بالرب يسوع، فيأتى إليك السلام بالإيمان.

الفصل الثامن

برهان كتابى – إبراهيم

رومية ٤ : ١ - ٢٥

مراجعة ومقدمة

رأينا فى التعليم عن الخطية أن جميع الناس خطاة، وأنه لاشئ يمكن أن يفيده، فى هذا الأمر سواء فلسفته، أخلاقياته، أو تدينه. ففى رومية ٣:٢١–٣١ رأينا الرسول بولس يقدم دعاوى عظيمة فى البر الذى بالإيمان. ففى الإصحاح الرابع سيقدم الرسول بولس البرهان الكتابى على هذه الدعاوى، وبخاصة فى شخص إبراهيم. ففى هذا القسم من رومية ٤:١–٨ سيشرح الرسول بولس كيف أن خطة الله العظيمة للخلاص فى توافق تام مع العهد القديم وتثبتها كل أسفار العهد القديم.

تبرر إبراهيم بالإيمان وليس بالأعمال

فى كل رسالة رومية يسمى إبراهيم خليل الله أو آب المؤمنين. ويبدأ هذا القسم فى ٤ : ١ ويستمر حتى الآية الثامنة بالقول أن إبراهيم تبرر بالإيمان وليس بالأعمال. ويستشهد بشاهدين من الكتاب لاثبات هذه الحقيقة، بإبراهيم فى تكوين ١٥، وبداود فى مزمور ٣٢.

وإذ نقرأ أول كل شئ من رومية ٤ : ١–٨ ثم نعود لندرس الآيات نقطة بنقطة. يكتب الرسول بولس: «فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد. لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر، ولكن ليس لدى الله. لأنه ماذا يقول الكتاب؟ فآمن إبراهيم بالله فحُسب له براً. أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين، وأما الذى لايعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر، فإيمانه يُحسب له براً. كما يقول داود أيضا فى تطويب الإنسان الذى يحسب له الله برا بدون أعمال: طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم. طوبى للرجل الذى لايحسب له الرب خطية».

فى سفر التكوين ١٤ كان إبراهيم قد هزم ملوك مابين النهرين، وكان يتساءل هل سيعودون لمحاربته مرة أخرى. وهنا ظهر له الله وأكد له أنه هو الله كان ترس إبراهيم وأيضاً أجره العظيم. فقال إبراهيم: إن كان هذا حقا، فماذا عن الابن، الوارث الذى وعدتنى به؟» فأخذ الله إبراهيم كما رأينا فى درسنا الأخير، أخبره أن ينظر إلى النجوم. ورأى إبراهيم اتساع كل السموات وأقر بأنه لايستطيع أن يعد النجوم. وهنا قال الله لإبراهيم: هكذا يكون نسلك (تكوين ١٥:٥) كنجوم السماء التى لاتعد ثم تأتى هذه العبارة العجيبة فى تكوين ١٥ : ٦ : «فآمن إبراهيم بالرب..» لقد آمن إبراهيم بوعد الله، لقد آمن فعلا بالله وبسبب إيمانه بالله، آمن بما قاله له الله. آمن بوعد كان مستحيلا أن يتم من وجهة النظر البشرية.

أبيض

الذى يستطيع أن يفعله حسبما جاء فى ٤ : ٥ أن يثق بالله الذى يبرر الفاجر، فهذه الثقة وهذا الإيمان يحسبهما الله براً. يمكن للإنسان أن يقول لله : لقد حاولت ومت، لقد فشلت، وليس ثمة سبيل إطلاقاً للشفاء، ولكننى أعتمد على عمل يسوع معتبراً إياه عملى، فأنا أحبه وأؤمن به، أنا اعتمدت فيه أريد أن أكون أمينا له.

تبرير داود

ويقول داود نفس الشئ عن التبرير. قبل إعطاء الناموس، تبرر إبراهيم بالإيمان، ويقول داود وهو تحت الناموس، إن الإنسان يتبرر بالإيمان، فيقتبس الرسول بولس مزمور٣٢:١، ٢ فى رومية ٤:٧–٨، ففى هذا المزمور نسمع نشيد داود شكراً لله على نعمته، ويقتبس الرسول بولس العددين الأول والثانى، ولكننا سنقرأ كل العبارة في مز ٣٢ : ١ – ٧:

«طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لرجل لايحسب له الرب خطية.. ثم يأتى جزء لم يقتبسه الرسول بولس...» وفى روحه غش. لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله. لأن يدك ثقلت علىّ نهاراً وليلا. تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ. اعترف لك بخطيتى ولا أكتم إثمى. قلت اعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى. لهذا يصلى لك كل تقى فى وقت يجدك فيه. عند غمارة المياه الكثيرة، إياه لاتصيب. أنت ستر لى. من الضيق تحفظنى. بترنم النجاة تكتنفى».

كتب هذا المزمور بعد أن غُفرت لداود خطية الزنا مع بتشبع، وقتل زوجها أوريا. ويذكر داود عبارتين هامتين بناء على إعلان ناثان النبى له عن نعمة الله: **العبارة الأولى** هى أن الله يغفر الخطية ويحسب البر، ويفعل ذلك بعيداً عن الأعمال. لقد تعلم داود أنه تحت الناموس لم يُغفر له، وأن الناموس لم يحسب له براً. وأن كل أعماله وذبائحه كانت مجرد تعبير عن محبة إنسان غفر له خطاياه.

ولعل **العبارة الثانية** أجمل من الأولى. وهذه العبارة هى أن الله لايحسب لنا خطايانا، فلا يقول داود فقط «طوبى للرجل الذى لايحسب له الرب خطية» (رومية ٤ : ٨)، بل يقول أيضا: «طوبى للرجل الذى **لا ينسب** له الرب خطية (رومية ٤ : ٨) فالله لن يحسب خطية. لن يكتب سجلاً للخطايا. وهذا معناه أنه حيث قد تبررنا، فسجلنا يشتمل على بر المسيح الكامل ولايمكن أن يحتوى مرة أخرى على خطيتنا. إننا نخطئ بالطبع وهذه الخطايا تحتاج إلى غفران إذا وجب أن تكون لنا شركة مع الله. والأخبار الطيبة هى أن هذه الخطايا مغفورة فيقرر ١يوحنا ١:٥ – ٧:

«الإيمان حُسب براً»

حُسب إيمان إبراهيم براً. آمن إبراهيم بالله فحسب له براً (رومية ٤ : ٢). وكلمة «حُسب» تعنى أصلا «وضع لحسابه» فهى عبارة حسابية، إنها ليست فى الحساب المدين، ولكن فى الحساب الدائن. لقد وضع إيمان إبراهيم فى حساب إبراهيم، وحُسب لإبراهيم براً.

وتستخدم كلمة «حسب» ١١ مرة فى الإصحاح الرابع. فهى الكلمة المفتاح للإصحاح. فعندما يعمل الإنسان يكتسب أجراً، ويمكن أن يوضع هذا المال فى حسابه، ولكن إبراهيم لم يعمل لخلاصه بل بكل بساطة وثق فى كلمة الله، ويسوع المسيح هو الذى قام بالعمل، وبره حُسب لإبراهيم. ويقول الرسول بولس إن هذه هى الطريقة التى تُحسب لنا بها. وهو يستحضر إبراهيم لأنها كلمة الله التى يستطيع أن يرجع إليها ويثبت فوق كل شك، صدق ما يقول من أن الإنسان يتبرر بالإيمان وليس بأعماله.

ونقرأ فى رومية ٤ : ٥ عبارة هامة جداً بل مذهلة، وهى : «وأما الذى لايعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يُحسب له براً. والعبارة المذهلة هى أن الله يبرر الفاجر.. وفى ١ملوك ٨ عندما كان سليمان يدشن الهيكل، طلب سليمان الله أن يبرر البار ويحكم على المذنب (١ملوك ٨ : ٣٢) ولكن عوضا عن ذلك، يبرر الله الخاطئ لأنه لايوجد أبرياء ليبررهم. فالبرئ ليس فى حاجة إلى تبرير. فبراءته وحدها تبرره. ولهذا السبب فإن الرب يسوع لم يكن فى حاجة إلى تبرير، لأنه كان بريئا، ولهذا السبب، وضع الله خطايا فى حسابه لكى يمكنه أن يضع بر المسيح لحسابنا، فيسوع هو الشخص الوحيد البرئ على مدى التاريخ.

تبرير إبراهيم وتبريرنا

يشرح الرسول بولس فى رومية ٤ : ٦ مايريدنا أن نفهمه عن تبرير إبراهيم وتبريرنا. فعندما يعمل إنسان، فإن أجرته لاتحسب له كهدية، بل كالتزام. ونحن نود أن نكسب أجورنا، ولكننا لانستطيع أن نفعل ذلك روحيا، فإذا استطعنا، فهذا واجب علينا. فعندما نأخذ أجر ما فعلنا، يمكننا أن نقول: «شكراً» ولكن هذا من باب الكياسة، ففى الحقيقة نحن قد اكتسبناه.

وكثيرون من الناس ينظرون إلى الخلاص بهذه الصورة، ولهذا فهم على الدوام فى حالة من التوتر والإحباط. فهم متوترون ومحبطون لأنهم يحاولون أن يكسبوا شيئا، لايمكن أن يأتى إلا كعطية. على أية حال إذا عرف شخص أنه لا يستطيع أن يكسب الخلاص، فالشئ الوحيد

ويلزمنا أن نتأمل هذا دقيقة. كان إبراهيم باراً قبل أن يختن، ولكن لم يكن أحد من ذريته الطبيعيين كذلك. كانوا جميعهم مختونين فى اليوم الثامن من أعمارهم، فإذا كانوا قد تبرروا، فقد حدث ذلك فيما بعد عندما آمنوا. ويقول حبقوق ٢ : ٤ «إن البار بالإيمان يحيا» فهذه هى الطريقة مع أولاد إبراهيم الروحيين الآن، الذين يتبررون عندما يُعمدون فى يسوع، ثم يختنون فى قلوبهم كعلامة على عمل الله فى خلاصهم.

فى كولوسى ٢ : ٩ – ١٢ يناقش الرسول بولس موضوع الأمم وأمر تبريرهم، فيكتب :

«فإنه فيه (فى المسيح) يحل كل ملء اللاهوت جسديا. وأنتم مملوءون فيه الذى هو رأس كل رياسة وسلطان. وبه أيضا ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح. مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أُقمتم أيضا معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات».

لاحظ الترتيب هنا : اعتمدتم، ودفنتم مع المسيح فى المعمودية، وأقمتم مع يسوع بإيمانكم بما عمله الله إذ أقام يسوع من الأموات، ثم ختنتم فى القلب.. فإذ تم عمل الله فى الخلاص فيكم، ختنت قلوبكم بقطع الجسد. والهدف من ذلك كما هو موضح فى رومية ٤:١١، ١٢ كان الإتيان بالبركة لكل الفئات، لليهود وللأمم أيضا. كان غرض الله هو خلاص العالم، وليس اليهود فقط، وذلك بالإيمان فقط. كان غرض الله هو أن يخلص الجميع يهوداً وأمماً الذين سيسيرون فى إيمان إبراهيم غير المختون. كانت هذه نقطة تحول مذهلة في مسار الأحداث بالنسبة للذين كانوا مازالوا يفتخرون بالناموس وبختانهم.

التبرير بالإيمان غير مرتبط بالناموس

نجد فى رومية ٤ : ١٣ – ١٧ أن الله أعطى إبراهيم وعداً. وهذا الوعد كان أن فى إبراهيم ستتبارك جميع قبائل الأرض. فكانت البركة هى الوعد، ولم تكن الناموس. لذلك بعد ذلك بعدة قرون أعطى الله ناموساً لم يؤثر إطلاقاً فى الوعد ببركة كل الجنس البشرى. فالوعد الذى يناقشه الرسول الآن هو الوعد بميراث الأرض، الوعد بأن إبراهيم ونسله سيكون لهم سلطان شامل، فليس القياصرة، بل القديسون هم الذين سيحكمون العالم، ويقول فى متى ٥ : ٥ إن الودعاء سيرثون الأرض. ويقول الرسول بولس فى ١كورنثوس ٦ : ٢ للكنيسة المضطربة فى كورنثوس : «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟» لقد أعطى الله لإبراهيم وعداً ولنسله من بعده بأنهم لن يخلصوا فقط بالإيمان، بل بالخدمة التى سيقدمونها لله. سيحكمون العالم حقيقة.

«هذا هو الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة. إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق. ولكن إن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية».

فخطايانا غير مقيدة ضدنا. إقرأ مزامير داود عن الغفران: ٣١، ٣٢، ١٠٣، ١١٦ وغيرها كثير، ففى هذه المزامير يحمد داود على الدوام نعمة الله ورحمته ولطفه التى جاءت له بالخلاص بدون أعمال الناموس.

تبرر إبراهيم بالنعمة وليس بالناموس

ففى رومية ٤ : ٩ – ١٧ نجد أن إبراهيم قد تبرر بالنعمة وليس بالناموس، فيقول الرسول بولس : أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضا لأننا نقول إنه حسب لإبراهيم الإيمان براً. فكيف حُسب. أو هو فى الختان أم فى الغرلة. ليس فى الختان بل فى الغرلة، وأخذ علامة الختان ختما لبر الإيمان الذى كان فى الغرلة ليكون أبا لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة كى يُحسب لهم أيضا البر. وأبا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضا يسلكون فى خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذى كان وهو فى الغرلة. فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد. لأن الناموس ينشئ غضبا إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعدّ. لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة، ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضا لمن هو من إيمان إبراهيم الذى هو أب لجميعنا. كما هو مكتوب: قد جعلتك أبا لأمم كثيرة.

البر بالإيمان غير مرتبط بالختان

هذه من أطول جُمل الرسول بولس، مناقشة نقطة بسيطة جداً، وهذه النقطة هى أن إبراهيم تبرر بالنعمة وليس بالناموس. فالبر هو بالإيمان سواء كان لإبراهيم أو لنا أو لليهود أو لأى شخص لآخر. هذا ماتقوله الآيات ٩ – ١٢. وهنا يأتى السؤال: هل هذا التطويب للمختونين فقط؟ والجواب بطريقة بسيطة ولكنها مذهلة، هى أن إبراهيم تبرر بالإيمان. ونرى هذا فى تكوين ١٥، قبل أن يختن بأربع عشرة سنة على الأقل، فى تكوين ١٧. لذلك فبره جاءه ليس كيهودى مختون، بل كفرد عادى عبّر عن إيمانه ومارس هذا الإيمان بالله. والدليل على ذلك هو أن إبراهيم قد خُتن كعلامة على البر الذى كان له فعلا قبل الختان.

الرسول بولس.. وقد واجه إبراهيم حقيقة أن جسده مماتا إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولاماتية رحم سارة» (رومية ٤:١٩) فالله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة ويمنح حياة للأموات. ونرى أساس إيمان إبراهيم فى ٤ : ١٨ «فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكى يصير أبا لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك». فلم تكن هناك احتمالات طبيعية، بل بدا كل شئ بأنه ضد إبراهيم وضد وعد الله، ومع ذلك استراح إبراهيم على وعد الله، فكان إيمانه بكلمة الله التى قالها له، فالإيمان يستند على الله وكلمته وليس على الذات وظروفنا.

ثالثا : لاحظ اعتبارات إيمان إبراهيم فى ٤ : ١٩ – ٢٠ «وإذ لم يكن ضعيفا فى الإيمان، لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا إذ كان ابن نحو مائة سنة ولاماتية مستودع سارة ولا بعدم إيمان إرتاب فى وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطيا مجداً لله..».

الإيمان لايخبئ نفسه من الحقائق، والحقائق لاتهدد الإيمان. فجسد إبراهيم الذى كان يبدو مماتا إذ كان ابن نحو مائة سنة، ورحم سارة الذى كان ميتا حقيقة كانت هى الحقائق التى اعتبرها الإيمان، ولكن ظل الإيمان ينظر إلى الوعد. لقد تقوى الإيمان بما كان أمامه من عوائق، وأعطى مجداً لله.

رابعاً – انظر إلى اقتناع إيمان إبراهيم فى ٤ : ٢١ : «وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا». يقول العقل أن الله يقدر أن يفعل الأشياء الطبيعية، أما الإيمان فيقول إن الله يستطيع أن يفعل ما هو خارق للطبيعة، فالإيمان يستدعى للعمل كل قوة فى قدرة الله الجليل ويقول الرسول بولس فى أفسس ٣ : ٢٠، ٢١، «والقادر أن يفعل فوق كل شئ أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا. له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. أمين» كان لبولس نفس نوع الإيمان الذى لإبراهيم.

خامساً : لاحظ تأثير هذا الإيمان فى ٤ : ٢٢ – ٢٥ : «لذلك أيضا حُسب له براً، ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له، بل من أجلنا نحن أيضا الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذى أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا».

أى أثر يحدثه السير مع إبراهيم؟ إنه يأتى بالبر (٤ : ٢٢ – ٢٤) إنه يأتى بالغفران (٤ : ٢٥) ويأتى بالتبرير (٤ : ٢٥). وما النتيجة إذاً؟ تبرر إبراهيم بالإيمان، ليس بأعماله، وليس بالختان، وليس بالناموس، بل بالحرى بالإيمان بقدرة الله التى أحيت مماتية رحم سارة. لقد كانت القيامة هى الدليل المنظور على أن الله قد قبل عمل المسيح الكفارى. القيامة هى البرهان على أن بر الله فى الحقيقة يسيطر على هذا الكون.

ولم تكن الطريق لهذا الوعد هى الناموس بل الإيمان. فلو كانت البركة بالناموس وليس بالوعد، فسينتج عن ذلك أمران: **أولا:** سيكون الإيمان بلا فائدة إطلاقا، بل سيكون الناموس هو الذى له قيمة. **ثانيا :** سيكون الوعد بلا قيمة. على أية حال الحق هو كما جاء فى الآية ١٥، أن هذا الوعد لن ينشئ غضباً، بل الناموس هو الذى ينشئ الغضب. هذا المبدأ، هذا الوعد ينجى الناموس، ويبطل التعدى.

وهنا شئ يلزمنا حقا أن نتأمل فيه. لانجرؤ على الثقة فى حفظ الناموس. ولانجرؤ أن نثق فى أعمالنا، بل يجب أن نتكل على وعد الله بأنه سيكون معنا وسيمنحنا القدرة على حكم العالم. والدليل على الوعد هو أنه حيث أن الناموس لايجدى شيئا إلا الغضب، فلابد أن يكون الوعد بالإيمان. والخلاص لابد أن يكون بالنعمة، وموعود به لكل المؤمنين. وشكراً لله لأنه يأتى بالإيمان، شكراً لله لأنه يُمنح بالنعمة. شكراً لله لأنه عندما أؤمن، فالله يعدنى بالخلاص.

كان تبرير إبراهيم بقوة القيامة وليس بجهد بشرى

تأكيد هذا الوعد يوجد فى الاقتباس الكتابى. ففى تكوين ٥:١٧ يقول الله لإبراهيم: «لأن أجعلك أبا لجمهور من الأمم». فتبرير إبراهيم وتبريرنا غير مرتبط بأى فريضة (مثل الختان) وغير مرتبط بأى ناموس، ففى رومية ٤ : ١٧–٢٥ يذكر الرسول بولس عبارة بأن كل ما سبق أن كتبه كان يشير إلى هذه العبارة، وهى أن إبراهيم تبرر بقوة قيامة الله وليس بجهده البشرى. لقد حُسب باراً بالإيمان. ونلاحظ فى ٤ : ١٧حسبان إيمان إبراهيم، وهذه خطوات إيمان إبراهيم التى سبق أن تكلم عنها الرسول بولس عن الذين يسلكون فى خطوات إيمان إبراهيم.

أول كل شئ، لاحظ حسبان إيمان إبراهيم فى الجزء الأخير من ١٧:٤، فيكتب الرسول بولس: «الذى هو أب لجميعنا» أمام الله الذى آمن به – الله الذى يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. لقد حُسب إيمان إبراهيم فى قدرة الله وقوة الله. فالإيمان الحقيقى يتركز دائماً فى شخص المسيح وليس فى شئ آخر، إن شخص يسوع ووجوده هو الذى يصنع كل الفرق. والذى يحقق إيماننا ويضمنه، فيجب أن يكون التوكيد على الدوام على غرض إيماننا وليس على حقيقة إيماننا.

ثانيا : حُسب إيمان إبراهيم لأنه آمن رغم الظروف المستحيلة، فالله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة ويمنح حياة للأموات، وقد قال الله لإبراهيم.. «إنه باسحق يدعى لك نسل» (تكوين ١٢:٢١، رومية ١٨:٤ مع عبرانيين ١١ : ١٨) كما ذكر

الخاتمة

لقد إدعى الرسول بولس أن البر بالإيمان، فهل لدى الرسول بولس أى برهان على هذا الإدعاء؟ نعم، لديه. لقد حُسب إبراهيم باراً بالإيمان (تكوين ١٥) وحسب داود باراً بإيمانه كما نرى فى مزمور ٣٢. لقد تبرر إبراهيم قبل ختانه بزمن طويل (١٤ سنة). لم يكن تبرير إبراهيم مبنيا على أساس أى ناموس كتبه موسى أو أى إنسان آخر. ولقد ولد ابن إبراهيم بمعجزة خارقة للطبيعة. وهذا يثبت أن الله ينظر إلى فراغ الأشياء ويريد أن يأتى بالكرامة. ونرى البرهان أولا فى قيامة يسوع المسيح من بين الأموات. لقد أقيم الرب يسوع من الموت لإثبات أن داود قد تبرر بالإيمان. لقد أقيم الرب يسوع من الأموات لإثبات أن أى شخص بل كل الناس يمكن أن يتبرروا بالإيمان. ونحن متبررون بالإيمان بالرب المقام، لأن قبره فارغ. ويوما ما سيصبح قبرنا فارغا. ولأنه حى، سنحيا نحن أيضا ولأنه حى إلى الأبد، فسنحيا نحن أيضا إلى الأبد. آمن بالرب يسوع، آمن بقوة قيامته، وإذ تفعل ذلك، ستجد سلاماً عظيماً وإيماناً عظيماً.

الفصل التاسع

نتائج التبرير

رومية ٥ : ١ - ٢١

مراجعة ومقدمة

ناقشنا سابقا الأخبار الطيبة عن أن الإنسان يستطيع – بل فى الواقع – استطاع الكثيرون أن يتبرروا بالإيمان. ولم يُصوّر هذا فقط، بل قد تبرهن فى حالة إبراهيم، أن الله قادر حقيقة أن يبرر المؤمن، بسبب وعلى أساس إيمانه.

وكثير من الأسئلة يثيرها هذا. هل هذه الطريقة الجديدة للخلاص ستستمر حقيقة؟ هل ستستمر إلى النهاية؟ هل لها أساس من القوة لسد كل أعواز الجنس البشرى ومشكلاته؟ حتى وإن كان الإيمان يخلص فى البداية، فهل سيظل يخلص فى المستقبل؟ نجد الإجابة على هذا السؤال وعلى الكثير من الأسئلة المماثلة فى رومية ٥.

ضمان المتبرر

هناك سببان لماذا نرى منح الخلاص ودوامه فى رومية ٥. أول كل شئ نراه فى ضمان المتبررين فى ٥ : ١ – ١١، فهناك أربعة أسباب يذكرها الرسول بولس فى هذه الآيات تجعلنا نشعر باليقين بأن هذا التبرير الذى قد جاء بالإيمان سيستمر بلا أى ضعف إلى النهاية.

١ – الاختبارات الحالية التى لنا فى الخلاص تؤكد رجاءنا : فيبدأ الرسول بولس فى رومية ٥ : ١–٢ بكلمة «فإذ» فهذه الكلمة تعنى أننا نستخلص من كل ما قيل سابقا هذه النتيجة المؤكدة. وفى هذه الحالة يكون مايقوله الرسول بولس هو فى الحقيقة : «الآن نتيجة لكل ما كنت أقوله» أو الآن كل ما كنت أقوله يؤدى إلى هذه النقطة».

بهذا فى الفكر يقول الرسول : «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذى به أيضا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله».

يقول الرسول بولس إنه فيما يتعلق بالماضى قد تبررنا، لقد صُفح عنا، لقد تبرأنا، لقد أُعتبرنا أبراراً وموقفنا فى هذا موضوعيا، وليس شخصياً. لقد تم عمل هذا لأجلنا من الله، وشعورنا الداخلى أو موقفنا من نحو الله إنما هو بسبب حقيقة أنه قد فعل هذا لأجلنا. فهذا ليس خلاصا وهميا. وهذا ليس فقط فيما يختص بالغفران، فالغفران يتعلق بما أُرتكب من خطايا. إنه نوع من الفكر السلبى فى معناه ولكن ليس فى نتيجته. فالغفران معناه أن كل الخطايا قد مُحيت.

أبيض

انتظارات المستقبل

ما الذى لى بالنسبة للمستقبل؟ لى إفتخار، هذا ما تعنيه الكلمة فى الجزء الأخير من ٢:٥ عندما نفتخر على رجاء مجد الله. فهذا يعنى إنه وإن كنا نفتخر، فإننا لانفتخر بأنفسنا، ولانفتخر بأعمالنا، بل ولانفتخر بإيماننا، بل بالحرى نفتخر بالله، نفتخر برجاء مجد الله. وكلمة رجاء كلمة سحرية، فهى كلمة تتطلع إلى المستقبل فالكلمة تعنى أن هنا رغبة منتظرة، وهى ليست شيئا أرغبه فحسب، بل هى أيضا شئ انتظره. وعلى الجانب الآخر، ليست شيئا انتظره فحسب، ولكنها أيضا شئ أرغبه، فبدون هذين الأمرين، فنحن لانتكلم عن رجاء. فأنا أرغب وأتوقع مجد الله. فأنا لا أفتخر فقط بالله، بل افتخر بمجد الله، هذا هو الهدف الذى أتطلع إليه، إنه ليس كما يقول رومية ٣ : ٢٣ : «لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله»، فقد مُحيت الآن خطيتى، وحُسب بر المسيح لحسابى. ولم يعد يعوزنى مجد الله.

ونستطيع أن نرى أن اختباراتنا الحاضرة فى الحياة تضمن رجاءنا، فهى تضمن المستقبل بسبب ما قد فعله الله ومايفعله وماسيفعله، ولايمكن لشئ أن يعوقه، ولن يعوقه شئ، فسأخلص إلى النهاية.

٢ – لايمكن للآلام أن تقضى على رجائنا : فاختباراتى الحاضرة تضمن هذا، فآلامى الحاضرة لايمكن أن تدمره، فيكتب الرسول بولس فى رومية ٥ : ٣ – ٥: «وليس ذلك فقط بل نفتخر فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء، والرجاء لايُخزى لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا من الله».

لاحظ أنه فى الآية الأولى: تبررنا بالإيمان، وفى الآية الثالثة : نفتخر فى الرجاء، وفى الآية الخامسة لقد سكب الله محبته فى قلوبنا. إيمان، رجاء، محبة – هى الأمور الوحيدة الأبدية وهى لنا، ألا يجعل هذا تبريرنا أبديا لأنه إيمان مبنى على الرجاء والمحبة؟ المحبة فى هذه الحالة ليست محبتنا بل محبة الله.

ينشئ صبراً

فى رومية ٥ : ٣ – ٥ نرى أن ضيقاتنا الحاضرة لايمكن أن تقضى على رجائنا لأن الألم الذى يجعل الناس يفقدون الأمل، ينشئ صبراً. وكلمتان أخريتان يمكن استخدامهما هنا هما الصبر وطول الأناة. والكلمة مأخوذة عن الكلمة اليونانية «ثلبيسيس» التى تعنى «يضغط» أو الضغط معاً وأصبحت تعنى ظلما، ضيقا، اضطهاداً حزنا، أو مواقف صعبة. والكلمة أصلا

البر نتيجته السلام

إننا نتكلم عن البر هنا، والبر ينتج عن حسبان صلاح الرب يسوع لنا. هذا هو الجانب الإيجابى من اختبارنا. ونحن نشكر لأن كل خطايانا قد مُحيت. ولكننا نشكر ونشكر لأن عمل المسيح على صليب الجلجثة حُسب لنا وأصبح بره هو برنا، وتقديسه هو تقديسنا، وفداؤه فداءنا، وحكمته حكمتنا. هذا هو البر. وفى هذا الضمان لأن طريقة الخلاص ستظل إلى النهاية حيث أنها متأصلة على العمل الكامل الذى عمله الرب يسوع المسيح بمشورة الله – فليس أى عمل من جانبى يضمن أن هذا البر سيظل ثابتا، سأظل أؤمن سأظل واثقا فى أن الله سينفذ خطته العظيمة. فحيث أننى قد تبررت فى الماضى بالإيمان، فلى سلام مع الله. هذا اختبار حاضر يجعلنى أعلم أن هذه الطريقة لجعل الإنسان باراً ستظل هى هى إلى النهاية. والسلام هو انتهاء العداوة علاوة على الهدوء والإطمئنان.

كثيراً ما نظن أن السلام هو مجرد عدم القلق أو البيئة الهادئة، ولكن ليس الأمر كذلك على أية حال، فالسلام هو أيضا انتهاء العداوة. فلم أعد فى عداوة مع الله، ولم يعد الله فى عداوة معى. فالخطية التى فصلت بينى وبين الله قد مُحيت بدم المسيح. وبسبب هذه الحقيقة، صار لنا سلام.

نقرأ فى أشعياء ٥٩ : ١، ٢:

> «ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لايسمع».

لقد عالج الله هذا الموقف فى المسيح، فصار لى سلام، لى سلام الضمير بسبب رحمة الله. لى سلام القلب. بسبب محبة الله. لى سلام الفكر بسبب حق الله. وهنا الشئ الهام: لى سلام فى نفسى فى محضر الله. بالنسبة للماضى لى غفران وتبرير، وبالنسبة للحاضر لى سلام.

وبسبب هذا السلام، لنا قدوم إلى حضرة الله. هناك دخول، هناك امتياز التقدم أو المثول فى محضر الله، كما يكون للإنسان فى بلاط الملك. فهناك التقدم إلى محضر الملك. أصبح لنا هذا الامتياز لأننا قد تبررنا، ولأننا قد تبررنا، ليس لنا فقط سلام مع الله، بل لنا أيضا حق الدخول إلى حجرة عرشه، فحاجاتنا الدائمة هى مايمدنا به الله بإستمرار.

لنا قدوم للوقوف أمام الله، فهنا تستقر نفوسنا، نقف فى محضر الله برحمته، بدم المسيح، وأيضا بسبب عدله، فقد اكتفى عدله كما درسنا فى الدرس السابق. لقد اكتفى عدل الله بدم المسيح، وبصليب المسيح. وصار عدله الآن رجائى. وهذا هو سبب معرفتى أن هذا سيستمر حتى النهاية. بالنسبة للماضى، لقد تبررت، وبالنسبة للحاضر لى سلام وقبول ونعمة.

«لايخزى» تعنى حقيقة «إحمرار الوجه خجلاً» وكلمة «إلبيس» على أية حال معناها لايسبب خجلاً. إنها تعنى إننى لن أحمر خجلا بسبب خطيتى وسبب هذا هو أن خطيتى قد وُضعت على يسوع.

وكلمة «يخزى» تعنى أيضا: «يلحق به عاراً أو يشينه». والكلمة العبرية المقابلة هى كلمة «بورار» التى تعنى «يكسر أو يُحبط». ولكن بسبب الرجاء لن يلحق بى أى عار أو لن يشيننى شئ. والله لن يخيب رجاءه فىّ مرة أخرى. نعم سأفعل أشياء تخيب رجاءه، ولكن عندما أخيّب رجاءه، ينظر إلىّ من خلال عدسة الرب يسوع.

والسبب الرئيسى فى أن هذا الرجاء لايُخزى، هو لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا. ومحبة الله لنا لا نستحقها، وهى تعطينى اليقين الكامل. فلم يكن فينا وليس فينا ما يستدعى محبته، ولكن الله يحب لأنه هو محبة (١ يوحنا ٤ : ٨، ١٦)، وليس لأننا نحب أو فينا مايُحب (ارجع إلي ١يوحنا ٤ : ١٠).

وفى هذه الآية يرد أول ذكر للروح القدس فى الرسالة إلى رومية. وسيأتى الحديث بأكثر تفصيل فى رومية ٨، ولكن الرسول بولس يذكر هنا أن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس الذى أعطاه الله لنا. فقد أعطانا الله فعلا أعظم عطية، ابنه، ولكنه أيضا أعطانا عطية الروح القدس العطية العظيمة. فليس أمراً قليلا إذا أن يعطينا كل المحبة والرحمة والقوة والقدرة والنعمة اللازمة لمواصلة السير إلى النهاية. فعمل الله لأجلى فى وسط ضيقاتى يثبت أن ضيقاتى لايمكن أن تهدم رجائى.

٣ – نرى البر الدائم فى عطية الله لابنه، فهذه العطية هى التى تؤكد رجائى، فنقرأ فى رومية ٥ : ٦ – ١٠: «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضا أن يموت. ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب. لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته.

هناك الكثير جداً فى هذا الجزء لايمكن تغطيته فى هذا الفصل، ولكن النقطة الرئيسية هى أن الله أعطانا ابنه، وهذا يُثبت رجاءنا. فمحبة الله تظهر فى موت الرب يسوع. لقد مات لأجل الهالكين، بل وللمستقبل. والضرورة لهذا الموت هو أننا كنا ضعفاء بلا قوة فالوسيلة لخلاصنا أو تبريرنا هى موت المسيح، والذين تم من أجلهم هذا الموت هم خطاة فجار.

تعنى فكرة ضغط القمح فى طاحونة، أو عصر العنب تحت الأقدام وهذا الضغط يؤدى إلى اكتمال الشئ موضوع الضغط.

ويصف الرب يسوع فى متى ٢٤ : ٢١ كيف أن أورشليم ستتعرض لضيق عظيم سيحضر المسيحيين إلى المجد. وفى ٢ كورنثوس ٨ : ١٣ يتحدث الرسول بولس عن المقدونيين الذين أعطوا رغم فقرهم العميق، ولكنه يقول إن عطاءهم لم يكن لراحة الآخرين، أو لضيق المقدونيين. بل لتحصل المساواة. وفى يوحنا ١٦ : ٢١ تشبه إسرائيل بإمرأة تلد. والألم الناشئ فى كلتا هذين الموقفين مشتق من الكلمة ثلبيسيس. ففى ٢كورنثوس ٢ : ٤ يتحدث الرسول بولس عن كآبة قلبه. وكآبة وصف مأخوذ من الكلمة اليونانية «ثلبيسيس».

وفكرة الألم هى الضغط الشديد ولكن الضغط ليس للتدمير، بل للكمال. فهذا الألم، أو هذا الضغط ينشئ صبراً، والصبر ينشئ تزكية. وكلمة «صبر» هى كلمة تعنى أصلا الاحتمال والمجاهدة، لسبب ما. إنها صفة إنسان لاينحرف فى قصده أو ولائه، ولاء إنسان للإيمان وتقواه، لاينحرف حتى فى وسط أشد التجارب والألم.

إقرأ سفر أيوب، أو الأفضل إقرأ عن صليب الجلجثة، فستجد مايعنيه هذا الصبر حقيقة. فهذا الصبر هو الثبات، هو الرسوخ، أو على الأقل إنه ينشئ الثبات، هو الاحتمال، هو الانتظار الصابر الراسخ انتظاراً لشئ ما. وهذه الصفة تنشئ رجاء. وكلمة «تزكية» تعنى التأكد من إيمان الشخص، هى حالة التأكد من الشخص الذى يتم امتحانه كما هو أمامنا فى هذه الآية، كما نراه فى كثير من رسائل الرسول بولس: ففى ٢ تيموثاوس ٢ : ١٥ يتكلم الرسول بولس إلى تيموثاوس أن يجتهد أن يقيم نفسه عاملا مزكى، وفى ٢ كورنثوس ٢ : ٩، ٩ : ١٣ يتحدث فيها كليهما عن تزكية إيمانهم وطاعتهم، وتعنى إثبات شئ موضوعيا كعينة من قيمتهم الحقيقية، كما يتكلم الرسول بولس عن تزكية إيمانهم وقوتهم الواضحة (٢ كورنثوس ١٣ : ٣).

الرجاء لايخزى

لقد سبق أن تكلمنا عن الرجاء. على أية حال إن له معنى أكثر مما يذكر عنه فى القاموس. إنه توقع مستمر وواثق. فالرجاء هو توقع **مُفرح وواثق**.

إرجع إلى كلمة «إلبيس» فى قاموس يونانى واكتشف أن المعنى هو انتظار عظيم أو توقع مُفرح. فمتى تحقق فإنه يملأ قلبى فرحاً. وهذا النوع من الرجاء لايخزى، والكلمة المترجمة

ويقول «جوديت» فى تفسيره للرساله إلى أهل رومية أن كل جوانب رومية ٣ : ٢١ – ٢٦ قد تم التوسع فيه ماعدا الجزء الذى يتناول العبارة : «.. إلى كل الذين يؤمنون» (٣ : ٢٢). وهكذا نجد أن شمولية خلاص المسيح قد تم تناولها فى علاقتها بكل الجنس البشرى. والهدف من هذه الفقرة الختامية هو إثبات كيف أن كل شئ لازم لخلاص البشر من التبرير إلى المجد، مضمون فى فداء المسيح.

ومع أن هذا النص صعب من بعض الوجوه، فمن الضرورى المطلق أن نفهم تماماً مايقوله الرسول، لأنه مفتاح الأصحاحات الثلاثة التالية. وهذه الفقرة ٥ : ١٢ – ٢١ تتكون من سلسلة من المقارنات والمفارقات، فيجب أن تُقرأ ثم تفحص لمعرفة ما تعلمه سطحيا. فهذا ما كان سيعمله أهل رومية. كانت ستُقرأ لهم، ولم تكن ستعقد حوارات مطولة حولها، فمتى قرئت فستُفهم.

المقارنة بين الخطية والنعمة

يصف الرسول بولس فى رومية ٥ : ١٢ – ١٤ المقارنة بين الخطية والنعمة:

«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع. فإنه حتى الناموس كانت الخطية فى العالم. على أن الخطية لاتحسب إن لم يكن ناموس. لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى».

العبارة الأخيرة... «الذى هو مثال الآتى» لازمة لفهم هذا النص. فهناك مفارقة بين الخطية والموت، فبإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية دخل الموت إلى العالم، وامتد الموت إلى جميع الناس عندما أخطأ كل إنسان. هذا هو رومية ٣ : ٢٣... «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله..» فالخطية كانت قبل شريعة موسى، ومع ذلك فالخطية لاتُحسب حيث لا ناموس، والناموس قد كان دائما فى العالم، فحكم الموت من آدم إلى موسى على الذين لم يخطئوا على مثال آدم، لقد ابتدأ آدم حالة شاملة.

مقابلات عديدة ونعمة

بسبب هذه الحالة من الخطية لقد تطورت المقارنة بين كل هذه الأمور. ففى ٥ : ١٥ نجد مقابلة بين **التعدى والهبة** فبتعدى آدم مات الكثيرون، ولكن بنعمة المسيح ازدادت النعمة للكثيرين. ثم فى ٥ : ١٦ نجد مقابلة بين **الدينونة والتبرير**، فبتعدى واحد جاءت الدينونة

وهكذا فإن خطيتنا فى المستقبل لن تعوق قصد الله فى خلاصنا، أكثر من خطايانا فى الماضى. فعمل ابن الله فى الماضى سيحفظنا أنقياء من كل خطية (١يوحنا ١: ٦، ٧) إن كنا نحب ابنه ونؤمن بابنه ونتبع ابنه. ولكن هذا العمل أو محبة الله تظهر أيضا فى حياة المسيح. فحياة المسيح ليست للخاطئ، بل هى للمخلص. فحياة يسوع تساعدنى فى سلوكى الآن. فحياة يسوع الآن تضمن مستقبلى. أنا مخلص من الغضب (رومية ٥ : ٩) وليس من الخطية فقط، بحياة الرب يسوع. أنا مخلص من السقوط بحسب رومية ٥ : ١٠. هذا هو ما أعده الله لنا فى الحاضر إنه عمل الله فى حياتى، وعندما أتأمل حياة الرب يسوع، أعرف تماماً كيف أحيا.

لاحظ شيئا هنا. إذا كان موت المسيح وسيلة لمصالحتنا، فإن حياة المسيح ستكون الوسيلة لحفظنا. يجب أن نؤمن أن هذا حق تماماً. فهناك مقارنة ثلاثية فى هذه الآيات. أعداء قد صولحوا، أناس هالكون قد خلصنا، أموات قد أعيدوا للحياة. والآن إذا كان الله قد عمل كل هذا، فيمكنك أن تثق به بالنسبة للمستقبل.

٤ – أن طريقة التبرير ستستمر لأن الله نفسه هو رجاؤنا وهو الذى يكلل رجاءنا، فنقرأ فى الآية ١١: «وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضا بالله بربنا يسوع المسيح الذى نلنا به الآن المصالحة».

عندما نتأمل فى فكرة افتخار المؤمن بالله، نرى أن لا شئ بدون الله يشبعنا، ولاشئ غير حياتنا يشبع الله. فالتبرير **عطية مباشرة** بالإيمان، وهى تؤخذ لاتتمم، فالتبرير **عطية كاملة**، فليس ثمة درجات فى التبرير. فأضعف مؤمن بالله مقبول عند الله. ونحن نتغير، ولكنه هو لايتغير. والمسيح لايمكن أن يموت، ومحبته هو وليست محبتى هى موضع الراحة. حقه وليس حقى هو الرباط. فالتبرير **عطية دائمة** فالمؤمن يغطيه المسيح وبذلك فهو واثق من محو الدينونة والذنب فيمامضى، إنه قد أُنقذ من كل خوف وشك فى الحاضر وبذلك فهو ضامن لقبه في السماء. والتبرير هو **عطية إلهية**. هناك ميل للإتكال على جوانب الخلاص البشرية. فأنا كثيراً ما أرتعش وأنا واقف على الصخرة، ولكن الصخرة لاتهتز إطلاقا تحتى. والرب يسوع بعيد عن كل شك. التبرير **عطية تستمتع بها**، فعمل الله وحقيقة الله فى الخلاص عامل وقوة فى حياتنا اليومية، وهذا التبرير سيدوم، سيدوم بسبب ما يعمله الله فى حياتى.

أساس البر

يعتبر بعض الناس رومية ٥ : ١٢ – ٢١ أصعب فقرة فى كل الكتاب المقدس. ويبدأ هذا الجزء بنفس الكلمة التى فى ٥ : ١ «لذلك» (من أجل ذلك).

إلى العالم. وبالرغم من التعديات الكثيرة ازدادت عطية النعمة المجانية وأدت إلى التبرير. وفى ٥ : ١٧ نجد مقابلة بين **الحياة والموت**. فبإنسان واحد، هو آدم، حكم وملك الموت، ولكن بالإنسان الواحد يسوع المسيح ملكت وحكمت الحياة. وفى ٥ : ١٨ نجد مقابلة بين **التعدى والبر**، فآدم أتى بالتعدى، أما يسوع فأتى بالبر. وفى ٥ : ١٩ نجد مقابلة بين **الطاعة والعصيان**، فبمعصية آدم جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضا بإطاعة المسيح لله، سيُجعل الكثيرون أبراراً. وفى ٥ : ٢٠ نجد الكثير من التعدى والكثير من البر.

خاتمة

جاء الناموس لتكثر الخطية، ولكن حيث كثرت الخطية، ازدادت النعمة جداً. وكما ملكت الخطية فى الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح. فهناك فيض من التعدى بسبب الموت، وهناك فيض من النعمة بسبب الحياة. فالخطية تملك إذا ارتبط وتماثل الإنسان بآدم فى العصيان، وتملك الحياة إذا ارتبط وتماثل الإنسان بالمسيح بالإيمان. ويعتقد بعض الناس أن هذا يعلّم أن تعدى آدم قد حسب بلا شرط على كل الأطفال المولودين في العالم. ولكن لايمكن أن يكون هذا صحيحا لأن ٥ : ١٨ – ١٩ يقول إنه كما حُسب التعدى هكذا أيضا حُسب البر. فبالكيفية التى حُسب بها التعدى، بنفس الطريقة حسبت الهبة، وبالكيفية التى حسبت بها الهبة فبنفس الطريقة حسب التعدى. وقد سبق أن رأينا أن هبة يسوع مشروطة، فهى مشروطة بالإيمان، وقد رأينا أيضا أن الموت الذى أتى به آدم هو موت روحى، وهو مشروط بعصيان الناس وعدم إيمانهم.

لو قرأ بعضهم رومية ٥ : ٢١ وكان هو العدد الوحيد الذى قرأوه، لربما استنتجوا أنه حيث تكثر النعمة حيثما كثرت الخطية فليخطئوا أكثر، «لنكثر من الخطية لكى تكثر النعمة». وهو نفس مايقوله الرسول بولس على فم الناس فى رومية ٦ : ١ وسنجيب بما أجاب به الرسول بولس فى الدرس التالى. سيكون ضد كل قصد الله وضد طبيعته أن تشجع الخطية. وسيوضح الرسول بولس أن هذا غير منطقى ومستحيل أن تستمر فى الخطية بينما نؤمن بنعمة الله. أننا نؤمن بنعمة الله. ليت الله يعطيكم سلاماً عظيما فى عصر النعمة هذا.

الفصل السادس عشر

الغلبة عن طريق القداسة

رومية ٨ : ٣١ - ٣٩

مراجعة ومقدمة

إلى هنا فى رومية ٨ قد رأينا أن القداسة ممكنة بموت المسيح، ولكن أيضا بمعونة الروح القدس. كما قد رأينا أيضا إمتيازات القداسة: مقاماً جديداً تبنينا جديداً، ومجداً جديداً. وقد رأينا الحوافز للبقاء فى القداسة، وأن آلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد العتيد. لقد رأينا عمل الله العظيم فى الشفاعة والوساطة والعناية.

وبعد تأكيد جانب الله فى الفداء المسيحى، يصف الرسول بولس الشعور الناتج عن الثقة المطلقة، ويرينا كيف أن تلك الثقة ترتفع إلى اليقين الإيجابى، اليقين المبارك، فالرب يسوع لى. فالنقمات الملتهبة ولكنها محكومة فى الآيات ١٨-٣٠ التى أُعقبت المنطق الهادئ للآيات ١-١٧ تتحول الآن إلى نوع من النشيد، إلى جيشان عاطفى الذى يعلو ويعلو حتى يبلغ ذروة عظيمة.

ثلاثة أسباب للثقة الغالبة

بعد أن سأل : «فماذا نقول لهذا؟» (رو ٨ : ٣١) يتهلل الرسول بولس بسعادة وأمن المؤمنين بتأمله فى ثلاثة أسباب أساسية لثقته المنتصرة.

علاقة المؤمن بالله (٨ : ٣١-٣٣)

«فماذا نقول لهذا؟» إن كان الله معنا فمن علينا؟ الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين. كيف لايهبنا أيضاً معه كل شئ؟ من سيشتكى على مختارى الله؟ الله هو الذى يبرر». فأولئك الذين قد اختارهم الله يمكنهم أن تكون لهم ثقة مطلقة فى أربع علاقات لهم مع الله.

الأول: الله هو «**المحامى**» عنهم. فالجزء الثانى من الآية ٣١ تقول: «إن كان الله معنا فمن علينا؟». و«معنا» معناها «إلى جانبنا» فإذا كان الله إلى جانبنا، فلنا فعلا الغلبة. فهو المحامى عنا، إنه لأجلنا.

الثانى: الله هو **حامينا**: فمرة أخرى، يكتب الرسول بولس فى العدد ٣١ «إن كان الله معنا فمن علينا؟»

ويح أى قوة تحاول معارضة إلهنا. قم بجولة من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا واكتشف من الذى يغلب دائما. أذكر مثال داود. فهنا ولد صغير الذى عندما يلبس درع شاول، لايمكنه أن يتحرك. يستطيع أن يتحرك داخل الدرع، ولكنه لايستطيع أن يحرك الدرع، ولذلك فهو يخلعه. ثم يلتقط مقلاعاً وخمسة حجارة ملساء وإنطلق وذبح أضخم رجل فى كل العالم

أبيض

فالمسيح مات وأُقيم من الأموات وهو الآن عن يمين الله يشفع فينا فإذا كان أحد يريد أن يدين، فعليه أن يتعامل مع الرب يسوع.

الفاعلية المستمرة لصلب المسيح وقيامته

عُد وتأمل مرة أخرى فى مادرسناه فى رومية ٣، ٤. ففى رومية ٨ يتغنى الرسول بولس بنشيده عما كتبه فى الأصحاحين ٣ ، ٤. فطريقة تبرير الإنسان مبنية على إتكالنا واعتمادنا الكاملين على الرب يسوع وعلى نعمة الله ومحبته فى الصليب، «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣:١٦). وعبارة «لكى لا» ليست مبنية على شك بل على الحقيقة. لقد بذل الله إبنه لكى لايهلك الإنسان، بل ليمكنه أن تكون له حياة أبدية. وهذا ماسيقوله الرسول بولس لمدينة كورنثوس الشريرة. «وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم بشهادة الله، لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا» (١كورنثوس ٢:١-٢).

ومن الممتع لنا أن نلاحظ أن كلمة «مصلوبا» فى الأصل اليونانى فى الزمن التام وهذا معناه أنه فى الماضى صُلب الرب يسوع ولكننا نراه وكأنه مازال معلقا على الصليب لقد تم موته فى وقت ما ولكن مازالت نتائج موته مستمرة فعالة إلى اليوم.

فالرب يسوع لم يمت فقط ولكنه أقيم من الأموات. ونحن لم نجر مع بطرس ويوحنا إلى القبر ووجدناه فارغا، ولكننا نعلم أنه كان فارغا (ارجع إلى متى ٢٨:١-١٥، مرقس ١٦:١-٨، لوقا ٢٤:١-٨، يوحنا ٢٠:١-٩). نعلم أنه كان فارغا لأن هذه كانت شهادة النساء المخلصة (ارجع إلى متى ٢٨:١-١٠، مرقس ١٦:١-١٠، لوقا ٢٤:١-١٢، يوحنا ٢٠:١-١٨). ونحن نعلم أنه كان فارغا لأن هذه كانت شهادة شخص حكيم اسمه يوحنا ومؤمن مندفع اسمه بطرس. نعلم أنه كان فارغاً لأن حراساً من الرومان رجعوا وأخبروا السنهدريم اليهودى بأنه كان فارغا (مت ٢٨:١١-١٥) ونعلم أنه كان فارغا لأن هذه هى شهادة ليس المؤمنين فقط، بل من غير المؤمنين فى كل الزمان. ولكن معرفة أن القبر كان فارغا ومعرفة قوة القبر الفارغ أمران مختلفان. وقد كتب الرسول بولس فى فيلبى ٣:١٠ لأعرفه (المسيح) وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته» وإذا كان القبر فارغا، فلايمكن تفسير ذلك إلا بطريقة واحدة: لقد قام من الأموات. لايمكن أن يكون أصدقاؤه قد سرقوا الجسد. وحتى لو أنه لم يكن قد مات على الصليب وكان مجرد مغمى عليه، فلم يكن فى استطاعته أن يخرج من ذلك القبر المختوم. فليس ثمة تفسير

(١صموئيل ١٧) كيف كان ذلك؟ كان الله هو معينه، كان الله حاميه، لم يكن هناك من يستطيع أن يؤذى داود ولا الوحوش المفترسة ولا جليات، ولا بمؤمرات شاول ضده، ولا بمحاولات ابنه ليقتله، ولا من أى أحد آخر. لم يكن فى الإمكان هزيمة داود.

الثالث: الله هو الذى **يمدهم** بكل شئ. فهو لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا، فكيف لايهبنا كل شئ؟ مثل إبراهيم تماماً. فالله لم يشفق على إبنه، وإبراهيم لم يمسك إبنه اسحق عن الله وبسبب ذلك أعطى الله إبراهيم كل شئ. عندما بذل الله إبنه ذبيحة لأجلنا، جعل من الواضح أنه لن يمسك عنا أى شئ يلزم لحياتنا الروحية، فالحياة لايمكن أن نحياها إلا معه، ولايمكن سد أعواز الحياة إلا منه. وعندما كان إبراهيم يقدم إبنه إسحق، سأل اسحق إبراهيم: «هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة؟» (تكوين ٢٢:٧) وكان جواب إبراهيم: «الله يرى له الخروف للمحرقة ياإبنى». وهذا حق بالحرف. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً سُمى الجبل: «جبل الله يرى» الذى يعنى ببساطة «الرب سيدبر» فالله هو الذى يمدنا بكل شئ. ولايمكن أن تكون لى أو لك حاجة مطلقاً وهو لايستطيع أن يسدها. فهو كفء وكاف ووافر وقدير.

رابعا: الله هو **مبررهم**، فيكتب الرسول بولس فى ٨ : ٣٣ «من سيشتكى على مختارى الله؟» الله هو الذى يبرر. فلا أساس للدينونة حيث أن المسيح قد تحمل العقاب. لا ناموس لإدانتنا حيث أننا لم نعد تحت الناموس، بل النعمة لا محكمة لإدانتنا حيث أن مالنا هو عرش نعمة وليس عرش دينونة، فلا دينونة ولا قاض ليحكم علينا. فالله هو الديان الوحيد وهو الذى يبررنا.

علاقة المؤمن بالإبن (٨ : ٣٤-٣٦)

«من هو الذى يدين؟ المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضا الذى هو أيضا عن يمين الله؟ الذى أيضا يشفع فينا. من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب أننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح». **هل يمكن لأى شئ أن يفصلنا؟** جواب الرسول بولس : لا شئ أبداً فموت الرب يسوع فيه كل الكفاية (٨:٣٤). وقد أيدّت قيامته تبريرنا (٨:٣٤) ويمنحنا صعوده شفاعته (٨:٣٤) كل هذه الأشياء تجعل من المستحيل تماماً أن ننفصل عن المسيح.

وبالتأمل بأكثر تدقيق فى هذه الآيات نجد السؤال: من هو الذى يدين؟ ليس من يجيب. ليس من يقف ليقول: أنا أدين. حتى إذا وقفوا ليقولوا ذلك، فعليهم أن يغلبوا الرب يسوع المسيح.

خاتمة

فى ختام هذا الأصحاح نجد فى رومية ١:١٨–٣:٢٠ أن هناك حاجة إلى بر إلهى، فقد اكتشفنا أن غضب الله معلن ضد كل فجور وإثم وقد اكتشفنا فى رومية ٢:١–٣:٨ أن اليهودى مُدان رغم كل إمتيازاته وعلاوة على هذا، الدينونة الشاملة حقيقة ثابتة لكل الجنس البشرى. وقد اكتشفنا فى رومية ٣:٢١–٥:٢١ أن نيل الفداء الإلهى هو بالإيمان، وهو نتيجة دم الرب يسوع، وثبت أنه فعّال بسابقة روحية لإبراهيم فى ٤:١–٢٥) وأعلن أنه دائم وكامل لكل الجنس البشرى فى ٥:١–٢١. وفى رومية ٦:١–٨:٣٩ سنحيا بالإيمان، فالحياة يقويها البر الإلهى. وقد تعلمنا عن النصرة على الخطية والحرية من كل عبودية للخطية فى رومية ٦. فهناك حرية من الناموس ومن الصراع العقيم للتبرر بذلك الناموس فى رومية ٧ وأخيراً فى هذا الأصحاح، لقد رأينا الحياة المجيدة بروح الله أصبحت ممكنة بدم المسيح، ويشترك فى ذلك كل شعب المسيح، ويحفزها عمل الله على مدى الزمان.

والشئ الوحيد الباقى، قبل أن نأتى إلى الحياة الآتية، هو كيف أن الوعود العظيمة التى قطعها الله فى العهد القديم تتفق مع كل ما قد درسناه. فماذا عن الوعود التى قطعها الله مع إسرائيل بأنهم سيكونون شعبه، وأمه سيفديهم ويمجدهم، وأنهم سيعيشون فى مدينة هى ملكهم، ويعبدون فى هيكل خاص بهم، وسيحكمهم ملك منهم؟ ماذا عن كل هذه الوعود؟ كيف تتفق مع النقاش عن الخلاص بالنعمة بالإيمان؟ هذا ما سيناقشه الرسول بولس فى الأصحاحات التالية الثلاثة، التى سيصور فيها أن نعمة الله ستصل إلى إسرائيل، الذين قد ختنوا فى القلب وليس فقط فى لحم غرلتهم. فاليهودى مبارك من خلال بركة إبراهيم، كما قرأنا فى رومية ٣:٢١–٨:٣٩. وكان يجب عليهم – دون كل الشعوب – أن يفهموا هذا فُسيستخدم اليهود برهانا على نعمة الله، وليس برهانا على دينونة الله فقط. أذكر أن الله لك، فلا أهمية لشئ آخر. ليعطك الرب سلاماً بالإيمان بهذا.

آخر سوى أنه قد قام. ولهذا السبب، لايستطيع الموت أن يفصله عنى. فالقبر الفارغ يؤكد ذلك. ولأنه قام من الأموات ففى مجد هذه القيامة سأربح أنا.

ولكن هناك شيئًا أعظم قوة حتى من قيامته وموته، الذى أدى إلى خلاصى. فقيامته أدت إلى تبريرى ولكن شفاعته هى التى تعطينى أهميتى أمام عرش الله.. «فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧:٢٥). لماذا يحيا؟ ولماذا مات؟ كان هذا لكى أستطيع أن أخلص. لماذا أُقيم؟ لكى أستطيع أنا أن أُقام. ولماذا يشفع؟ إنه يفعل ذلك كى ما أستطيع أن أحيا. فهو يشفع فىّ أمام الله كى أستطيع أن أحيا. فهو يشفع فىّ أمام الله حتى بالرغم من ضعفى، أستطيع أن أكون أكثر من غالب.

فليس الروح فقط هو الذى يشفع فى (رو ٨ : ٢٦) بل والرب يسوع أيضا (رومية ٨:٣٥–٣٦) ويشفع معناها يدافع عن قضية. وهذا هو مايقوم به الرب يسوع المسيح المحامى، كما يذكر يوحنا فى (١يوحنا ٢:١) إن علاقتى بالله هى التى تجعلنى أعرف أننى أعظم من غالب (يعظم انتصارى).

علاقة المؤمن بالظروف (٨ : ٣٧–٣٩)

ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا، فإنى متيقن أنه لاموت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا».

لايمكن أن أُفصل أن أنهزم بأى شئ فى العالم، ولا بالموت ولا بالحياة. إن الحياة فى الواقع تهددنا أكثر من الموت. إن أمور هذه الحياة هى التى تهدد أمانتنا، ولكن الرسول بولس يقول إن الموت لايقدر أن يفصلنا وكذلك الحياة لاتقدر، وهذا لأننا عندما نموت، نذهب لنكون مع الرب يسوع وبسبب هذا لا ننفصل. والحياة هى فى الرب يسوع (ارجع إلى غلاطية ٢:٢٠) فلا شئ فى العالم الأعلى يستطيع أن يفصلنا، لا ملائكة ولا رياسات، وبعبارة أخرى، لا الملائكة الذين يخدمون الله، ولا الذين يخدمون الشيطان يمكنهم أن يفصلونا. لاشئ فى الزمان يمكن أن يفصلنا، وهذا معناه الأشياء الموجودة حاليا أو ستكون مستقبلا، لاشئ فى عالم الحكومات، لا قوة تستطيع أن تفصلنا. ويقول الرسول بولس : لا علو ولا عمق ... لاشئ فى عالم الفضاء، بغض النظر عن علوه أو عمقه، لا شئ فى السماء أو فى الجحيم يمكن أن يفصلنى عن محبة الله.

الفصل العاشر

التبرير والخطية

رومية ٦ : ١ - ٢٣

مراجعة ومقدمة

فى هذا الفصل سنغير تركيزنا من التعليم عن التبرير إلى التعليم عن التقديس. فالتبرير هو أن يصبح الإنسان باراً، بينما التقديس هى حالة المعيشة باستقامة، وفى رومية ٦ – ٨ سنرى هذا التعليم العظيم عن التقديس بدم المسيح.

وقبل أن نبدأ دراستنا عن التقديس، لنراجع مارأيناه حتى الآن. ففى رومية ١ : ١٦، ١٧ تعلمنا أن الإنجيل الذى هو قوة الله للخلاص، يعلن بر الله. والكلمة الرئيسية فى ١ : ١٦–١٧ هى كلمة «**معلن**»، فقد أعلن الإنجيل بر الله. وفى ١ : ١٨ إلى ٣ :٢٠ يقول الرسول بولس إن فجور الإنسان بالخطية يتطلب التزود بالبر الإلهى. والبر لم يعلن فحسب (١:١٦–١٧) بل هو مطلوب في ١:١٨–٣:٢٠. والبر اللازم يزودنا به الرب يسوع المسيح بالإيمان. والكلمة الرئيسية فى ٣ : ٢١ – ٣١ هى كلمة «**معلن**»، فهذا البر يكفله العهد القديم. والكلمة المفتاح مضمون فى ٤ : ١ – ٢٥.

وفى ٥ : ١ – ٢١ نجد هذا البر دائم. إنه دائما، **أولا** بالنسبة لتأثيره للفرد، و**ثانيا** إنه دائم لأنه انهى عصر آدم، وجاء نظام جديد تماماً لأمور أدخلت حيث ملك فيض النعمة ببر ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. فإذا كنا فى المسيح وهو ربنا، فالعصر الآدمى قد انتهى وبدأ العصر المسيحى فى حياتنا.

والموضوع فى ٣ : ٢١ – ٥ : ٢١ هــو أننا قــد **تبررنــا بالإيمــان** بربنا المصلــوب. ومن ٦ : ١ – ٨ : ٣٩ الموضوع سيكون **التقديس بالإيمان** بالرب المقام. ولم يعد الأمر موضوع الحوار هى كيفية محو ذنب الخطية، بل كيف تتغلب على قوتها. وقد قال أحدهم إن التبرير هو الباب الذى ندخل فيه إلى الطريق الضيق للقداسة. ومن هذه النقطة سنتناول طريق القداسة وليس الباب إليها. فما سنركز فكرنا عليه هو البناء (التقديس) الذى سيُبنى على أساس التبرير، وسنرى أن التبرير ليس لازما فقط للتقديس، بل إنه يضمنه فى الحقيقة، فالتقديس يتضمن التبرير.

والاتحاد بالمسيح يتضمن نتيجتين جميلتين : «تأثير الكفارة بالنسبة لذنبنا فى الماضى إذ نشترك فى استحقاقات موت المسيح، وتأثير القيامة لحاضرنا غير المقدس، إذ نشترك فى استحقاقات حياة المسيح: فموقفنا القضائى يتولاه التبرير، وحالتنا الروحية يتولاها التقديس.

أبيض

ويجيب الرسول بولس على هذا الاعتراض فى ٦ : ٢ محتجا، فيقول: «حاشا ! يجب ألا يعتبر الأمر هكذا أبداً !» ويستشهد باختبارهم، فيقول: «لقد متنا عن الخطية، فكيف نقدر أن نعيش فيها فيمابعد؟». ويستبعد السؤال باعتباره غير معقول قبل أن يدحضه باعتباره خاطئا، إن القلب الشرير هو الذى يحول النعمة رخصة للخطية. إن هذا ما يثير سخط الرسول الصائب.

ثم يذكرهم الرسول بأمر فى ٦ : ٣ – ٤، فيلجأ إلى معرفتهم، ويسألهم: «أم تجهلون؟» بالطبع لم يكونوا يجهلون. أتجهلون ماحدث فى المعمودية؟ «هل تجهلون ماحدث عندما غمرتم فى الماء لإيمانكم بيسوع المسيح؟». ألا تذكرون أن هذا كان موتا وأنكم دفنتم مع المسيح فى معموديتكم وأنكم متم عن الخطية؟ لقد متم بالنسبة لعقاب الخطية. إنكم متم بالنسبة لنتائجها. لقد متم عن ممارساتها. حدث هذا عندما غطستم فى الماء. ألا تذكرون أنكم عندما غمرتم كان هذا دفنا؟ ألا تذكرون إماتة الإنسان العتيق؟ ألا تذكرون دفن الإنسان العتيق وخلع كل ما مات؟ لأنكم تبتم ماتت الخطية. ألا تذكرون ذلك؟ ألا تذكرون أنكم عندما دفنتم، أنكم أُقمتم أيضا؟ لقد متم، ودفنتم، وأقمتم وعندما أقمتم، صرتم خليقة جديدة. عندما أقيم الرب يسوع، كان خليقة جديدة، ومازال يبدو كما هو، مازال له نفس الجسد، ونفس العلامات فى يده، ونفس أثر الطعنة فى جنبه، ونفس الجروح فى رأسه، ولكنه استطاع أن يظهر فى وسط حجرة وأبوابها مغلقة. بدا كما كان، ولكنه كان خليقة جديدة له علاقات جديدة. عندما غمرتم فى الرب يسوع، دفنتم وقمتم خليقة جديدة. ألا تذكرون أن المعمودية كان يتبعها السلوك فى جدة الحياة؟ وفى الآيتين الثالثة والرابعة يستشهد الرسول بولس باختبارهم للخلاص ويقول: ألا تذكرون أنكم اعتمدتم لا لكى تخلصوا فحسب، بل لتموتوا عن الخطية، لتموتوا أنتم للخطية، لكى تدفنوا الإنسان العتيق، وأن تقاموا إنسانا جديداً للسلوك فى جدة الحياة؟» وهذا ينبنى على أساس كلامه فى ٥ : ١٢–٢١ حيث تكلم عن آدم والمسيح: «لقد كنتم الإنسان العتيق، آدم، والآن أنتم الإنسان الجديد، المسيح».

التحرر من الخطية بالموت

فيقرر فى رومية ٦ : ٥ – ٧:

«لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضا بقيامته، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطُل جسد الخطية كى لانعود نستبعد أيضا للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية».

التحرر من سلطان الخطية

يتناول كل القسم فى رومية ٦ : ١ – ٨ : ٣٩ موضوع تحررنا من سلطان الخطية أو قوتها. لقد تحررنا فعلا من عقاب الخطية كما رأينا فى ٣ : ٢١ – ٥ : ٢١، ولكن مازال للخطية القوة للغلبة علينا إلا إذا كنا قد تحررنا من قوتها.

وسيذكر الرسول بولس أربع نقاط بالنسبة للتحرر من قوة الخطية : **أولا**– سنتكلم عن **مبدأ جديد** يجعل المؤمن ميتا للخطية (٦ : ١–١٤). **ثانيا** – سنتكلم عن **وضع جديد** يجعل المؤمن حراً من الخطية (٦ : ١٥ – ٧ : ٦). **ثالثا** – سيتكلم الرسول بولس عن **قوة جديدة** تجعل المؤمن حراً من الناموس (٧ : ٧ – ٢٥). **رابعا** – سيتكلم عن **إمكانية جديدة** تجعل المؤمن يحيا للقداسة.

ينبوع البر

يتكلم رومية ٦ : ١ – ١٤ عن ينبوع البر فيناقش هذا المبدأ الجديد الذى يجعلنى ميتا للخطية : «فنقرأ: فماذا نقول (إذاً). فالكلمة الأساسية فى هذا القسم من الإصحاحين ٦، ٧ هى كلمة «إذاً»، وهذا معناه أن الرسول بولس يذكر النتيجة. فمثلا: «فماذا نقول» (إذاً)، «فماذا إذاً؟» (٦ : ١)، فماذا نقول (إذاً) (٧ : ٧). وهذه الكلمة «إذاً» تمهد لبعض الاعتراضات التى سيثيرها أولئك الناس. فيكتب الرسول بولس :

«فماذا نقول؟! أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة؟ حاشا. نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟ أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته؟ فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة».

هذه الآيات تجيب على أحد الاعتراضات. وهذا الاعتراض موجود فى الآية الأولى: «فما تقوله عن الله، وما تقوله على طريقته فى إعلان الإنسان باراً، فى الواقع يشجع على الخطية». وهو اعتراض معقول، ولكن يجب عدم الإيمان به. إنه معقول بسبب ماقاله الرسول بولس فى ٥ : ٢٠، ٢١، حيث قال إنه «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً. وتكون النتيجة هى حيث أن الخطية ملكت فى الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا. فما قاله الرسول بولس عن نعمة الله، فإن منطقيا أثار هذا الاعتراض فى أذهانهم. فهم يقولون إن تعليم الرسول بولس عن النعمة، يشجع على الخطية :

المسيحى أن يظل يحسب نفسه أنه قد مات بالمثل لكل ماهو خاطئ، وبالمثل أيضا يحيا تماماً وبالكلية لله. ويجب أن نتنبه لملاحظة أن «الموت للخطية» لايعنى موت الخطية كقوة فى قلوبنا. فالرسول لا يقول أن الخطية ماتت بالنسبة لنا، ولكنه يقول إننا نحن الذين فى المسيح قد متنا بالنسبة لها، فيجب أن نظل حسب أنفسنا هكذا بإيمان بسيط.

التقديس مُتضمن فى التبرير

التقديس هو الجزء الثانى من فدائنا فى المسيح. فالمسيح هو برنا وتقديسنا، كما يقرر الرسول بولس فى ١كورنثوس ١ : ٣٠ فيلزمنا أن نحسب أنفسنا أمواتا للخطية حتى متى قدمت الخطية أى مطلب لا نصغى. وهذا هو سبب الأمر فى رومية ٦ : ١٢-١٤. ويبدأ الرسول بولس بكلمة «إذاً» وبعبارة أخرى. حيث أن كل ما قلناه صحيح، حيث أننا اعتمدنا فى المسيح وحيث أننا قد دفنّا الإنسان العتيق، وأقيم إنسان جديد، فعلينا التزام للمسيح فقط وليس للخطية. وكل هذا حق.

> «إذاً لاتملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته. ولاتقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات بر لله، فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رومية ٦: ١٢-١٤).

لاتدعوا الخطية تملك. يجب أن نثبت أننا فى الحقيقة كما نحسب أنفسنا، أى أمواتا عن الخطية.

هناك مطالبان أو مدعيان لحياتنا، يطلباننا دائماً ويطلبان طاعتنا لهما: الله والشيطان. وحيث أن المؤمن قد دخل إلى ملكوت المسيح وفى إتحاد معه، فيجب أن يكون مكرساً بالتمام له ويقدم أعضاءه لخدمته، ويتضمن هذا ألا ندع الخطية تملك فى جسدنا المائت. تأمل مرة أخرى فى الوعد العظيم فى ٦ : ١٤ «الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» ماهو الوعد الإلهى؟ لن تملك الخطية. ماهو التدبير الإلهى لستم تحت الناموس ولاتحت الخطية بل تحت النعمة».

الجانب المسيحى للقداسة

فى هذه الآيات نرى الجانب البشرى للقداسة المسيحية. موقفنا من نحو الرب يسوع، وواجبنا من نحو الرب يسوع. ويظهر هذا بوضوح فى ثلاثة أفكار رئيسية عن القداسة فى هذه الآيات:

كنتيجة للخلاص والتبرير والتقديس، صرنا متحدين بالمسيح فى موته وفى قيامته. ويتكلم الرسول بولس هنا عن الإنسان العتيق المذكور فى رومية ١ : ١٨ – ٣: ٢٠، الإنسان الذى كان يتكل على فلسفته وحكمته وأخلاقياته أو على ممارساته الدينية. إنه آدم فى ٥ : ١٢ – ٢١ الذى هزمه المسيح فى حياتنا. يتكلم الرسول بولس هنا عن جسد الخطية كالمكان الذى بدأت منه الخطية، فالخطية بدأت فى جسدنا الطبيعى، لكن الرسول بولس يقول إننا قد اتحدنا بالمسيح. هذه هى الذات الحقيقية التى كانت متحدة فى وقت من الأوقات بآدم (وسيتناول الرسول بولس نقطة العبودية فى الفقرة التالية وفى مناقشة موضوع الناموس والزواج فى الإصحاح السابع)، وهنا نجد حقيقة ذواتنا، فقد كنا متحدين بآدم فى تقليدنا لخطيته والآن صرنا متحدين بالمسيح بالإيمان، فى عمله الصالح.

ثم يقرر الرسول بولس المبدأ فى ٦ : ٧ بأن «الذى مات قد تبرأ من الخطية». وهذا مثل مأثور، فكل من مات تحرر من الدين، فالموت يمحو كل الالتزامات ويقطع كل الربط.. فسأتحرر من الدين بالموت، قد تتحمل أسرتى الدين ولكننى أنا سأتحرر من الدين المادى. إنه مبدأ بسيط أن الموت يلغى كل الالتزامات ويقطع كل الربط. ويستخدم هذا المثل المأثور العام هنا لتأكيد حقيقة أن المؤمن باتحاده بالمسيح قد تحرر من عقاب الخطية وقوة الخطية. فالاتحاد بالمسيح بمحو العقاب ويفتح الطريق لتيار النعمة ليتدفق إلى النفس. فمن غير المنطقى وغير الكتابى، بل من غير اللائق أدبيا التفكير فى الاستمرار فى الخطية لكى تكثر النعمة.

اقتناع الرسول بولس

يذكر الرسول بولس فى رومية ٦ : ٨ اقتناعه بأنه «إن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه» هذا الموت للخطية الذى استمتعنا به عندما اعتمدنا فى المسيح حررنا لحياة جديدة. لقد قتل روح الله الخطية فى حياتنا، وقد حررنا ذلك لحياة جديدة، وفى ٦ : ٩، ١٠ يقدم الدليل على صحة ذلك، فيقول: «عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لايموت أيضا. لا يسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التى يحياها فيحياها لله». هذه الحقيقة عن موت ربنا تدل بوضوح على القوة الكفارية التى لموته. لقد دفع المسيح كل دعاوى الموت نيابة عن شعبه، فلم يعد للموت أى حق عليهم. وينبنى على هذا دعوة الرسول بولس فى ٦:١١ «كذلك أنتم أيضا احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا». وهذا الحسبان إنما هو بسبب موت ربنا وقيامته. فعلى

مامعنى تحت الناموس. تحت الناموس معناها أن يحكم الناموس كقاعدة لعهد الأعمال، وهذا يتضمن على الأقل ثلاثة أشياء:

الأول: إنه يتضمن وصية إلهية أو عدداً من الوصايا تأمر بالطاعة الكاملة.

الثانى: يتضمن وعداً إلهياً بالحياة أو جزءاً للطاعة الكاملة.

الثالث: إنه يتضمن تهديداً إلهياً بالعقاب للتقصير فى عمل واحد من الطاعة الكاملة.

يجب أن نكون شاكرين لأننا تحت النعمة ولسنا تحت الناموس، فهذا يتضمن أمرين:

أولا: يتضمن أن الله منعم وكريم ومحب.

ثانيا: أنه يرينا استعداد الله أن يمنح البر وأيضا الإرادة للطاعة.

رغبة الله فى منح البر وأيضاً الإرادة للطاعة
الالتزام الجديد

فى رومية ٦ : ١٦ – ١٨ يتحدث الرسول بولس عن الالتزامات جديدة :

«ألستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذى تطيعونه، إما للخطية للموت، أو للطاعة للبر. فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلتموها، وإذا أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر».

فالنعمة تعلن الالتزامات الجديدة وتشد الإنسان للقيام بها فثمة خضوع جديد للبر، فنستطيع أن نختار سيدنا، ولكن متى قد أخترنا سيدنا، يصبح علينا التزام بطاعته. فتتشكل إرادة المؤمن حسب قالب أو نموذج أو صورة التعليم تتشكل من هذا القالب. وهذه الطاعة من القلب حية وفعالة جداً. وهو يذكرنا بالمفارقة المقدسة بين الحالة الماضية والحالة الحاضرة. والنتيجة هى هذه: إذ تحرروا من الخطية، قد صاروا عبيداً للبر، فبعد أن كانوا عبيداً للخطية فى وقت من الأوقات، أصبحوا الآن عبيداً للبر.

وفى ٦ : ١٩ ، ٢٠ يتكلم الرسول بولس عن واجبات جديدة:

«أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم، لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة. لأنكم لما كنتم عبيداً للخطية، كنتم أحراراً من البر».

ففى الماضى قد وُجد خضوع للنجاسة والخطية، أما الآن فالخضوع للبر بالنظر للقداسة.. ويستخدم هذه الصورة من العبودية للنجاسة لافتقادهم للتمييز الروحى لرؤية كل مايتضمنه موت المسيح، فيقول لهم الرسول بولس إنه قد أصبح لكم سيد جديد.

الأول: هى الكلمة «أحسبوا» وأحسبوا هو موقف إيمان وليس شعوراً. إنه حساب مبنى على حقائق، إنه قرار منطقى وليس قراراً عاطفيا. فعندما مات المسيح متنا نحن، وعندما قام، قمنا نحن. ونؤمن أن هذا الحساب حق عندما نتعرض لإغراء الخطية. وبنفس الطريقة، عندما نتوق للقداسة، نحسب أن حياتنا هى فى المسيح ولذا نحن قديسون.

ثانيا: يقول الرسول بولس أننا لاندع الخطية تسود. لاحظ هنا أن الرسول يستخدم صيغة الأمر فى اليونانية وصيغة المضارع، وهذا يتضمن أن هناك موقفاً مستمراً وعملا مستمراً من جانب المؤمن، فبسبب وحدتنا فى المسيح وموته، يجب ألا نسمح بسلطان للخطية فى حياتنا. هذه مسئوليتنا الشخصية. فالمسيح هو سيدنا وليست الخطية.

ثالثا: يقول الرسول بولس إن علينا أن نقدم، أن نهب أو نعطى، أنفسنا، ومن الناحية السلبية يقول: «الخطية لن تسودكم» فمن الناحية الإيجابية يقول : أن نقدم أجسادنا للخدمة والاستخدام وهذا فى صيغة الفعل الماضى فى اليونانية، إنه تقديم حدث مرة ويستمر على الدوام بسبب موته (المسيح) مرة واحدة وإلى الأبد. والاستخدام العملى واليومى لهذه الأفكار الأساسية الثلاثة سيمنحنا سر أن نبقى باستمرار وبصفة مطلقة قديسين.

الاستمرار فى الخطية مستحيل

يذكر الرسول بولس فى رومية ٦ : ١٥ اعتراضا جديداً، وهو أن النعمة تسمح للإنسان أن يخطئ، فمازال الرسول شديد الاهتمام بأن يُبين عدم توافق التبرير مع الاستمرار فى الخطية: لقد سبق أن بيّن المبدأ الجديد، مبدأ الاتحاد بالمسيح، وسيناقش الرسول بولس الآن قوته العملية وبخاصة فى ضوء عبارته العظيمة فى الآية ١٤ : «تحت النعمة». وكما قد رأينا فإن الآية ١٤ آية انتقالية، فهى تلخص القسم السابق وتمهد الآن إلى اللاحق.

وهناك مشكلة جديدة فى الآية ١٥، فيقول الرسول بولس : «فماذا إذاً»؟ وهذا هو الفكر الذى عبرنا عنه فيما سبق. والكلمة «إذاً» تبين اعتراضا جديداً: «أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟». لقد قال الرسول بولس فى ٦:١ «أنبقى فى الخطية؟» فالبقاء فى الخطية معناها ممارسة الخطية، يقول الرسول بولس هنا «أنخطئ؟» هذا هو الإذن بالخطية: إنه لايمكننا أن نسمح للخطية كعمل منعزل، لايمكننا ولو فى فكرنا أن نسمح للخطية أن تكون متاحة لنا. يجب ألا ننظر إلى الخطية مطلقا كشئ يوافق عليه الله أو يسمح به.

ثم يتكلم عن المكافاءات الجديدة فى ٦ : ٢١ – ٢٣:

«فأى ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التى تستحون بها الآن. لأن نهاية تلك الأمور هى الموت. وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية. لأن أجرة الخطية هى موت. وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا».

فالرسول يذكر اختباراتهم الماضية. فماذا كانت النتيجة المنتظرة من إرتكابهم للخطية فى الماضى؟ كانت الموت، الموت الروحى، الموت الأبدى. ويرجع فى الآية ٢٢ إلى حالتهم الحاضرة، لقد غيّروا أسيادهم، وماهى النتيجة؟ كان التبرير والقداسة هما النتيجة. ثم يقرر قانون الله الأدبى الشامل: وهو أن أجرة الخطية هى الموت. ولكن هبة الله المجانية هى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا. ويجب علينا ألا ننسى أبداً أن هذا القول إنما هو للمسيحى وليس للخاطئ. فارتكاب الخطية مستحيل مطلقا تبريره للذين يدركون ويراعون اتحادهم بالمسيح. فالاتحاد به وبموته يعنى الامتناع عن ممارسة الخطية. الاتحادية فى حياته يعنى الحصول على حياة جديدة وقوة جديدة.

خاتمة

لقد كان الإصحاح السادس فصلاً محورياً فى دراستنا. فلقد رأينا الجانب البشرى للقداسة، والرسول يأمرنا الآن أن ننظر إلي الجانب الإلهى، تلك الجوانب من تدبير الله التى تمكّن المؤمن من أن يكون مقدساً. وستكون هذه موضوع الدراسة ليس فقط هنا بل فى الإصحاح التالى أيضا، والوعد هو أن الخطية لن تسودكم. ويالهمن تأكيد! إنه قصد الله وغرضه، إنه قراره الإلهى أننا نغلب فى كل شئ. فتدبيره هو أنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة. فإذا اخترت طوعا أن أضع نفسى تحت النعمة بالخضوع للمسيح فى المعمودية والاتحاد معه، فلابد أن تعمل فى النعمة ومن خلالى، مثل الوقوف أمام النار فتسرى الحرارة فى جسدى وتعمل عملها. فالمركز هو فى المسيح يسوع ربنا، والتبرير والتقديس متاحان. وتأتى الشجاعة والثقة والفرح والافتخار حالما ننتصر باسم ربنا يسوع المسيح. فالخطية يستحيل أن تبررها. فالتعليم بأن الإنسان يتبرر بالاتحاد مع المسيح، لايشجع على الخطية، بل بالحرى يمنعها، لايسمح بالخطية، إنه ينهى عن الخطية ويدينها. فلايمكن أن توجد الخطية ويسوع معاً، والخطية والانتماء للمسيح لايمكن أن يوجدا فى عالم واحد. وأنت وأنا يلزمنا أن يكون لنا سلام عظيم بالإيمان بأن يسوع المسيح هو الجواب على قضية الخطية كما أنه هو الجواب على موضوع الخلاص. فأنت مقدس فى المسيح. ليكن لك سلام بالإيمان بذلك.

الفصل الحادى عشر

التبرير والناموس

رومية ٧ : ١ - ١٣

مقدمة

والآن نتحول من مناقشة موضوع الإنسان المقدس بالنسبة للخطية، إلى مناقشة الإنسان المقدس بالنسبة للناموس. ولنتأمل بعض الأقوال التى سبق للكاتب أن ذكرها عن الناموس فى هذه الرسالة. فقد قال الرسول بولس فى رومية ٣:١٩-٢٠ إنه لايمكن لإنسان أن يحصل على البر بأعمال الناموس، لأن الناموس إنما يكشف فجور الإنسان. وفى ٣:٢١ قال إن الناموس لا دور له فى إعلان بر الله أو فى حسبان بر الله، إلا كشاهد. فقد قال فى ٣ : ٢٧ إن الناموس لم ولن يستطيع أن يستبعد افتخار الإنسان. وفى ٤:١٣ قال إن الناموس لا علاقة له بالميراث الذى لنا كأبناء لإبراهيم. وفى ٤:١٥ قال إن الناموس ينشئ غضبا. وفى ٤:١٤-٢٠ يقول إن الناموس وضع الإنسان تحت العبودية.

ويمكن أن تكون كل هذه الأقوال أحجار عثرة لليهود وللأمم أيضا بدون النظرة الواعية المتسعة لناموس الله. لماذا كان الناموس؟ لاحظ جيداً مايقوله الرسول بولس فى الإصحاح السابع. ولنبدأ بما سيقوله الرسول بولس فى الآيات ١-٦ إن الخطية لن تسودكم لأنكم تحت الناموس بل تحت النعمة. ثانيا فى ٧:١٣ سيبين أن الناموس ليس خاطئاً وإن كان الناموس يجعل الخطية تكثر. ثم فى ٧:١٤-٢٥ سيبين أن الناموس عاجز تماماً عن أن يخلص الإنسان من الصراع ضد الخطية فالناموس لايستطيع أن يبرر، بل يستطيع فقط أن يكشف الجانب الخاطئ فى الإنسان. وهكذا الاصحاح كله يهتم بالحق العظيم وهو أن الناموس لايقدر أن يخلص من الخطية الساكنة فينا.

المبررون ليسوا تحت الناموس

التشبيه بالزواج ٧:١-٣

فى الأصل اليونانى، أول كلمة فى رومية ٧:١ هى «أو» (وهى «أم» فى العربية)، فهذه إذاً مواصلة مناقشة ماسبق قبلا فقد تكلم الرسول بولس عن حقيقة أننا قد تحررنا من الخطية فى ٦:١٥-٢٣ حيث استخدم تشبيه العبودية، وواصل نفس المناقشة فى ٧:١-٣ مستخدماً تشبيه الزواج. وأبرز نقطة أننا تحررنا من الناموس، ويكتب فى الآيات ١-٣.

> «أم تجهلون أيها الإخوة – لأنى أكلم العارفين بالناموس – أن الناموس يسود على الإنسان مادام حياة؟ فإن المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى. ولكن إن مات

أبيض

الاتحاد بالمسيح، وبهذا الاتحاد تصبح الحياة القديمة مستحيلة. فيقول فى رومية ٣:٦ إنه لايمكننا أن نعيش كما اعتدنا أن نعيش، لأننا الآن متحدون بالمسيح. **ثانيا:** العبودية للخطية مستحيلة بسبب هذا الاتحاد. هذا ماقاله الرسول بولس فى ١٩:٦. لم يعد فى استطاعتى أن أطيع السيد القديم لأننى الآن متحد بسيد جديد. **ثالثا:** الاتحاد القديم بالجسد مستحيل بسبب هذا الاتحاد الجديد بالرب يسوع. فى رومية ١٢:٥–٢١ كان هناك رأسان: الإنسان العتيق والإنسان الجديد، آدم والمسيح. وفى الإصحاح السادس لنا سيدان. الإنسان العتيق والإنسان الجديد، الطبيعة الجسدانية ويسوع.

٢ - نثمر للمسيح

فى الإصحاح السابع يوجد زوجان. الزوج الجديد هو الرب يسوع، أفلايكون الزوج القديم هو الجسد؟ والآن قد متنا لناموس ذلك الزوج، مات الزوج القديم ودفن. مات الإنسان العتيق ودفن وأقام الله إنسانا جديداً ليسلك فى جدة الحياة. لذلك لنا اتحاد بالمسيح، بسبب هذا فإننا نثمر للمسيح. كل هذه الأشياء – الأعمال والاتحاد بالمسيح، إنما هى لهدف أن نثمر لله. والثمر هو التعبير عن الحياة ويمكن أن يقال إنه يدل على الشخصية أكثر مما على السلوك.

٣ - خدمة المسيح

إننى متحد بالمسيح وأثمر، ولكن أيضاً أخدمه، أعبده بجدة الروح (رومية ٦:٧) وهو نفس ما قد قاله الرسول بولس فى ٤:٦، نسلك فى جدة الحياة. وهذا الخط من الفكر سيعطينا الموضوع للإصحاح الثامن: الإثمار فى خدمة الله فى جدة الروح وجدة الحياة معه.

العلاقة بين الناموس والخطية ٧:٧-١٣

فى رومية ٧:٧–١٣ ناقش الرسول بولس طبيعة الناموس الحقيقية فى علاقته بالخطية، وقد تكلم الرسول عن ضرورة أن نموت عن الخطية وأن نموت للناموس. وقد يقول المعترض أن مثل هذه الأقوال تضع الناموس فى نفس الصف مع الخطية فإذا كان على المؤمن أن ينفصل عن الناموس بنفس العزم والجسم الذى عليه به أن ينفصل عن الخطية، فلابد أن هناك خطأ ما، بل وبلا قيمة فى الناموس. هكذا يجرى الاعتراض. ويواصل رومية ٧:٧–٢٥ فكرة الآية السادسة. قدم الرسول بولس صورة للناس تحت الناموس ليبين لماذا كان الموت للناموس جزءاً من الإنجيل. إنه لايجعل الناموس خطية إذا كنت سأتحد بالرب يسوع، فيجب على أن أنفصل عن ناموس الزوج العتيق.

الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل. فإذاً مادام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر، ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر».

والفكرة الرئيسية هنا هى أن الموت يحل الالتزام الشرعى. وقد رأينا نفس الفكرة فى الإصحاح السادس. فالموت يحرر الإنسان من أى التزام. حتى فيما يتعلق بالزواج. فعند موت الزوج تتحرر الزوجة شرعا لترتبط بزوج آخر. هذا هو التشبيه الذى يذكره الرسول بولس. إنه قول بسيط واضح بالنسبة للناموس. فطالما الزوج يعيش، فهى تظل معتبرة زوجة له وملتزمة بتنفيذ إرادته، أما إذا مات الزوج، فهى لم تعد زوجة لذلك الرجل وتصبح حرة أن تتزوج آخر وأن تنفذ إرادة الزوج الجديد.

تطبيق هذا القانون على الحياة المسيحية : ٧ : ٤-٦ :

«إذاً يا إخوتى أنتم قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى قد أُقيم من الأموات لنثمر لله. لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى نثمر للموت. وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف».

دعنا نتتبع الرسول لنرى التفسير الذى يذكره لتشبيه. فالزوجة تمثل الشخصية التى سيتناولها الرسول بولس فى الجزء الأخير من هذا الإصحاح مع عبارة «أما أنا». فالزوجة هى الشخص الداخلى أو الشخصية. والزوج الأول هو الإنسان العتيق، كما تناول رومية ٦ : ١٦ السيد القديم، فإن رومية ٥:١٢-٢١ يتناول الإنسان الطبيعى، وهنا الزوج القديم أو النفس غير المتجددة. فطالما كانت تلك النفس غير المتجددة حية، فإننا كنا تحت ناموسها، ربما كنا لانريد أن نفعل ما كان يطلبه الجسدى ولكن طالما كنا متحدين بالعهد بذلك الإنسان القديم، لم يكن لنا خيار إلا أن نتبع إرادته. وموت ذلك الزوج الأول هو صلب الإنسان العتيق مع المسيح. وقد دفن ذلك الإنسان الميت حتى يمكن إقامة إنسان جديد. والإنسان العتيق الذى دفن مع المسيح هو نفسه الإنسان العتيق الذى يقول عنه ها إنه قد مات. فعندما مات جسدنا (الزوج) بإيماننا بالرب يسوع واتحادنا به، تحررنا نحن (الزوجة)، ولذلك متنا لناموس ذلك الزوج، فتحررت النفس بصلب الجسد، الإنسان العتيق، وبذلك صار ميتا لناموسه.

١ - الاتحاد بالمسيح

يطلب جسدنا منا أشياء لانريد أن نطيعها، وسيطلب منا مخلصنا أشياء يسرنا أن نتممها. فهناك ثلاثة أوجه للحياة المسيحية يذكرها هنا وهى تلخص كل المسيحية. **أولا:** هناك

عندما ولد الرسول بولس، ولد بقداسة كاملة كأى طفل، وعاش فى حالة البراءة، ولكن جاء اليوم عندما جاء الناموس بوصيته التى قالت: «لاتشته...» (خر ٢٠:١٧). كان الناموس وهذه الوصية هناك على الدوام، ولكنه الآن جاء بصورة خاصة إلى بولس. أشرق النور على بولس أن هذا الاشتهاء كان خطأ، لأنه كان ضد إرادة الله وناموسه، وهكذا جلب الخطية للحياة فى جسده وحكم عليه بالموت. أصبح مدركا تماماً لقوة الخطية فى حياته، فقد حدد الناموس أنها خطأ. ولكن عندما جاء الناموس لبولس، جعلها خطية له أيضا. وهذا مانسميه «عمر المحاسبة أو المسئولية». ولا أحد يعرف متى يكون هذا العمر لأى شخص، إلا الشخص نفسه. وقد تذكر بولس اليوم الذى أصبح فيه الناموس قضية فى حياته، وبذلك مات هو. لقد كان حيا، ولكن عندئذ مات، فالناموس لم يقتله، بل الخطية هى التى قتلته. فما عمله الناموس هو أنه جعله مدركا للخطية من خلال المعرفة.

٤ - تأثير الخطية

فى رومية ٧:١٠-١١ يكشف الناموس **تأثير الخطية** تأمل هذا الجزء بما فيه الآية التاسعة:

> «أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا. فوجدت الوصية التى للحياة هى نفسها لى للموت، لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى بها وقتلتنى».

فكانت النتيجة هى الموت. كان تأثير الخطية فى حياة الرسول بولس هو الموت. فقد قال فى الآية الحادية عشر إنها قتلت فالخاطئ يجب أن يموت لعدم قدرته على إتمام الناموس. تأمل العبارات الثلاث التى يذكرها الرسول بولس عن نفسه فى هذا الإصحاح: يقول إنه جاء وقت كان هو فيه حيا بدون الناموس، ولكن بعد ذلك جاءت الوصية، فدخلت الخطية إلى الحياة فمات هو. وكان الرسول بولس قد تحدث عن تلك الحقيقة وهى أنه بالإيمان بالرب يسوع، أصبحت الحياة الجديدة ممكنة. ووصف الرسول بولس حالة الطفل المولود، وحالة الخاطئ غير المولود، وحالة الخاطئ المتجددة، الذى جُعل باراً بنعمة الله.

٥ - خداع الخطية

قال الرسول بولس فى ٧ :١١ إن الناموس يكشف **خداع الخطية**. قال : «لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية خدعتنى، وقتلتنى». ونحن نعرف مطالب الناموس بخصوص الخطية.

وثمة عدة نقاط نلاحظها هنا. فى الآية السابعة نجد أن الناموس هو الذى يكشف حقيقة الخطية. فأى هدف يخدمه الناموس؟ **أولا**: يبرز الرسول بولس الاعتراض: «فماذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ بكل تأكيد حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس : لاتشته» (رومية٧:٧) فقد نظر الرسول بولس إلى إختباره الشخصى قبل أن يصبح واعيا بمسئوليته الأدبية، وأخبرنا إنه لم يكن يعرف أنه من الخطأ أن يشتهى إلى أن قال الناموس «لاتشته» (خروج ٢٠:١٧).

اختبار الرسول بولس مع الناموس

فى كل هذا الفصل، يبين لنا عمق وشدة الشعور الذى عبر عنه، أن هذه الأقوال لابد أنها سيرة الكاتب نفسه. فقد تأمل الرسول بولس فى أعماق نفسه مثل أى يهودى حى الضمير يريد أن يكون باراً حسبما يتطلب الناموس. فتكلم عن شدة الشعور، الإحساس المأساوى بالضياع الذى جاد به إليه الناموس. **أولاً**، هو أن الناموس يكشف **حقيقة الخطية**. أنه من الخطأ أن تشتهى، وأن ترتكب الزنا، أن تكذب، أن تكون لك عواطف شريرة. ألا تحب الله، أو أن تعصى الله. فالناموس يكشف حقيقة الخطية.

ثانيا – فى ٨:٧ الناموس يكشف **فرصة الخطية**. «ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فى كل شهوة، لأن بدون الناموس الخطية ميتة». إن معرفة مطالب الناموس الإلهى هى التى تجعل الخطية فعّالة فى وعى الإنسان. فنحن نبدأ فى الإحساس بالخطية بسبب الناموس. فبدون الناموس، قد يدرك الإنسان الأفعال الشريرة، ومع ذلك فالناموس لازم للكشف عن وجود الخطية فى الطبيعة. وسواء كان الناموس مكتوبا كما فى حالة ناموس موسى، أو غير مكتوب مثل الناموس المكتوب فى قلب الأممى، فلابد من وجود الناموس للإنسان ليكون له حقيقة الإدراك بالتعدى على ذلك الناموس.

ثالثا – فى ٩:٧ نقرأ أن الناموس يكشف **قوة الخطية**، فيكتب الرسول بولس: «أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا». فالوقت الذى على أن أعرف أن بولس كان منفصلا عن الناموس، كان عندما كان هو طفلا صغيراً. فعندما كان طفلا وولدا صغيراً، قبل أن يعى الناموس، كان عائشا. وقال حزقيال النبى فى وصف ملك صور الشرير: «أنت كامل فى طرقك من يوم خلقت حتى وُجد فيك إثم» (حزقيال ٢٨:١٥).

حاجة إلى أن نفهم الطبيعة المقدسة العادلة الصالحة للناموس. فثمة أوقات عندما ندرس أسفاراً مثل رومية أو غلاطية نتعرض لتجربة الظن بأن الناموس ليس شيئا صالحاً، إنه ليس شيئا مقدساً أو عادلاً. على أية حال الناموس هو تعبير عن معطى الناموس. وهذا ينطبق على أى ناموس (أو قانون). وهناك كثيرون ممن يشرعون القوانين الآن غير مقدسين، وهذا هو السبب فى وجود الكثير من القوانين غير المقدسة فى العالم الآن. ويجب علينا أن نشكر لأننا لن يحكم علينا أولئك المشرعون. ويجب علينا أن نشكر لوجود القانون لأنه ينظم الحياة، فالقانون يحمى الحياة، وقد أعطى الناموس لأجل الإنسان بخاصة. وليس الإنسان لأجل الناموس.

كما يلزمنا أن نفهم أن الناموس لايغرى على الخطية، ولكنه فقط يكشف الخطية. إنه يكشف الخطية للنظر، فليس الناموس بل الخطية هى التى تجلب الموت. وهذا هو الجواب على السؤال : «هل الناموس خطية؟» بالطبع ليس الناموس خطية! فالناموس ليس خطية ولايأتى بالموت، فهو ليس منشئ الموت، كما أنه ليس منشئ الخطية.. والآن بدون الناموس لانعرف ماهى الخطية، وبدون الناموس لاتُحسب خطية. بدون الناموس ليست الخطية خاطئة جداً. بدون الناموس يُنظر إلى الخطية على أنها أمر ضعيف صغير فى حياتنا، وليست القوة الجبارة التى يجب أن تبدو عليها. فالناموس يجعلنى أكره الخطية لأننى أرى أن الطبيعة الأساسية للخطية هى الفجور، فهى ليست مثل الله. ومن كل الأشياء التى ينبغى أن نريد أن نكونها، هو أنه يجب أن نريد أن نكون مثل الله.

الناموس يكشف الخطية

والفكرة الأساسية فى هذا النص هى العبارة : «بالناموس»، «بالوصية» ففى ٧:٧ قال الرسول بولس: «بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس»، وكتب فى ٨:٧ «ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية، أنشأت فىّ كل شهوة» ونقرأ فى ١١:٧ «لأن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية، خدعتنى بها وقتلتنى». ويقول الرسول بولس فى ١٣:٧: «لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتا لكى تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية».

فالقصد من الناموس هو كشف الخطية. إنه يعلن للإنسان أن بعض الأمور خطأ، ويعلّمه عن أعماق شناعتها. إنه يعلّم ماهو الخطأ، ويعلّم كم هو خاطئ. فالقصد من الناموس هو إدانة الخاطئ. ويعمل ذلك بإظهار عجزنا المطلق عن إتمام الناموس. لقد قرأنا من قبل فى هذه الدراسة، من غلاطية ١٠:٣ أن كل من هو تحت الناموس، هو تحت لعنة. وسبب هذه اللعنة هو

وعندما نحاول إتمام هذه المطالب، سرعان مانتحقق من اليأس المطلق من وضعنا وحالتنا. فالخطية شئ خادع، وقد كانت كذلك منذ البدء. فعندما أكل آدم وحواء من الشجرة كان قد خُدعا، فللشيطان حيلة، وهو قادر على خداعنا.. «ولاعجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور» (٢كورنثوس ١١:١٤) كما قال الرسول بولس أيضا : «ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح» (٢كو ١١:٣). وقد قال الرسول بولس إننا لانجهل أفكار ومكايد الشيطان، وأن علينا أن نلبس سلاح الله الكامل لكى نقدر أن نثبت ضد كل مكايد إبليس وخداعه. فالناموس يكشف خداع الخطية. فلو عرفنا ماستفعله الخطية لنا قبل أن نشترك فيها، لما تورطنا فيها إطلاقا. وذلك هو القصد من الناموس. فالناموس يكشف مايمكن أن تفعله الخطية للناس.

تأمل فيما فعلته الخطية بداود، فطوال باقى حياته كان عليه أن يتذكر، من خلال تصرفات أبنائه، خطيته مع بثشبع وأوريا. تأمل أيضا فيما فعلته الخطية لبطرس. فكّر فيما فعلته الخطية للأمة الإسرائيلية. ولكن فكّر أول كل شئ فيما فعلته الخطية بآدم، فقد أخذت الخطية آدم بعيداً عن الشركة مع الله، إلى خارج الجنة حيث أصبح عليه أن يأكل خبزه بعرق جبينه. بل فكّر أيضا فيما فعلته الخطية بالرب يسوع، فهناك ترى خداع الخطية الحقيقى. فالخطية تعد بالفرح ولكنها لاتستطيع أن تعطيه، وهى تعد بالنجاح ولكنها لاتستطيع أن تمنحه. والخطية تعد بالقيمة ولكنها لا تستطيع أن تعطيها. كل ماتستطيع الخطية أن تعطيه هو صليب. ذهب الرب يسوع إلى الصليب حتى يمكن لك ولى ألا نذهب إليه نحن. كل مايمكن للخطية أن تعد به وتمنحه هو نار أبدية. واحتمل الرب يسوع الترك من الله حتى لاتتعرض أنت وأنا إطلاقا لذلك.

٦ - الخطية خاطئة جداً

فالناموس يكشف **خطأ الخطية**، ونقرأ ذلك فى رومية ٧:١٢، ١٣

«إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة. فهل صار لى الصالح موتا؟ حاشا بل الخطية لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتا لكى تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية».

الجانب الصالح للناموس

الناموس مقدس، والناموس عادل، والناموس صالح. فهو مقدس لأنه يكشف عن بر الله وشناعة الخطية. وهو عادل لأنه يدين الخاطئ، وصالح لأن له هدفا روحيا. ونحن فى الحقيقة فى

أنه لا أحد يستطيع أن يحفظ الناموس. فالقصد من الناموس هو أن يحصر الخاطئ المدين الذى استيقظ ويوجهه إلى المسيح. فالناموس قادر أن يحكمنا للخلاص (٢تيموثاوس ١٥:٣) وأن يؤدبنا إلى المسيح (غلاطية ٢٤:٣). فالناموس يأتى بنا إلى نهاية نفوسنا، وبذلك يأتى بنا إلى الضرورة المطلقة للرب يسوع.

خاتمة

طوبى للإنسان الذى وصل إلى نهاية ذاته، إلى نهاية أفكاره، ونهاية جهوده وعزمه أن يخلص عن طريق طاعته هو. طوبى للإنسان الذى أقر بخطأه المطلق وعجزه الميئوس منه، وقد قبل المسيح كغاية الناموس والطريق الوحيد للبر.

فالناموس ليس شيئا رديئا، بل هو مقدس، فالناموس يأتى بنا إلى أن نفهم أن طريق الإنسان ليست فى ذاته كما قال إرميا النبى (إرميا ٢٣:١٠) «فليس للإنسان أن يهدى خطواته».

يجب أن أُسلّم يجب أن أتوب، يجب أن أؤمن بيسوع. وكما قال لنا الإصحاح السادس من الرسالة إلى رومية: يجب أن أموت مع المسيح، ويجب أن يُدفن هذا الإنسان الميت بالمعمودية، حتى يمكن أن يقيم الله إنسانا جديداً ليسلك فى حدة الحياة. يمكن لإنسان أن يحب الناموس، ولكنه لن يُحاكم به. إنه يحب الرب يسوع، ولن يُحاكم إلا بيسوع.

هذا هو الإيمان، هذا هو الرجاء. هذا هو العزاء، هذا هو السلام، الذى يمنحه هذا السفر لنا. وسيتناول الإصحاح التالى استحالة أن يُخلص الناموس الإنسان من الصراع غير المتكافئ ضد ذاته وضد الله، وضد ناموس الله. ليت الله يعطيك سلاماً فى إتمام ناموس المسيح.

الفصل السابع عشر

ماذا عن إسرائيل

رومية ٩ : ١ - ٣٣

مراجعة ومقدمة

فى الفصل السابق، ختم الرسول بولس الأصحاح الثامن بملاحظة أعظم نصرة وفرح نجدها فى أى مكان آخر فى كل الكتاب المقدس. وفى هذا الفصل سنرى الرسول بولس يبدأ الأصحاح التاسع من الرسالة إلى رومية بصرخة بالغة الأسى، فيبدأ بالدموع على الأمة الإسرائيلية لسقوطها. وقد يبدو غريبا للبعض أن يقاطع الرسول بولس الحديث عن الخلاص بالنعمة بالإيمان لكى يصرف الأصحاحات ٩-١١ فى مناقشة وضع الأمة الإسرائيلية فى الماضى وفى الحاضر. ولكن عندما نتأمل بعمق، نجد أن هذه الأصحاحات ليست مقاطعة على الإطلاق، بل هى لازمة تماماً لكى يستخرج الرسول بولس خاتمته فى الأعداد القليلة الأخيرة من رومية ١١.

إعتبر الرسول بولس خائنا عن الأمة الإسرائيلية، فكرازته فى مجامعهم عن الرب يسوع قد أثارت معارضة شديدة وسبب اضطرابات كثيرة، وبدا للأمة الإسرائيلية أنه يحب الشعوب الأممية، لذلك كان لدى الرسول بولس سبب شخصى لكتابة هذه الأصحاحات الثلاثة. فهو يريد أن يعرف جميع الناس محبته القلبية لإسرائيل ورغبته فى خلاصهم. لعل إسرائيل ظنوا أن الرسول بولس كان يقول إن الله لم يفكر فيهم كثيراً، ولكن الرسول بولس يذكر حقيقة أن الله وهو يحب إسرائيل محبة عميقة، كان يريدهم أن يروا أن لهم قدرهم لدى الله وأن كل يهودى له قدرة عند الله مساوية لصليب ابنه. بل وهناك سبب أعمق لهذا الحديث من الرسول بولس فقد قدم لنا فى رومية ٨ ضمان المؤمنين فى الرب يسوع وقوة اختيار الله. واكتشفنا فى رومية ٨ أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله والمدعوين حسب قصده. فكتب الرسول بولس: لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين، والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا (رومية ٨:٢٩:٣٠).ويقول الرسول بولس جوهريا إن الله يعمل كل شئ على أساس علمه السابق وبناء على خطة سبق تعيينها أو تخطيطها. والسؤال الطبيعى الذى لابد أن يثار نتيجة الإيمان بأن المؤمن فى أمان، وأن قصد الله الذى سيتم سيكون حسنا ماذا عن إسرائيل؟ لقد اختار الله اليهود، فقد قال الله لموسى فى (الخروج ١٩:٤،٥):

> «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلىّ. فالآن إن سمعتم لصوتى. وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب».

أبيض

وهذا الشعور العميق الذى كان للرسول بولس كان نتيجة علاقته باليهود كأقربائه ومواطنيه. وهذا ما يجب أن يكون الآن فى الكنيسة التى هى إسرائيل الجديد، إسرائيل الله. علينا أن نشعر بنفس الطريقة من نحو أحدنا الآخر كما شعر الرسول بولس نحو رفقائه من بنى إسرائيل. إن الرسول بولس يعبر عن نفس التفكير هنا فى الأصحاح التاسع كما فعل فى رومية ١٤:١ عندما قال: إنى مديون لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء فهو يتكلم عن الدين العظيم الذى يشعر به من نحو اليهود.

أسس مشاعر الرسول بولس

ثم يسرد الرسول بولس أسس مشاعره فى ٩ : ٤، ٥ وهى تشمل ثمانية علامات للفضل الإلهى على إسرائيل. للذين هم يهود حسب الجسد. وهذه العلامات الثمانى كان القصد منها أن تقود اليهود إلى المسيح.

العلامة الأولى : لهم التبنى، كأبناء (رومية ٩ : ٤ب). لقد تبنى الله إسرائيل: ففى الخروج ٢٢:٤ قال الله لموسى : «إسرائيل إبنى البكر». وفى الخروج ٥:١٩ قال الله: «فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لى كل الأرض...» فقد تبنى الله هذه الأمة من بين سائر أمم الأرض. وقد فعل ذلك حتى يمكنه منهم أن يرسل المسيا.

الثانية : «لهم المجد الإلهى.. (رومية ٤:٩ب) فى العهد القديم كان محضر الله يُعرف باسم «الشكينة»، وهذ كانت عمود النار والدخان الذى رافق إسرائيل فى كل رحلة البرية. وعندما أقيمت خيمة الشهادة، حل مجد الله على الغطاء (كرسى الرحمة). وحدث نفس الشئ عندما بُنى الهيكل، فكانت الشكينة تمثل حضور الله الظاهر فى قدس الأقداس. وكان هذا يعنى أنهم ليسوا فقط شعب الله، ولكنهم كانوا مسكن الله. لقد جاء الله ليسكن معهم.

الثالثة : كانت لهم العهود (٤:٩ب). قطع الله عهوداً مع نوح ومع إبراهيم ومع موسى ومع داود، فكان لهم الحق أن يؤمنوا بأن بهم ستتبارك جميع شعوب الأرض. كان لهم الحق أن يؤمنوا بأنهم سيرثون الأرض. كان لهم الحق فى أن يؤمنوا بأنه سيكون لهم ملك سيحكم عليهم بالبر. كل هذه بدأت بهذه العهود.

الرابعة : كان لهم الاشتراع (استقبال الشريعة)... (٩: ٤ جـ)، فقد كتب الرسول بولس فى رومية ٣: ١، ٢ أن إحدى البركات الخاصة التى لليهود أنهم استؤمنوا على أقوال الله.

وشهد داود فى المزمور ١٤٧ : ١٩، ٢٠: أن الله قد أعلن ليعقوب عهده وإسرائيل بفرائضه وأحكامه، لم يتعامل مع أى أمة بهذه الطريقة. ونقرأ فى عاموس ٢:٣: «إياكم فقط عرفت (اخترت) من جميع قبائل الأرض..» والظاهر أن اليهود شعروا بأنه مع أن الله قد إختار إسرائيل، أن الرسول بولس يقول إن الله قد نحاهم جانبا وقبل اليهود والأمم على السواء فى ملكوته. ألا يجعل هذا الله كاذبا بالنسبة لمواعيده أو أنه أضعف من أن يحققها؟ على أية حال فى رومية ٩ : ٦–٣٣ سيقدم الرسول بولس أربع صفات لله ليبين أن رفض اليهود للمسيح لم يلغ بل بالحرى قد عظّم مواعيد الله، ولكن سيكشف الرسول بولس أولاً قلبه الكبير بالنسبة لإسرائيل فى رومية ٩ : ١–٥.

الرسول بولس وإسرائيل

«أقول الصدق فى المسيح. لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس. أن لى حزنا عظيما ووجعاً فى قلبى لاينقطع. فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين».

فالرسول بولس يتكلم أولاً عن صدق مشاعره. ويذكر هذا فى إشارة مثلثة. فقد قال : «أقول الصدق فى المسيح.. شاهد لى ضميرى بالروح القدس» فهو يستشهد المسيح، ويستشهد ضميره، ويستشهد الروح القدس. وتظهر قوة هذا الشعور فى الآيتين الثانية والثالثة.

ويذكر الرسول بولس أمراً ذا شعبتين: «لى حزنا عظيما، ووجعا فى قلبى لاينقطع». كان الرسول بولس يشعر شعورا عميقا من جهة هذه القضية. كان يحلم بخلاص إسرائيل وكان يبكى على حالة ضياعهم. فالرسول بولس مثل موسى فى هذا الخصوص. ففى الخروج ٣٢:٣٠–٣٥، طلب موسى من الله أن لايهلك إسرائيل. فلو كان الله سيهلك إسرائيل، فإن موسى كان مستعداً أن يهلك أيضا، وهكذا مثل موسى كان الرسول بولس مستعداً أن يُحرم من الله ويُدان دينونة أبدية لأجل أقربائه وفى فيلبى ١:٢١–٢٦ قال الرسول بولس إنه كان مستعداً أن يؤجل المجد لأجل فائدة المؤمنين فى فيلبى. وهذا فى ذاته كاف بشدة، ولكن فى رومية ٩ يذهب الرسول بولس إلى أبعد كثيراً جداً حتى إنه يقول: إنه مستعد أن يدان فى الجحيم فى مكان الهالكين. إننا نتطلع إلى أعماق إنسان. الذى تطلع هو نفسه إلى قلب الله والرب يسوع. وتحقق من أن الأمر الهام ليس أن يخلص هو، بل أن يمجد الله وتتم مشيئته.

إبراهيم مثل إسحق تماما، ولكن إسماعيل لم يكن هو الإبن الموعود، ولم تكن هاجر هى أم الموعد، التى ستلد الابن الموعود. وكلمة «وعد» هى الكلمة المفتاح، فقد قال الله... «لأنه باسحق يدعى لك نسل» (تكوين ٢١: ١٢) فالاختيار كان اختيار الله، و كان اختياراً بوعد. فلم يكن بالنسل البشرى، ولم يكن بفضل بشرى، ويعقوب وعيسو يصوران هذا، والكلمة المفتاح هنا هى «قصد» أو «اختبار» فالرسول بولس يقول إن الله قد اختار بينما كان يعقوب وعيسو فى الرحم، لكى يكون اختياره حسب القصد وليس بحسب أفعالهما. والله أمين لوعده، ولهذا فاسحق هو النسل. الله أمين لقصده ولذلك فيعقوب هو النسل. فالله أمين حتى عندما يثبت كل شعبه عدم أمانتهم.

رفض إسرائيل وعدل الله

«فماذا نقول؟ ألعل عند الله ظلماً. حاشا، لأنه يقول لموسى: إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف. فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم (فالأمر لا يتوقف إذاً على رغبة الإنسان أو جهده، بل على رحمة الله). لأنه يقول الكتاب لفرعون: إنى لهذا بعينه أقمتك لكى أظهر فيك قوتى ولكى ينادى بإسمى فى كل الأرض. فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء».

وحيث أن الله اختار اسحق دون إسماعيل، ويعقوب دون عيسو، ألا يبين هذا أن الله ظالم؟ قد يبدو هذا لليهود سؤالاً منطقياً جداً. ولكن الرسول بولس يجيب: «حاشا» فهو رفض الاعتراض كأمر لايمكن تصوره. وليبرهن النقطة إقتبس من فصلين مختلفين (الخروج ٣٣: ١٩، ١٦:٩) فقد آمن الرسول بولس أنه ما لايمكن تصديقه اطلاقا أن يكون الله ظالما. ارجع إلى الخروج ٣٢: ٣٠-٣٥ وانظر أين طُلب من الله أن يظهر رحمة. فإذا بدأنا الحديث عن العدالة المطلقة فلن يخلص أحد لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣: ٢٣).

اقتبس الرسول بولس الخروج ٩: ١٦ بخصوص فرعون ليختم المحاجة فى ذهن اليهود. فاليهود لايجادلون ضد بر الله فى اختيار أن يرفض فرعون ويخلص إسرائيل. لذلك فمنطق الرسول بولس أساسا هو إذا كنت لاتظن أن الله كان ظالماً فى عمل ذلك، إذا فلماذا تظن أن الله ظالم فما يفعله الآن؟ لقد مُنح فرعون كل فرصة ليتوب ويحمد الله، ولكنه بدلاً من التوبة، قاوم فرعون الله وقسّى قلبه. وكانت لإسرائيل نفس الفرص ليتوبوا ويحمدوا الله، ولكنهم قابلوا الله بنفس استجابة فرعون لقد رفضوا المسيا وقسّوا قلوبهم.

الخامسة والسادسة: هى أن «لهم العبادة (فى الهيكل) والمواعيد» (٩ : ٤جـ). فالعبادة والخدمة التى كانت تجرى فى الهيكل أثبتت أن لهم الحق فى الاقتراب إلى الله. والمواعيد كانت خاصة بانتظار المسيا.

السابعة والثامنة : «لهم الآباء» ومنهم (جاء) المسيح حسب الجسد (٩ : ٥أ). فحقيقة أن المسيح جاء فى الجسد منهم كانت ذروة البركات. لاحظ أن من يقول عنه فى ٩ : ٥ إنه سيأتى من الأمة اليهودية هو الله المبارك على الكل إلى الأبد.

فالرسول بولس لم يحط من شأن اليهود. يحب الرسول بولس إسرائيل محبة لاتنقطع ولاتتوقف بل قد جعلته أن يود أن يدان. ولكن هذا لا يمكنه أن يخلص إسرائيل، لأن كل شخص مسئول أمام الله. فهو لايستطيع أن يجيب عن إسرائيل.

رفض إسرائيل وأمانة الله

«ولكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد. بل باسحق يدعى لك نسل، أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا. لأن كلمة الموعد هى هذه : أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة إبن. وليس ذلك فقط بل رفقة أيضا وهى حبلى من واحد وهو اسحق أبونا، لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو. قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير. كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو».

ويقرر الرسول بولس أن كلمة الله لم تسقط. وهو يؤكد ماذا قد كانت مقاصد الله وأفعاله باستمرار. فالله لم يقل أبداً أنه فكّر أنه يستطيع أن يخلص كل الأمة التى جاءت من إسرائيل، بل خلص بقية صغيرة. فليس كل من هم من إسرائيل (الدائرة الواسعة) إسرائيليين (الدائرة الصغيرة)، وتصوير هذه الدائرة قد كان الموجود دائما فى الكتاب المقدس. ففى الفقرات مثل إشعياء ٩:١، ١٠:٢-٢٢، وعاموس ٩:٩-١٥ يقرأ الشخص أن الله قد قال إنه ستكون هناك بقية.

فلم يفكر الله أبداً أنه سيخلص كل من هو من إسرائيل، بل بالحرى فقط البقية التى رجعت إليه. وهذا يصوره الرسول بولس بطريقتين مختلفتين: باسحق وإسماعيل، ثم بيعقوب وعيسو. ولم يكن اختيار الله هذا حسب النسل الطبيعى، فقد كان إسماعيل مولوداً من

ونقطة الرسول بولس الثالثة هى أن كل هذا قد سبق التنبؤ به، فلم يحدث شئ من ذلك بالصدفة. فهذا بالضبط ماعرف الله أنه سيحدث. فقد سبق أن عين البعض ليكونوا مشابهين صورة إبنه، ودعاهم وبررهم ثم مجدهم أيضا، وكل هذا حسب النبوة. هذا هو مايتكلم عنه الرسول بولس فى ٩:٢٥–٢٩ ويؤيد كلامه بالاقتباس من هوشع (٢:٢٣، ١:١١)، وإشعياء (١٠:٢٢، ٢٣، ١:٩) وقد استثنيت أو أبقيت البقية وذلك بنعمة الله، كما سبق أن أنبأ تماماً.

رفض إسرائيل وبر الله

«فماذا نقول. إن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر البر، أدركوا البر، البر الذى بالإيمان، ولكن إسرائيل وهو يسعى فى أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس، فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب: ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة، وكل من يؤمن به لايُخزى».

وهذه عبارة تبدو متناقضة. لقد سعى اليهود نحو البر ولكنهم لم يدركوه ولم يسعى الأمم للبر وأدركوه. فماهو الجواب على هذا؟ يقول الرسول بولس إن إسرائيل سعوا أن يخلصوا بأعمالهم. وليس بإيمانهم. كانت الكبرياء تتسلط عليهم. أما الأمم فقد قبلوا عطية الله بالإيمان، تسلط عليهم تواضعهم، وكانت النتيجة هى رفض إسرائيل، وقبول الأمم أمام الله. وأصبح رفض اليهود الآن معناه خلاص الأمم. لقد بذل الله المسيح ليكون صخرة أساس للخلاص، ولكن إسرائيل رفضه، فأصبح المسيح صخرة عثرة، فسقط إسرائيل عليه وتحطم.

خاتمة

إن سلطان الله المطلق ومسئولية الإنسان متناغمان، فلا حاجة بنا للتوفيق بينهما. فالله لايرى أى مشكلة فى احتضان الإنسان بكل خطاياه وفساده ليأتى به إلى خطته ذات القصد الأبدى فى الخلاص. والله بار، فهو يتعامل مع إسرائيل حسب وعده، بقصده، بابنه وبالخلاص الذى يقدمه لهم بالنعمة بالإيمان. إن الله يمنحك كل أنواع السلام بالإيمان بالله كامل السلطان.

رفض إسرائيل وقوة الله

«فستقول لى لماذا يلوم بعد. لأن من يقاوم مشيئته؟ بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله. ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا. أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان. فماذا إن كان الله وهو يريد أن يُظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك. ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التى أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا؟ كما يقول فى هوشع أيضا: سأدعو الذى ليس شعبى شعبى، والتى ليست محبوبة محبوبة. ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحى. وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص. لأنه متمم أمر وقاض بالبر لأن الرب يصنع أمراً مقضيا به على الأرض. وكما سبق إشعياء فقال: لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة.

ولكن للمفترض الذى هو يهودى مشكلة جديدة: حيث أنه الله مطلق السيادة ولايستطيع أحد أن ينجح فى مقاومة سلطته، فبأى حق له ليديننى، فحيث أننى لا أستطيع أن أقاومه بأى وسيلة؟ **فنقطة الرسول بولس الأولى** هى أنه لاحق لأحد فى مجاوبة الله. إذ يكتب الرسول بولس: فستقول لى لماذا يلوم بعد، لأن من يقاوم مشيئته؟ بل من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله. (رو ٩:١٩، ٢٠) ثم يستخدم مثل الخزاف الذى يشكل الطين إلى مايريده أن يكون. وهو منطق بسيط. فالرسول بولس يقول أنه ليس لأحد الحق أن يخاطب الله بهذه الطريقة **فنقطة الرسول بولس الثانية** هى أن لله قصده.

«فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك؟ ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التى أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا؟ (رو٩ :٢٢-٢٤) فللرب مقاصده، فالله يُعد الإنسان للمجد، فالله يُعد مقدماً أوانى رحمته ليتمجد عن طريقها. ولكن الإنسان يهيئ نفسه للهلاك. وفى اللغة اليونانية «مهيأة للهلاك» تعنى أن لهم نصيب فى الفعل، ولذلك فأفضل طريقة لترجمة هذه العبارة هى أنهم كانوا آنية للهلاك لأنهم هيأوا أنفسهم لذلك. فقصد الله النهائى هو أن يمنح رحمة لأبناء العهد، فهذا مايقوله الرسول بولس فى ٩:٢٤. فالله سيمنح رحمة للجميع ماعدا أولئك الذين هيأوا أنفسهم للهلاك بعدم إيمانهم وعصيانهم.

الفصل الثانى عشر

عجز الجسد

رومية ٧ : ١٤ - ٢٥

مراجعة ومقدمة

مازلنا ندرس رومية ٧ حيث يتناول الرسول بولس الحديث عن علاقة الشخص المتبرر والمقدس بالناموس. وفى هذا الفصل سنبين من رومية ٧ : ١٤–٢٥ عجز الجسد. لقد بيّن الرسول بولس فى رومية ٣ : ٢٠ أن الناموس لايمكن أن يبرر، وهنا فى رومية ٧ : ١٤–٢٥ سيبيّن إنه لايستطيع أن يقدس.

ولقد تأسس حديث الرسول بولس فى الآيات ٧ – ١٣ على التمييز الظاهر فى العبارة : «ليس الوصية، بل الخطية الناشئة عن الوصية». وفى ٧ : ١٤–٢٥ سيرتكز كلامه على العبارة: «لا أنا بل الخطية الساكنة فى». فنفسه الحقيقية، الذى يدافع عن ناموس الله ويوافق عليه حتى بينما الخطية الساكنة، جسده يقاومها.

من هو الإنسان الشقى؟

يثور سؤالان مألوفان عندما نبدأ فى قراءة رومية ٧ : ١٣. السؤال الأول هو : هل هذه الآيات التى يصف فيها الرسول بولس جسدانيته فى تفصيل واضح، تمثل اختباراته هو؟ يجب أن يكون الجواب نعم، وإلا فإنه يخدعنا. ولكن هذه الإختبارات ليست اختباراته هو فقط، بل هو مثال مميز لكل الذين فى ظروف مماثلة. فهذه هى اختبارات الرسول بولس نفسه. والسؤال الثانى هو: هل هذه الآيات تشير إلى بولس المتجدد أو إلى بولس غير المتجدد، إلى أناس متجددين أو إلى أناس غير متجددين؟ لقد وقف أناس عظماء وصالحون ويقفون على كلا الجانبين من السؤال، وعندما يختلف مسيحيون صالحون حول فصل من الفصول، فليس لنا أن نجزم بشئ.

دعنا نذكر بعض الحوارات على جانبى هذا السؤال. هل هو الشخص المتجدد أو الشخص غير المتجدد؟ ولتأييد أنه الشخص غير المتجدد، نشير إلى الآية ١٤ حيث يقول الرسول بولس: «الناموس روحى، وأما أنا فجسدى، مبيع تحت الخطية». ولايمكن أن يقال هذا عن شخص مسيحى، وبخاصة بعد ماجاء فى رومية ٦:١٤ حيث يقول: «فإن الخطية لن تسودنا لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة».

ولتأييد أن الرسول بولس يشير إلى الشخص المتجدد، نشير إلى ٧:٢٢ حيث يقول إنه يسر بناموس الله وهو مايفترض كثيرون أنه لايمكن أن ينطبق على الشخص غير المتجدد.

أبيض

الإصحاح الثامن تستلفت النظر بشدة. ففى رومية ٨ نجد عشرين إشارة إلى الروح القدس، بينما لاتوجد أى إشارة إليه فى الإصحاح السابع، بل نجد الناموس يذكر فى الإصحاح السابع نحو عشرين مرة، بينما فى الإصحاح الثامن ثلاث أو أربع مرات.

اعترافات بولس الثلاثة

والنقطة الرئيسية فى حوارنا بدءاً من العدد الثالث عشر ليست إدانة الناموس بل عجز الناموس عن مساعدتى فى صراعاتى اليومية، فالصراع ليس بين طبيعتى المؤمن، إنه يشير إلى تأثير الناموس على قلب يدرك روحانية الناموس. ويعلق جوديت فى شرحه تعليقاً ملفتا للنظر أن هذا القسم أشبه بلحن جنائزى، إنه أشد المراثى حزناً التى صدرت عن القلب البشرى. ويمكننا أن نصدق هذا. إنها أسوأ خبر فى كل الكتاب المقدس. فعندما ندرس الفصل ككل، فسنجده يقع فى ثلاثة أقسام، أو الأفضل ثلاثة إعترافات، وكل اعتراف يتكون من ثلاثة أقسام، فيعطى بدوره بيانا ثم برهانا وأخيراً النتيجة.

ويبدأ هذا الجزء فى ١٤:٧ حيث يذكر الرسول بولس أول اعترافاته، ولكننا سنبدأ قراءتنا فى رومية ١٣:٧ حيث نجد العبارة التى تؤدى إلى ذكر الرسول بولس لاعترافه الأول، حيث يبدأ بالسؤال: «هل صار لى الصالح موتاً؟» حاشا! بل الخطية لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتا، لكى تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية».

وسيستخدم الرسول بولس خبرته الشخصية تحت الناموس لإثبات تلك النقطة. فهو الآن يذكر هذه النقطة بالعودة إلى الزمن الذى عاش فيه تحت الناموس ليبين أن الناموس قد أظهر أن الخطية خاطئة جداً. ويبين أن الناموس قد قتله وأنه كان عاجزاً عن أن يعيده إلى الحياة أو أن يمنحه حياة.

الاعتراف الأول : أنا غير روحى (٧ : ١٤ - ١٧)

> «فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية، لأنى لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل، فإن كنت أفعل ما لست أريده، فإنى أصادق الناموس أنه حسن، فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ».

وهذه تبدو قراءة مفصلة وأحيانا بكل ما فيها من «أنا» وإنى لا أفعل ما أريده بل ما أبغضه إياه أفعل ربما يكون هذا محيراً، فلنقسمها إلى ثلاثة أجزاء :

على أية حال يظن الكثيرون من الناس، أن إشعياء ٢:٥٨ والجزء الأخير من رومية ٧ أنهما متضادان.

ويلزمنا أن نتذكر نقطة واحدة فى هذا الجزء، وهى أنه يصف إنسانا يحاول أن يكون صالحاً ومقدساً بجهده الذاتى، ومع ذلك ينهزم فى كل مرة من قوة الخطية الساكنة فيه. فالإختبارات الموصوفة هنا ليست بكل تأكيد اختبارات الذين لهم الحياة المسيحية **كما يجب أن تكون**. ففى رومية ٦:١٧–١٨ أقرأ أننا قد أُعتقنا من الخطية لنصير عبيداً للبر. وفى رومية ٦:٧ نقرأ أنه يجب علينا أن نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف. وسنقرأ فى رومية ٨:١ أنه لاشئ من الدينونة على الذين هم فى المسيح يسوع، لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت.

ومعظم الحوار يدور حول ما إذا كان المشار إليه هنا الإنسان المتجدد أم غير المتجدد، ولكن لنتأمل الرأى الآخر. أُذكر أن السؤال الذى يجيب عليه هذا الجزء هو رومية ٧:٧، «هل الناموس خطية؟». وتقول لنا الآية الثالثة عشر: «هل صار لى الصالح موتا؟» لايناقش هذا الجزء لو أن هناك طبيعة مزدوجة تتصارع فى الإنسان. السؤال هو : «هل الناموس خطية؟» و«هل صار لى الصالح موتاً؟» ورأيى بسيط، فهذا الجزء يصف إنسان يحاول جاهداً أن يكون مقدساً بجهوده الذاتية تحت الناموس وبعيدا عن النعمة . وعليه فهذا الجزء يعلمنا أن الناموس عاجز سواء عن خلاص الإنسان أو تقديس الإنسان. وعليه فهذا الجزء لايشير إلى الإنسان المتجدد ككل ولا إلى غير المتجدد ككل بل محدداً أكثر فى تركيزه.

ويجب ألا نتجاهل رومية ٧:١ للتفسير الصحيح للنص، فالرسول بولس يكتب لأناس يعرفون الناموس، والآيات من ٧–١٣ تسأل أسئلة عن الناموس. وهى تبين أن اليهود كانوا بضمائرهم تحت ناموس موسى، لقد كانوا يقدرونه روحيا، ولكنهم فشلوا فى إتمام مطالبه، فهى إذاً صورة لليهودى تحت الناموس، يحاول أن يجد الخلاص بالناموس، ويفشل فى إنجاز ذلك. إنه يصف اختبار هذا الشخص غير المتجدد، يهودى يسعى بغيرة شديدة أن يتمم البر بأعماله الذاتية حسب الناموس. وقد قال مورو فى كتابه «**الإنسان الشقى**» «إنه تصوير عملى ووصف يبين أنه بأعمال الناموس لايمكن أن يتبرر جسد».

وقبل أن نتأمل فى ٧ : ١٤–٢٥، لنفكر فى مفتاح لمعنى الفصل كله. فضمير الفاعل «أنا» يتكرر ثلاثين مرة فى هذا الفصل دون أن يذكر ولو مرة واحدة الروح القدس، فهو يدل على ما أصارع أنا بعمله، وأفشل تماماً فى عمله بقوتى الذاتية. والمقارنة بين هذا والفقرات التالية فى

ولكنه يبين شقاوته أو تعاسته لقد وجد طاغية فى داخله يجبره على أن يعمل ضد نفسه الأفضل. وهذه هى الطريقة التى سنجد أنفسنا عليها إذا كنا نحاول إرضاء الله، وأيضا إرضاء أنفسنا بأتمامنا للناموس. إننا نحتاج للإيمان ببديل الذى هو المسيح.

الاعتراف الثانى : «تسكننى الخطية» (٧ : ١٨-٢٠)

ونجد اعتراف الرسول بولس الثانى فى ٧ : ١٨-٢٠، ويدور هذا الاعتراف حول حقيقة أنه كان شخصاً غير روحى، فالخطية هى التى جاءت له بعدم الروحانية، فإذ قد أيقظه الناموس، نقرأ: «فإنى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شئ صالح. لأن الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت مالست أريده إياه أفعل، فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىّ».

وهذا بالضبط هو ماقاله الرسول بولس من قبل، ولكنه هنا يزداد تعمقا.

أولا: لاحظ عبارة «فىّ» فى الآية ١٨ حيث يقول «فىّ» أى فى جسدى «لايسكن شئ صالح». وهذه العبارة توازى عبارة «أنا غير روحى» أو «أنا جسدى»، ولكن «فىّ» أكثر تحديداً. إنها تتضمن تمييزاً واضحاً بين «أنا» و«الجسد». فىّ أى فى جسدى لايسكن شئ صالح، وهذا بكل تأكيد لايمكن أن يكون المسيحى الذى يسكن فيه الروح القدس».

ثانيا: يوجد البرهان فى الآيتين ١٨، ١٩ تعليقا على الآية ١٥. فالإرادة أن يفعل الحسنى موجودة وفى متناول يده، ولكن تنفيذ الصالح لم يكن متاحاً. وهو لم يقل ببساطة **أن ما لست أريد أن أفعله**، هو ما أفعله، ولكنه قال: إن **الصالح** الذى كان يريد أن يفعله، لم يستطع أن يفعله، إذ أنه يقع فى دائرة المستحيل بالنسبة لبولس أن يتمم الصالح الذى كان يريد أن يفعله، وذلك بسبب الجسد، ذلك بسبب الخطية ذلك لأن الإنسان العتيق مازال حياً، فهو فى اتحاد مع نفسه، والشخص الذى فى اتحاد مع نفسه فقط هو فريسة سهلة للشيطان لأنه أقوى منه جداً. فيلزمنا أن نتحد بالمسيح حتى يمكننا أن نكسب.

ثالثا: نجد النتيجة فى ٧ : ٢٠ تعليقا على الآية ١٧، حيث نقرأ : «فإن كنت ما لست أريده أياه أفعل، فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىّ». لاحظ عبارة «الخطية الساكنة فىّ». فالخطية لم تدخل حياته كمتطفل غير مرغوب فيه، ولكنها أمتلكته كسيد. فلم يعد الرسول بولس متحكما فى مصيره. لم يعد سيد نفسه. وبولس لايحاول أن يبرر نفسه، بل أن يصف عبوديته الشديدة وبؤسه البالغ. لقد قال: لست أنا الذى أفعله، بل الخطية الساكنة فىّ..» فهو فى الخلاصة يقول: «إننى مستعبد للخطية لأقصى حد» ونحن جميعا نشاركه فى ذلك. فنحن

أولا: هناك ماقاله الرسول بولس فى ١٤:٧ من أن الناموس روحى، أما هو فغير روحى، الناموس روحى أما هو فجسدى والآن الأفعال فى صيغة المضارع التى تلى ذلك لاتعنى أى تغيير فى الموضوع، ولكنها لازمة، لأنه سيتناول الآن طبيعة الناموس، وليس عمله. فطبيعة الناموس ستظل بالصورة كما هى لاتتغير، ويتحدث الرسول بولس عن الناموس فى صيغة المضارع. وكأنه كان مازال موجوداً. فهو لم يقل كان الناموس (فى الماضى) روحيا لأن الناموس مازال موجوداً. فبينما كان الرسول بولس يكتب، «الناموس روحى» (فى صيغة المضارع) ويجب أن تؤخذ الأفعال فى المضارع تعبيراً عن اختبارات شخصية حاضرة. ولكن يجب أن تؤخذ على أنها اختبارات تحت الناموس. وتسمى هذه الصيغة فى الإنجليزية المضارع التاريخى، بالحديث عن الماضى وكأنه حاضر لسبب هام. والسبب الهام هنا هو أنه كان يتكلم عن طبيعة الناموس، فالناموس روحى، وعندما كان بولس عائشا تحت الناموس، لم يكن هو روحيا، بل كان جسديا. وفى ١٥:٧–١٦ لاحظ البرهان على هذا القول: فبرهانه هو أن النفس غير قادرة أن تعطل مالا توافق عليه. فقد قال إنه لم يستطع أن يعرف لماذا كان يفعل ماكان يفعله، وما كان يريد أن يفعله، لم يفعله، فالشئ الذى يبغضه، إياه يفعل ويمارس. والإنسان الوثنى الفاجر غير المتجدد كان يستخدم هذه الكلمات اعترافا بأنه كان يمارس مايعلم أنه خطأ، ولكن تناقضه هذا نتج عن محبته للشر. وعندما اعترف الرسول بولس بالخطأ لم يكن ذلك لمحبته للشر، بل كأمر واقع كان يكره الشر، كان يكره مافعله **به**. كان يكره مافعله فيه. والدليل على أن بولس كان جسديا ليس ما كان يدور حوله الصراع داخل بولس. إذ كان الصراع هو عدم القدرة على فعل ما كان يريد أن يفعله. لقد كان يريد أن يفعل الصلاح، ولكنه لم يستطع أن يفعل الصلاح الذى كان يريد أن يفعله.

ومن الممتع أن الرسول بولس قال لأهل فيلبى فى ١٢:٢ و١٣ أن الله هو العامل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا حسب مسرته. وعندما يعمل الله فى شخص مخلص بالنعمة، فإنه لايريد فقط أن يعمل صالحاً بل إنه يستطيع أن يعمل الصلاح الذى يريده الله أن يعمله. والشخص المذكور فى رومية ٧ يمكنه أن يريد وأن يرغب فى أن يعمل صلاحاً كل اليوم، ولكن عندئذ تدخل الخطية وعليه أن يفعل ماتمليه عليه الخطية، فلا يستطيع أن يعمل الصالح الذى يريد أن يفعله. لقد كان الرسول بولس يهوديا له ضمير صالح، ويرى الناموس روحيا ويرى كل ما كان صالحاً فى الناموس، يريد أن يفعل ماهو صالح ولكنه يجد فى نفسه العكس تماماً.

ثانيا: يقول الرسول بولس فى الآية ١٧ : «فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ» لم يكن الرسول بولس يحاول أن يخلص نفسه من اللوم، بل لايحاول أن يعلل لماذا فشل:

ناموس الخطية الذى قد أصبح ملكا على الإنسان منذ جنة عدن. ويوجد **ناموس الذهن**، الإحساس الأدبى فى الإنسان. ويوجد **ناموس أعضاء الجسد**، الذى هو الشهوة التى تؤدى إلى الفشل والسقوط.

رابعا: خاتمة هذا الجزء ونجدها فى ٧ : ٢٤ – ٢٥، حيث يختتم الرسول بولس كلامه:

«ويحى أنا الإنسان الشقى. من ينقذنى من جسد هذا الموت؟ أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله، ولكن بالجسد ناموس الخطية».

يقول الرسول بولس إنه إنسان شقى، فى حاجة إلى انقاذ. وهو لايستخدم كلمة «مذنب» هنا، فقد استخدم هذه الكلمة من قبل ولكن كلمة «شقى» تصف الإنسان الذى قد حاول بكل الطرق الممكنة – لكى ينجح فى شئ ما، ولكنه فشل فشلا ذريعا. ولم تعد لديه أى قدرة لقد أُنهك تماماً. لقد انهزم. إنه على وشك الانهيار، لايستطيع أن يتحرك. إنه لايناقش موضوع ذنبه هنا، ولايناقش موضوع الدينونة هنا. إن قوة الشر الكامنة فيه لايمكن أن يتغلب عليها الإنسان بقوته الذاتية غير المعانة. لقد حاول، وقد فشل. فبالنسبة لذهنه فإنه يخدم ناموس الله، ولكن بالنسبة للجسد يخدم ناموس الخطية. لذلك فالجسد لايمكن أن يتغير أو يتحسن بالناموس، بل يمكن فقط أن يتبكت أو يُضبط. لايمكن أن يتغير الجسد إلا بقوة الخالق، ولايمكن أن يحدث هذا التغيير إلا بالإيمان والنعمة فى صليب المسيح.

وتلخص كلمات الرسول بولس هذه كل الموضوع، وتشكل النتيجة تحت هذه الظروف: «أنا شقى، هالك، بائس، تسكننى الخطية وغير قادر على إيقافها. ولايمكن أن تكون الإشارة هنا إلى إنسان متجدد يعبد الله بالنعمة. ومحاولة تطبيق كل هذه على الرسول بولس كمسيحى، هو إعتراف بأن نعمة الله عاجزة حيال الخطية، مثلها مثل الناموس.

صورة الإنسان الموصوفة فى رومية ٦ – ٧

يلزمنا أن نتأمل فى الإنسانين الموصوفين فى الإصحاحين السادس والسابع من الرسالة إلى رومية لنرى أنهما إنسانان مختلفان: **أولا:** هناك الإنسان الموصوف فى رومية ٦ : ١– ٦:٧، ويُقال عن هذا الإنسان فى ٦:٢٠ بأنه ميت عن الخطية، وفى ٦:٤ يقال عنه إنه يسلك فى جدة الحياة، وفى ٦:٦ قيل أن الإنسان العتيق يجب أن يُصلب. وفى ٦:١٢ الخطية لن تسوده. وفى ٦:١٤ إنه ليس تحت الناموس بل تحت النعمة. وفى ٦:١٨ هو عبد للبر. وفى ٦:٢٢ فى الجزء الأول من الآية، إنه قد أعتق من الخطية، وفى الجزء الأخير من ٦:٢٢ له ثمرة للقداسة وفى ٦:٢٣ له حياة أبدية. وفى رومية ٧:١–٦ قد تحرر من الناموس، ومات للخطية، ويسلك فى

نعرف هذا الشعور. نستطيع أن نتذكر الشعور ونحن فى طريقنا لفعل شئ خاطئ، وشئ فى داخلنا يقول: «لن أفعل هذا، يجب علىّ ألا أفعله. لايمكن أن أفعله» ثم نقول: «لماذا فعلت ذلك؟» إذا سألك شخص: «لماذا فعلت ذلك؟» فسيكون جوابك: فى الحقيقة. لا أستطيع أن أشرح الأمر. إننى لم أرد أن أفعله، وقد وعدت ألا أفعله، ولكن بدوت عاجزاً لا حيلة لدى وسبب هذا العجز هو إننى لم أكن فى اتحاد مع الرب يسوع.

الاعتراف الثالث : «أنا إنسان شقى» (٧ : ٢١-٢٥)

إذاً أجد الناموس لى : حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى، فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكننى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى.. ويحى أنا الإنسان الشقى! من ينقذنى من جسد هذا الموت؟ أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله، ولكن بالجسد ناموس الخطية».

ولايوجد فى كل الكتاب المقدس كلمات أشد حزنا من هذه الكلمات باستثناء عبارة «**أشكر الله بيسوع المسيح ربنا**» فهى كلمات مرعبة وحالة مرعبة أن يجد الإنسان نفسه فيها ولامخرج منها..» ويحى أنا الإنسان الشقى. من ينقذنى؟» ولو أن بولس لم يكن قد عرف الرب يسوع، وهو فى طريقه إلى دمشق، كما وجد جواب لهذا السؤال. لاحظ العبارة فى الآية ٢١: «حينما أريد أن أفعل الحسنى..» فالرسول بولس كان يريد دائما أن يفعل الحسنى. فقد قال : «حينما أريد أن أفعل الحسنى، أجد الشر حاضر عندى». كان الرسول بولس على وعى دائم من تناقض أدبى وصراع دائم فى داخله فقد كانت لديه الرغبة أن يفعل ماهو صالح، ومع ذلك كان يجد الشر حاضراً ومسيطراً عليه. ونجد الدليل على ذلك فى ٧ : ٢٢-٢٣ التى توازى الأعداد ١٥، ١٨، حيث يقول الرسول بولس: «فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكننى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى».

ويجب أن نلاحظ بكل عناية أن الإنسان الباطن ليس هو نفسه الإنسان الجديد، فذهن الإنسان لايستخدم إطلاقاً للدلالة على الطبيعة الجديدة، إنه الجزء اللامادى فى الإنسان بالمقابلة مع المادى. فذهن الإنسان فى حاجة إلى أن يتجدد كما سيقول الرسول بولس فى رومية ٢:١٢، وفى أفسس ٢ :١٣ توجد أربعة نواميس متضمنة فى ٢٢:٧، ٢٣: يوجد **ناموس الله**، ذلك الناموس الأدبى المكتوب فى ناموس موسى، أو المكتوب على قلب الإنسان. ويوجد

جدة الحياة. لقد صلب الإنسان العتيق، لاتسوده الخطية، وهو الآن تحت النعمة وعبد للبر، لقد تحرر من الخطية ويثمر للبر وله حياة أبدية، وتحرر من الناموس.

وفى الجانب الآخر نجد الإنسان موضوع الحديث فى رومية ١٤:٧–٢٥. هذا الإنسان جسدى بناء على ١٤:٧، مبيع تحت الخطية ١٥:٧.. وهو غير قادر أن يتمم رغبته الصالحة فى ١٥:٧، ١٨، ١٩، تسكنه الخطية فى ١٧:٧–٢٢، فهو عبد للخطية فى ٢٣:٧. ويوصف بأنه إنسان شقى مهزوم ومُنهك فى ٢٤:٧أ، وإنسان ميت وحيد فى ٧ : ٢٤ب ولايمكن أن تكون هذه أوصاف نفس الإنسان. فالأول إنسان مخلص بالنعمة، والثانى إنسان يحاول أن يخلص بالناموس.

خاتمة

لقد أشار الرسول بولس إلى حقين عظيمين عن الإنسان: **أولا:** هو أن فى داخلنا – بدون النعمة – لايوجد شئ صالح. و**ثانيا:** أن الناموس لايمكن أن يشفينا من طبيعتنا الشريرة. لايمكن أن يغير ميولنا، لايمكن أن يغير قوتنا. لقد أوضح الرسول بولس حقين سلبيين عن الناموس: **الأول** فى رومية ٢٠:٣ أنه لايمكن أن يتبرر جسد بالناموس. لايمكن أن يتبرأ إنسان من إتهام الله له بأنه خاطئ حسب الناموس، فالناموس يجعله إنسانا شقيا. و**الثانى** هو أنه لايمكن أن يُقدس، فهو لا يستطيع أن يطهرنى من الخطية، ولايمكن أن يفصلنى عن الخطية. أما الخبر الطيب بشكل ملفت للنظر فهو أن الإيمان يمكنه أن يعمل كلا هذين الأمرين، فالله يمكنه أن يرى إيمانى ويطهرنى من خطيتى. والله يمكنه أن يرى إيمانى ويفصلنى عن هذا العالم الشرير. ولهذا فسيعلن الرسول بولس فى ١:٨–٢:

> «إذاً لاشئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع... لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت».

وفى الفصل التالى سنتحدث عن قوة الله العظيمة ليس فقط فى خلاصنا، ولكن أيضا فى تقديسنا. أثبت فى الخاص، إثبت فى التقديس. إثبت فى الإيمان، إذ تفعل ذلك، ستجد كل أنواع السلام فى الإيمان بالرب يسوع.

الفصل الثالث عشر

القداسة ممكنة

رومية ٨ : ١ - ٢١

مراجعة ومقدمة

لقد وصلنا أخيراً إلى رومية ٨، ولعلك تذكر أننا قلنا فى بداية دراستنا أن الرسالة إلى رومية هى العلاقة المائية العالية بين أسفار الكتاب المقدس. وإذا كان الأمر كذلك. فالإصحاح الثامن هو قمة جبل الرسالة فهو الإصحاح الذى يحلق فيه الرسول بولس إلى قمة ما سيقوله عن نعمة الله العجيبة. وقد قال أحدهم: «فى هذا الإصحاح المدهش تتجمع كل مجارى المناقشات السابقة وتتدفق فى نهر واحد من ماء الحياة الصافى مثل البللور الخارج من عرش الله والحمل إلى أن يصب فى محيط الأبدية المسببة منتهى السعادة. وهذا حق تماماً.

لقد رأينا التبرير فى الأصحاحات ٣-٥، والتقديس فى الأصحاحين السادس والسابع، وفى الأصحاح الثامن نرى أن الاتحاد بالمسيح هو مصدرهما وأساسهما. فالاصحاحان السادس والسابع يوضحان - بالمقابلة بينهما - قوة ذلك الاتحاد بالمسيح ليُقدس. فقد أوضح لنا الاصحاح السادس أن الاتحاد بالمسيح يتضمن عدم توافق الاتحاد بالخطية، بل لانستطيع أن نتصور إمكانية الاتحاد بالخطية، بسبب إتحادنا بالمسيح. وقد أوضح لنا الأصحاح السابع أن الاتحاد بالمسيح يعنى عدم إمكانية الاتحاد بالناموس.

ومع أننا لن نتمكن من استقصاء هذا الفكر فى هذا الدرس. فمن المستحسن أن نقارن بين الاصحاح الخامس والاصحاح الثامن. فدعنا نتأمل بايجاز فى عدة نقاط. فالأصحاح الخامس يبين دوام البر بالإيمان، أى أن البر سيظل إلى النهاية القصوى، والأصحاح الثامن يرينا كيف أن هذا البر سيظل مابين البداية والنهاية. والأصحاح الخامس يتطلع إلى الأمام ليقول أن البر سيدوم، والأصحاح الثامن يتطلع شيئا فشيئا ليقول أنه سيستمر. فالأصحاح الخامس يتكلم عن أساس وضمان برى فى العمل الكامل الذى عمله المسيح على الصليب. والأصحاح الثامن يتكلم عن حياة البر التى سأعيشها بقوة اتحادى بالروح القدس. الأصحاح الخامس يتكلم عن علاقة المؤمن بالله، والأصحاح الثامن يتكلم عن علاقة المؤمن بالخطية والعالم والجسد والشيطان، كما بالله.

نظرة عامة على الأصحاح الثامن

يتكون الأصحاح الثامن فى الواقع من أربعة أجزاء. الجزء الأول فى ٨:١-١١ يتكلم عن الخلاص من قوة الجسد بقوة الروح القدس. فالقداسة هى الفكرة الرئيسية فى الأصحاح الثامن من رومية، والآيات ١-١١ تتحدث عن **إمكانية القداسة**. وفى ٨:١٢-١٧ يناقش

أبيض

بالإيمان كما نقرأ فى رومية ٣:١–٥:٢١، ولا للذين يثبتون فى المسيح كما نقرأ فى رومية ٦:١–٧:٦ للذين قبلوا المسيح بالإيمان، للذين اعتمدوا فى يسوع وأقيموا من تلك المعمودية ليسلكوا فى الحياة الجديدة فى المسيح. لا دينونة من أى نوع. هذه حقيقة مجيدة.

وتعطى رومية ٨:٢ التفسير الكامل لماذا كان الأمر كذلك. فيقول: «لاشئ من الدينونة للذين هم فى المسيح لماذا هذا؟.. لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت» فهذه الآية تقدم لنا الدليل والتفسير للآية الأولى من الأصحاح وتقدم الجواب للسؤال المذكور فى رومية ٧:٢٤ : تذكر ما قاله الرسول: «ويحى أنا الإنسان الشقى، من ينقذنى من جسد هذا الموت؟» فنقرأ فى رومية ٨:٢ أن روح الله هو الذى سينقذ. هنا أساس حريتنا بالمقابلة مع الأصحاح السابع، فعندما ندخل فى اتحاد بالمسيح، نجد قوة جديدة، سيادة الروح القدس الذى يعطى حياة بها يسيطر على الجسد والشر الذى بداخلنا. ونلاحظ هنا الناموسين المتقابلين: ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع، وناموس الخطية والموت. فالناموس الأول يتغلب على الآخر. والخطية والموت يشيران إلى مصدر وعمق دينونتنا. والآن هذان كلاهما المسيح والروح القدس ينقذاننا. وأنا أحب هذه العبارة: «ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت» هذا هو التفسير الصحيح. ولكن هناك أيضا السبب الإلهى، إذ يكتب الرسول بولس فى رومية ٨:٣.

> «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية فى الجسد».

فالله بإرساله المسيح، هو السبب الكلى لخلاصنا، فالسبب الوافى لتبريرنا هو عمل المسيح الكامل على الصليب. لاحظ الكمال العجيب. فى هذه الآية: فلاهوت المسيح يقول إن الله أرسل ابنه، والتجسد يقول إن المسيح جاء فى شبه جسد الخطية، فموت الرب هو التضحية والكفارة الكاملة عن خطيتنا والفداء من سلطانها. فلم يتم التعامل مع خطيتنا فحسب بالغفران، ولكن أيضا بمعنى القوة. فالانقاذ بصليب المسيح من دينونة الخطية هو فى توافق تام مع ماعلّمه الرسول بولس فى رومية ٦ حيث يقول إننا قد دفنا مع المسيح وأننا أقمنا مع المسيح وأننا نحيا مع المسيح، وهذا استكمال لتعليم رومية ٣:٢١–٢٦ حيث نتعلم أننا لنا السبب، وأننا لم ندفع ثمن هذا الخلاص، فيسوع هو كل السبب الكافى والوافى.

الرسول بولس الإدراك الكامل لبنويتنا بقوة الروح القدس، وهنا الفكرة هى **إمتياز القداسة**، فالقداسة ممكنة وتتضمن بعض الامتيازات. ففى ٨:١٨–٢٠ يؤكد الرسول بولس أن الآلام نفسها لن تؤثر فى وضعنا بسبب نفس القوة قوة الروح القدس. والفكرة هنا هى **الحافز على الثبات والقداسة**. فالقداسة ممكنة، وهى امتياز عظيم وتنتج عنها حوافز معينة، ففى ٨:٣١–٣٩ وهى الفقرة الأخيرة فى رومية ٨، يقول إنه رغم كل شئ وأى شئ، النصرة لنا بالمسيح يسوع ربنا. فهناك **الانتصار بالقداسة**.

ويلزمنا أن نلاحظ أن الأصحاح الثامن يبدأ بالقول أنه **لا دينونة**، وينتهى بالقول إنه **لا انفصال**، بينما يقول فيما بين ذلك أنه **لا هزيمة**. فهذا الأصحاح هو ذروة فى تعليم الرسول بولس عن قوة الله فى حياتنا.

إمكانية القداسة

ويلزمنا فى هذا الدرس أن نتأمل فى إمكانية القداسة. لقد أصبحت ممكنة بدم المسيح، وهى ممكنة بقوة الروح القدس. فى ٨:١–٤ يتحدث الرسول بولس عن قوة روح الله القدوس فى حياتنا، فيكتب :

«إذاً لاشئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع... لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد، لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح».

ونجد مقارنة بين الجسد والروح فى كل هذا الأصحاح.

لاحظ ما يقوله الرسول بولس فى ٨:١–٤ «إذاً لاشئ من الدينونة على الذين هم فى المسيح يسوع...» وإذا تتضمن أنه تحت الظروف المتغيرة لكوننا مخلصون بدلاً من هالكين، وتحت عصر متغير فلسنا تحت الناموس، بل تحت سيطرة الروح القدس. «لاشئ .... الآن» فى الوقت الحاضر «لادينونة» وكما أشار فى الأصحاح الخامس إلى الغفران فى الماضى إلى النجاة فى المستقبل من الدينونة، وهو الآن يتكلم عن الحاضر، الآن، بسبب الظروف المتغيرة والعصر المتغير، لا دينونة.

فى لغة العهد الجديد الأصلية (اللغة اليونانية) ترد هذه العبارة مؤكدة بشدة ويجب أن تترجم: «ليس ثمة أى نوع من الدينونة»، لا دينونة قضائية، ولا دينونة اختبارية. ليس ثمة أى نوع من الدينونة للذين هم فى المسيح يسوع: لاشئ من الدينونة للذين دخلوا فى المسيح

الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له. وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر. وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم».

قال الرسول بولس فى الآيات ٥–٨ إنه قد تحرر من امتلاك الطبيعة الخاطئة. يوجد مبدآن يسعيان للسيطرة على حياتى : الجسد والروح. ويقول الرسول بولس فى الآية الخامسة إنهما يسيطران على ذهنى، ويقول إذا كان يسيطر علىّ الجسد، فإن ذهنى يهتم بالرغبات الجسدية، ولكن إذا كان الروح هو الذى يسيطر علىّ، فإن ذهنى يهتم بالرغبات الروحية، فالميلان إذاً هما الميل للأمور الجسدية، والميل للأمور الروحية. ويوجد روحان، وهناك ميلان، توجد قضيتان. من الهام أن نلاحظ أننا نتعامل مع قضيتين، فإذا كان ذهنى جسدانيا إذا كنت أسعى نحو أمور العالم، والأمور التى تشبع رغباتى العالمية، من ثم النهاية هى موت. ولكن إذا كان ذهنى متعلق بروح الله، وأمور يسوع الروحية فينتج عن هذا حياة سلام. فلى روحان، ومبدآن، وقوتان تتصارعان على امتلاك حياتى، قوة الجسد وقوة روح الله.

وفى الآية السابعة يصف الذهن الخاطئ بطريقة مأساوية جداً ولكنها جميلة، فيقول أن الذهن الخاطئ هو عدو لله، فهو لايخضع لناموس الله لايمكنه أن يخضع لناموس الله، ولايمكنه أن يرضى الله، لذلك إذا كنت أعيش حسب ذهنى الخاطئ، ذهنى الجسدى وشهواتى الجسدانية، فأنا أعيش فى عداوة لله، ولا أخضع لناموس الله.

حىّ فى الروح

يقول الرسول بولس فى رومية ٨:٩–١١ أنا حر لأتغلب على الجسد. وفى ضوء قيامة الجسد، يسكن فينا روح الله، ويقول الرسول بولس ذلك ثلاث مرات مختلفة فى الآيات ٩–١١. فروح الله يسكن فينا والنتيجة بناء على الآية التاسعة، أننا ملك للمسيح: «أما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له» (ليس للمسيح). فأنا ملك للمسيح والدليل على ذلك أنه قد أعطانى الروح القدس ليسكن فىّ. فإذا كنت أسلم نفسى ليسوع وللروح، فهو سيسود علىّ. فروح الله يسكن فينا، ولذلك فأرواحنا تحيا حتى وإن كانت أجسادنا تموت، فهذا مايقوله الرسول فى الآية العاشرة: «إن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر»، فقد

الهدف من القداسة

تتحدث رومية ٨ :٤ عن الهدف العملى للخلاص والقداسة من الله، فقصد الله من كل هذا هو أن نتحرر من ناموس الخطية والموت. وناموس الخطية والموت ليس هو ناموس موسى، ناموس موسى كان عاجزاً عن أن ينقذنا من الناموس الذى قال : «عندما تخطئ تموت» فمطالب الناموس العادلة قد تمت فى أولئك، وليس بواسطة هؤلاء السالكين والعائشين والعاملين حسب الروح القدس. لقد فشل الناموس فى إنقاذ الإنسان من ناموس الخطية والموت، بسبب عجزه عن حفظ الناموس بالأعمال. ولكن ينجح الإنجيل فى إنقاذ الإنسان من الخطية والموت بسبب قدرة الله أن يعطى نعمة مؤسسة على يسوع. وهكذا نجد التفسير والشرح لقول الرسول بأن هدف الناموس قد تم الآن. لقد قال الرسول بولس فى رومية ١٩:٣، ٢٠:٥، ١٣:٧ إن الناموس يطلب الكمال، ومع ذلك فالناموس عاجز عن أن يمنح الإنسان القدرة لتحقيق مطالبه، ولذلك يوجد تقديم الناموس جديد، مبدأ جديد، روح الحياة فى يسوع المسيح.

لاحظ أهمية هذه الآيات الأربع، فهى تقدم لنا ملخص الأصحاحات من ٥–٨، وتدل – بصيغة موجزة لكنها وافية، أسرار القداسة المسيحية. فرومية ٨ : ١ يلخص رومية ٥ فدينونة الخاطئ قد إنمحت فى المسيح. ويلخص رومية ٢:٨ الأصحاح السادس من رومية فدينونة الخطية فى النفس قد آنتهت بالاتحاد مع المسيح، ويلخص رومية ٣:٨ الأصحاح السابع من رومية.. فمن الواضح أن الناموس عاجز عن أن يأتى بالبر، وأن موت المسيح لازم لتحريرنا من الصراع غير المتعادل لنكون أبراراً تحت الناموس. ويلخص رومية ٤:٨ يلخص رومية ٨، فالقداسة ممكنة ويمكن الوصول إليها بقوة روح الله القدوس. وتأتى بنا هذه الآيات الأربع إلى النقطة التى يمكننا عندها أن نناقش المبدأين العظيمين الذين يريدان أن يسيطرا على حياتنا: الجسد والروح. فسيقال لنا عن الإمكانية والامتياز والقوة لمحو سلطان الخطية فى حياتنا، وذلك بأن ندع روح الله أن تكون له السيطرة الكاملة.

المقارنة بين الجسد والروح

يتكلم الرسول بولس فى رومية ٥:٨–١١ عن المقارنة بين الجسد والروح، فيكتب:

«فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فيما للروح. لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعا لناموس الله لأنه أيضا لايستطيع، فالذين هم فى الجسد لايستطيعون أن يرضوا الله. وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى

سنين وقرون بل وربما ألف سنة كانت مدفونة فى التربة، لكنه سيقيمها لتكون أبدية وغير قابلة للفساد، وسينفخ فيها مرة أخرى روح الحياة. فسيصبحون ليس فقط نفوساً حية، ولكن نفوساً عادت إلى الجسد. وأى نوع من الجسد سيكون؟ قال الرسول بولس فى ١كو ١٥:٣٥-٣٦ إن هذا سؤال ينبغى فى الحقيقة ألا نسأل لأنه سؤال غبى، ولكن مانعرفه عن الجسد أنه سيكون جسداً روحانياً غير قابل للموت أو الفساد. والعبارة الأفضل قد تكون أنه سيكون مثل جسد الرب يسوع. إن إمكانية القداسة العظيمة ليست فقط أننى سأتغير روحيا إلى صورته بل إن جسدى أيضا. سيقام ليكون على صورة جسده الممجد.

ويتناول بعض كتّاب الكتاب المقدس هذا بتفصيل أوسع، ففى فيلبى ٣:٢٠ أقرأ أنه حيث أن سيرتنا (مواطنيتنا) هى فى السموات، فإننى فى انتظار مخلص من هناك. فعندما يأتى ذلك المخلص سيغير هذا الجسد المتواضع الفاسد، ليكون على صورة جسد مجده. سيحدث هذا تماماً يوماً من الأيام.

خاتمة

نختم هذا الدرس بقراءة ١يو ٣:١-٢ حيث يكتب الرسول يوحنا:

> «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولا الله. من أجل هذا لايعرفنا العالم لأنه لايعرفه. أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو».

هذا وعد جميل! فعندما يأتى الرب يسوع، هذا الخلاص الذى قد بدأ الآن فى الروح سيكمل نهائيا فى جسدى، سيكون لى جسد مثل جسده، وليس معنى هذا بالضرورة أن يكون مثله فى المنظر، ولكن مثله فى النوع. سيكون لى جسد مثل الجسد الذى يمتلكه الرب يسوع الآن. وأنا لا أعرف أى نوع من الأجساد هذا، ولكنه جيد بما يكفى لى.

ويواصل يوحنا الكلام فى الآية الثالثة : «وكل من عنده هذا الرجاء به يظهر نفسه كما هو طاهر» لماذا القداسة ممكنة؟ إن السبب هو أننى مثل الرب يسوع، أنا مثل الرب يسوع روحيا الآن، وسأعيش لأجل المسيح، فالحياة هى فى المسيح، ولكن يوما ما سأكون مثل الرب يسوع، جسديا. وسيكون هذا فى النهار الأبدى، غير مسبوق بأمس، ولا يليه غد، بل سيظل حاضراً أبداً.

انكشفت لى حقيقة أن هذا الجسد الذى تسكنه روحى هو جسد ميت فاسد، ولكن فى داخلى يولّد روح الله حياة ثم يجددها، فأزداد إدراكا لحقيقة أننى حىّ، ربما يكون جسدى ميتا، ويوما ما سيثبت أنه مائت، فسيأخذ أحدهم جسدى إلى مكان ما ويدفنه تحت التراب، أو يحرقه وينثر رماده. وبكيفية ما سيعود جسدى إلى تراب، ولكن ذلك الجزء منى الذى قد فُدى بدم يسوع سيظل حياً أمام عرش الله.

وتذكر الآية الحادية عشرة حقيقة هامة، فحيث أن الروح يسكن فينا، فيوما ما ستعطى لأجسادنا حياة. ولنقرأ كلمات الرسول بولس فى الآية ١١ مرة أخرى : «وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم، فالذى أقام المسيح من الأموات سيحى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم». وتعود بى هذه الآية إلى جنة عدن، عندما قرر الله أخيراً أنه قد حان الوقت ليخلق أفضل ما فى خليقته فى العالم، مد يده إلى التربة، ومن هذه التربة صور الإنسان على صورته ثم نفخ فى ذلك الإنسان نسمة حياة، فأصبح آدم نفسا حية. وأنا لا أعرف طبيعة جسد آدم، ولكن طالما كان على اتصال بشجرة الحياة، من ثم ذلك الجسد سيظل كما خُلق، على صورة الله، وسيعيش هناك إلى الأبد شابا يتجدد إلى الآن بشجرة الحياة التى يأكل منها.

ولكننا نعلم ماحدث، نظر آدم وحواء إلى شجرة معرفة الخير والشر وأكلا منها وبدأ يموتان. وقد أخبر الله آدم: «يوم تأكل منها (من شجرة معرفة الخير والشر) موتا تموت» (تكوين ٢:١٧) فى اللغة العبرية مقاله الرب حرفيا «فى اليوم الذى فيه تأكل موتا تموت» فكانت هناك حقيقة وعملية قد حدثتا بأكل آدم من الشجرة أنه مات وبفعل هذا. أدخل إلى العالم فكرة الموت، وبدأ لآدم عملية موت مستمرة، فبسبب ذلك ولدنا جميعنا فى عالم فيه الموت محتم. لأن آدم آخطأ، دخل الموت الجسدى إلى العالم.

ونقرأ ابتداء من رومية ٣:٢١ إلى رومية ٥:١٢–٢١ أن الرب يسوع قد أباد الموت الذى جاء به آدم إلى العالم. ولكن هذه الأبادة هى فقط بالنسبة لأرواحنا وتحدث لأن يسوع مات، كما أن ذلك حدث لأننا نموت معه فى إجراء المعمودية. وقد أقيم الرب يسوع إلى الحياة، وكذلك نحن أيضا نقام لحياة جديدة بعد المعمودية. فأرواحنا تحيا، لكن الجسد مازال ميتا ويفسد بسبب خطية آدم.

لكن الآن بسبب القوة العظيمة للوحى، يتطلع الرسول بولس إلى الوقت الذى سيأتى فيه الرب يسوع ثانية ويقيم أجسادنا من التراب، فقوة الله العجيبة ستقيم هذه الأجساد التى لعدة

فالقداسة ممكنة لأننى مثل الرب يسوع المسيح، روحيا مثله الآن، وجسديا مثله فيما بعد. وسيوضح الرسول بولس هذا فى باقى الأصحاح الثامن من الرسالة إلى رومية، فهذا هو أسلوب الرسول بولس، فهو يبدأ بموضوع، ويستكمل مناقشته فيما بعد. فسيناقش موضوع جسدى المقام وحياتى الروحية مع الرب يسوع، سيناقش موضوع كيف أننى منتصر الآن وسوف أكون منتصراً عندئذ وإلى الأبد. فسيناقش فى الأصحاح التالى الامتيازات التى ستحضره لنا من هذه الحالة من القداسة. فليعطيكم الله سلاماً عظيماً بالإيمان بالرب يسوع.

الفصل الثامن عشر

رفض إسرائيل لله

رومية ١٠ : ١ - ٢١

مراجعة ومقدمة

ناقش الرسول بولس فى الأصحاح السابق الموضوع العظيم الخاص بسلطان الله المطلق. فناقش أمانة الله واكتشف أن إسرائيل قد ضاع لعدم أمانتهم، وليس لعدم أمانة الله. وناقش الرسول بولس موضوع عدالة الله ليبين لليهود أن دينونتهم ورفضهم كان مبررا. وناقش قدرة الله ليبين أن الله كان قد سبق فرأى أن هذا سيحدث. فقد رسم خطته على أساس هذه المعرفة السابقة ثم ناقش محبة الله. وفى نهاية رومية ٩: ٣٠–٣٣ نجد فصلا انتقاليا ينقلنا من مناقشة سلطان الله المطلق إلى مناقشة المسئولية البشرية.

سبب فشل إسرائيل

إن موضوع هذا الأصحاح هو رفض إسرائيل للمسيح. وكما حدث فى الفقرة السابقة، سينتقل الرسول بولس من مناقشة سلطان الله المطلق إلى المسئولية البشرية. ويفسر ثلاث خصائص لرفض إسرائيل للمسيا. لم يرى الرسول بولس أى سبب للدخول فى مناقشة كيف يجمع بين سلطان الله المطلق ومسئولية الإنسان ورفضه. ولكنه يعطى الأسباب لرفض إسرائيل فى هذه الأجزاء.

فقد ظل بنو إسرائيل يقرأون الأنبياء على مدى قرون عديدة. وقد مارسوا الناموس وقد سمعوا وعود الله. وكان كل هذا لقيادتهم إلى المسيح (ارجع إلى غلاطية ٣: ٢٤). ورغم ذلك فإن غالبية الإسرائيليين لم يكونوا مستعدين عندما جاء الرب يسوع (ارجع إلى يوحنا ١: ١١). فكيف يفسر الرسول بولس هذه الحادثة المأساوية؟ **أول سبب** مُعطى أن إسرائيل لم يشعروا بالحاجة للخلاص، فيكتب الرسول بولس فى رومية ١٠: ١ «أيها الأخوة إن مسرة قلبى وطلبتى إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص». وكان الإسرائيليون يشعرون فعلا أنهم **قد خلصوا**. وفى الأصحاحين الثانى والثالث من الرسالة إلى رومية رأينا أن الإسرائيليين كانوا يؤمنون بأن علاقتهم الدينية بالله وعهده كانتا سبب خلاصهم.

والسبب الثانى: كان اليهود يجهلون طريق الله لجعل الناس أبراراً. كانوا جاهلين فى غيرتهم لله. فيقول فى رومية ١٠: ٢ «لأنى أشهد لهم أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة». فالاخلاص لايكفى. لايكفى أن تكون غيوراً لله، بل يجب أن ترتبط الغيرة والاخلاص بمعرفة الحق.

أبيض

ولكن العبارة: «غاية الناموس هى المسيح»... تعنى أيضا أنه (المسيح) هو غاية أو هدف الناموس. فالناموس أرشد الناس إلى المسيح إنه كان معلما للإتيان بالناس إلى المسيح. فكل شئ قد أعلنه الناموس لما يجب أن يكون عليه الإنسان، ثم فى المسيح. فكل ما قاله الناموس أن على الإنسان أن يفعله، قد فعله الرب يسوع. وكل ماقال الناموس أنه لايجب أن يفعله الإنسان، لم يفعله الرب يسوع. وهذا ما جعل الرسول بولس أن يكتب العبارة فى رومية ٤:٢٥ من أننا تبررنا بموته ولكننا خلصنا بحياته. فقد أُنقذنا من العبث والضياع لقد أنقذنا إلى حياة فائضة بالحياة التى عاشها المسيح بينما كان على الأرض، فيقول الرسول بولس فى حواره أن اليهود قد أساءوا فهم الناموس والغاية منه. لقد أساءوا فهم هدفه وخدمته.

وصف البر بالناموس

فى رومية ١٠:٥ يذكر الرسول بولس نقطة ثانية. إنه يصف البر الذى يأتى من الناموس. والفكر الأساسى هنا هو عمل مايطلبه الناموس. فالطريق الوحيد الذى به يستطيع إنسان أن يتبرر أو أن يكون صالحاً هو أن يحفظ الناموس، ولكننا قد قرأنا أنه لايمكن لأحد أن يحفظ الناموس تماماً، وحالما يكسر شخص ولو نقطة واحدة من الناموس، يصبح مُداناً، يصبح مذنبا كاسراً للناموس، ولذلك فالتاريخ يقتضينا أن نؤمن بأنه لايمكن لأحد أن يتبرر بالناموس ماعدا الرب يسوع فهو لأنه الوحيد الكامل الذى حفظ الناموس تماماً. وكاسر الناموس لايمكنه أن يقف أمام القاضى ويطلب العدل. وهو لاشك سينال العدل على أية حال إلا إذا وقف أمام القاضى مستنداً على الإيمان.

وصف البر بالإيمان

فى رومية ١٠ : ٦ – ١٣ يناقش الرسول بولس البر الذى بالإيمان ، يصف الرسول هذا البر فى ١٠:٦–٨ هنا مايقوله البر بالإيمان: يقتبس بولس من سفر التثنية ٣٠:١٢ مع إضافة بعض الأفكار للتفسير. وجوهر قوله هو أن الكلمة قريبة منك. فى فمك وفى قلبك. ويضيف الرسول بولس أن البر هو «كلمة الإيمان التى نكرز بها».

فلا حاجة لجهد أو سعى فوق طاقة البشر. فليس علينا أن نطير إلى السماء لنأتى بالمسيح كرها إلى الأرض، وليس علينا أن ننزل إلى أعماق الأرض بقوتنا الذاتية لنصعد الرب يسوع من الأموات. فخلاصنا وتبريرنا وتقديسنا وتمجيدنا ليس مبنيا على أساس جهد أو سعى فوق

ثالثا : أن اليهود كانوا متكبرين وأبرار فى ذواتهم، فيقول فى رومية ١٠:٣: «لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله، ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم، لم يخضعوا لبر الله». فلم يشأ اليهود أن يخضعوا لله. كانت هذه أحد مشكلاتهم الأساسية. كانوا فخورين بديانتهم وأعمالهم، ولم يشاءوا أن يعترفوا بخطاياهم. ولم يثقوا فى المخلص. والرسول بولس نفسه قد إرتكب هذا الخطأ. ففى فيلبى ٣:١-١١ يتحدث الرسول بولس عن تلك الأشياء التى كانت ربحا له عندما كان عبرانيا من العبرانيين، وفريسيا من الفريسيين. فبالنسبة للناموس كان بلا لوم، وكان الرسول بولس يفتخر بهذا. ولكنه اعترف بأنه قد فعل ذلك بجهل فى عدم إيمانه. لقد أساء اليهود فهم ناموسهم، وكانت هذه هى النقطة الرئيسية التى يبرزها الرسول بولس فى هذا القسم.

التبرير بالأعمال وبالإيمان

يكتب الرسول بولس فى رومية ١٠ : ٤ – ١٣:

> «لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن. لأن موسى يكتب فى البر الذى بالناموس إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها. وأما البر الذى بالإيمان فيقول هكذا: لاتقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى ليحدر المسيح؟ أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الأموات؟ لكن ماذا يقول: الكلمة قريبة منك، فى فمك وفى قلبك، أى كلمة الإيمان التى نكرز بها. لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت لأن القلب يؤمن به للبر والفم يُعترف به للخلاص. لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لايُخزى. لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى لأن رباً واحداً للجميع غنيا للجميع يدعون به. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص».

والنقطة الأولى التى يذكرها الرسول بولس هى أن المسيح هو غاية الناموس لكل من يؤمن. وكان هذا ليبين الله بره لكل من يؤمن. وهذه العبارة: «لأن غاية الناموس هى المسيح..» صادقة بشكل خاص فى ضوء أن خدمة الناموس قد انتهت. فالرب يسوع لم يقض على الناموس بمعنى أنه لم يعد يقرأ أو يُحب أن يُتخذ مثالاً لما يريد الله أن يحيا عليه الإنسان. ولكنه أنهى – على أية حال – خدمة الناموس. كانت خدمة الناموس هى أن يجعل الخطية معروفة، ومعروفة لما هى عليه. وكل ما قصد به من الناموس أن يفعله فى أن يجعل الخطية ونتائجها معروفة، تولى رعايته الصليب. فالصليب يجعلنى أعلم عن الخطية أكثر مما كان الناموس يستطيع. فقد يقول لى الناموس ماهو خطأ، بل قد يقول لى كم هو خاطئ، ولكنه لايقول لى موقف الله تجاه ماهو خطأ، فموقف الله من الخطية نراه فى الصليب.

زاوية كريما أساسا مؤسساً. من آمن لايهرب» فالنبى إشعياء يؤيد ويبرر الله فى أمر تبرير المؤمن. فنرى الله مبرراً فى عمله لفقرة العهد القديم التى يقتبسها الرسول بولس. وعندما كتب إشعياء هذه الكلمات ثم يقتبسها الرسول بولس، ففى فكر الإنسان يتبرر الله فى عمله.

التبرير بالإيمان للجميع (١٠ : ١٢ – ٢١)

فى رومية ١٠: ١٢، ١٣ يتوسع الرسول بولس فى موضوع التبرير بالإيمان، حيث يقول إنه لافرق بين اليهودى والأممى لأن رباً واحداً للجميع ويبارك بغنى كل من يدعوه، كما كتب النبى يوئيل: «ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو (يوئيل ٢:١٢). وهناك ثلاثة عبارات عظيمة فى ١٠:١٢، ١٣. **أولاً:** أنه لافرق، فالله لايميز بين اليهودى والأممى، والإيمان مازال مطلوبا من كليهما كما قد رأينا ويناقش الرسول بولس ماسبق أن ذكره فى رومية ٢:١٧ ويواصله فى ٣:٣١. **ثانيا:** هناك أيضا رب واحد غنى للجميع. **ثالثا:** هناك مطلب واحد، أن يدعو الجميع باسمه. فمرة أخرى لافرق، فلايهم من ابنه، إذ يمكن أن يقبلك الله، فلا مطلب آخر سوى الإيمان. وهذا هو السبب ذاته فى رفض اليهود، فقد رفضوا المسيح أولا لأنهم لم يروا أى حاجة بهم للخلاص ولأنهم أساءوا فهم ناموسهم.

حاجة البشر

لاحظ حاجة البشر فى رومية ١٠: ١٤ – ١٧ حيث يكتب الرسول بولس: فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون إن لم يرسلوا؟ كما هو مكتوب: ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات!

فحاجة البشر هى أن يدعوا الله. لقد قرأنا فى ١٠:١٣ ما أقتبسه من يوئيل ٢:٣٢ «كل من يدعو باسم الرب ينجو» وقد هتف داود كشخص مخلص للرب فى مز ١١٦:١٢، ١٣ : «ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لى؟ كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو» قال داود إنه سيحمد الرب لأجل خلاصه وإنه سيدعو الرب فى كل احتياجاته.

وشاول الطرسوسى، الذى أصبح الرسول بولس، قد تبكت على خطيته لاضطهاده الرب يسوع. وإذ كان ينوح فى مدينة دمشق، قيل لشخص اسمه حنانيا فى حلم أن يذهب إليه ويقول لشاول ما الذى عليه أن يفعله لكى يخلص (أعمال ٩:١٠ –١١٩). وفى أعمال ٢٢:١٦ سأل حنانيا شاول: والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعيا باسم الرب، ويكتب الرسول بولس

طاقة البشر. كانت كلمة الله أمام اليهود ليقبلوها، وهى أمامنا لنقبلها ككنز. إنه الإيمان بالله الذى يأتى من كلمتة، أننا نقبله ونكتنزه، وهذا يجعلنا نعلم أننا متبررون بالإيمان وليس بالأعمال.

الإيقان من التبرير بالإيمان

فى رومية ١٠:٩، ١٠ يقول الرسول بولس أن التبرير بالإيمان أمر يقينى، فهذا التبرير يحدث بالإيمان، والإيمان يصدر من القلب ويعترف به الفم. إنه الإيمان القلبى بأن الله قد أقام الرب يسوع من الأموات، هو الذى يأتى بالجواب الإلهى. قيل «فتخلص» فهذا هو الجواب الإلهى.

ما هو الاعتراف الذى يؤدى إلى الخلاص؟ الاعتراف بأن يسوع رب، فيقول الرسول بولس فى الرسالة إلى كولوسى ٢:٦ «فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه». فأنا أقبله رباً، وأسلك فيه كالرب، وأؤمن فى أعماق قلبى أن الله أقامه من الأموات. وقد اكتشفت فى رومية ٦:٣–٩ أن الذين آمنوا حاكوا ذلك الإيمان، وأظهر ذلك بتجاوبهم وطاعتهم للإيمان. فكما مات الرب يسوع ودفن وأقيم، فهكذا الذين آمنوا. ماتوا للذات، ودفنوا بالمعمودية، ثم أقيموا ليسلكوا فى طريقة جديدة للحياة عندما أقول بفمى أن يسوع رب هذا يتولى رعاية كل قراراتى من تلك اللحظة فصاعداً. فرغبتى الوحيدة هى أن أكتشف مايريده وأبادر إلى عمله بسرعة لأنه هو رب. إننى أؤمن أن الله قد أقامه من الأموت، ولذلك لا الحياة ولا الموت يبعثان أى خوف فى قلبى، فلم أعد أخشى الموت لأن هناك قبر فارغ. فطالما أن قبر الرب يسوع فارغ وطالما أنا اعترف بأنه رب، سأخلص.ويكرر رومية ١٠ : ١٠ كل هذا إذ يقول الرسول بولس : «أن الشخص يؤمن ثم يتبرر. إنه بالفم يعترف الشخص ويخلص». وليس هذا عمل مرة واحدة، فالرسول بولس لايتكلم عن مجرد الإيمان والاعتراف السابقين للغمر فى المسيح، ولكن مايتكلم عنه هو اعترافى المستمر وإيمانى الدائم. فأنا أؤمن باستمرار ولذلك فأنا مبرر على الدوام، وأنا اعترف على الدوام ولذلك فأنا مخلص على الدوام.

تأكيد التبرير بالإيمان

ويؤكد لى الرسول بولس ذلك فى رومية ١٠:١١، ويعمل هذا باقتباس من الأسفار المقدسة. فالرسول بولس يريدنى أن أعرف أن مايقوله مؤيد تبنأ به وأكده العهد القديم ويقتبس من إشعياء ٢٨:١٦ لذلك هكذا يقول السيد الرب: «هأنذا أؤسس فى صهيون حجراً حجر امتحان حجر

نتيجة رفض اليهود

وتُرى نتائج رفض اليهود ابتداء من رومية ١٠: ١٨–٢١: لكننى أقول ألعلهم لم يسمعوا. بلى إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم. لكننى أقول ألعل إسرائيل لم يعلم. أولا موسى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أغيظكم. ثم إشعياء يتجاسر ويقول «وجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى. أما من جهة إسرائيل فيقول طول النهار بسطت يدى إلى شعب معاند ومقاوم».

والسؤال هو : ألم يفهم إسرائيل؟ ويقتبس الرسول بولس قول موسى فى تثنية ٢:٣٢ مع اقتباس من إشعياء ١:٦٥ فإسرائيل مذنب. ولاحظ الرسول بولس يقتبس من مزمور ٤:١٩ فى رومية ١٨:١٠ . ففى الجزء الأول من ذلك المزمور قد أعلن الله نفسه فى الخليقة، وفى الجزء الأخير من ذلك المزمور أعلن الله نفسه فى كلمته، ولهذه الأسباب، يعلن كل من المزمور والرسول بولس أن الرسالة. قد وصلت إلى العالم، ولكن إسرائيل رفض الرسالة.

ثم فى رومية ١٩:١٠، ٢٠ يوضح الرسول بولس أن الرسالة وصلت إلى الأمم، ولكى يبرهن هذه النقطة، يقتبس الرسول بولس من التثنية ٢١:٣٢ ليبين أنه ليس الأمم فقط قد خلصوا بل أيضا ليبين قصد الله من نحو اليهود. لقد كان قصده أن يثيرهم للغيرة. ويقتبس الرسول بولس من إشعياء ١:٦٥ ليبين أن الله قد سر بخلاص الأمم. ولهذه الأسباب، يقول الرسول بولس فى ١٠ : ٢١ إن الله كان دائما يتوق لأن يخلص شعبه. ولكنهم كانوا شعبا معانداً ومقاوماً وعاصياً.

ماذا يقول هذا عن طبيعة الله؟ إنها نقول أن له صبرا عظيما. فانه يمد يده طوال النهار لو هناك حاجة. لكن ماذا يقول هذا عن طبيعة إسرائيل؟ يقول أنهم عصاة ومعاندون ضاع إسرائيل ليس بسبب قصد الله أو خطئه بل بالحرى بسبب عصيانهم للرب.

النتيجة

يذكر شئ واحد فى رومية ١٠، وليس هو الغرض الأول من الأصحاح، وهو الفكرة العظيمة للإرساليات المسيحية كما نراه فى رومية ١٤:١٠–١٧. فالله يريد أن يخلص الجميع بالدعاء باسمه، بالإيمان به والسمع عنه. وفى مكان آخر فى الكتاب المقدس توجد أربعة أسباب عظيمة لإرسال الإرساليات للكرازة.

فى ١بطرس ٣:٢١ «الماء الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية، لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح».. فالحاجة هى أن تدعو الله، ولكن كيف يمكنهم أن يدعو باسم الله مالم يؤمنوا بالرب يسوع المسيح؟ وهذا هو نفس ماقاله الرب يسوع نفسه أنه سيدين اليهود. فقد قال الرب يسوع فى يوحنا ٨:٢٤ فقلت لكم إنكم تموتون فى خطاياكم، لأنكم إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون فى خطاياكم» فيجب على اليهود أن يؤمنوا، يجب أن يضعوا كل ثقل إيمانهم الكامل فى المسيح إن كانوا يريدون أن يخلصوا.

ولكن كيف يمكنهم أن يؤمنوا بالمسيح؟ لقد قال الرب يسوع لليهود فى يوحنا ٦:٢٤–٤٧: «لا يقدر أحد يُقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. إنه مكتوب فى الأنبياء: ويكون الجميع معلمين من الله. فكل من سمع من الآب وتعلّم يُقبل إلىّ. ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذى من الله. هذا قد رأى الآب. الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فله حياة أبدية».

ولكى تستطيع أن تؤمن بالرب يسوع، أو أى شخص بخصوص هذا الأمر، يجب أن تسمع عنه. فلكى تؤمن بالرب يسوع. عليك تؤمن بقصة الإنجيل عن حياة الرب يسوع. ولكن كيف يسمعون إلا إذا سمعوا من شخص آخر؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا؟ وفيما يسمى الإرسالية العظمى، قال الرب يسوع: «إذهبوا إلى العالم أجمع وإكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها». (مرقس ١٦:١٥) ونشر هذا الإنجيل شئ جميل، فهو الخبر السار، فحاجة البشر هى أن يدعوا باسم الرب بالإيمان عن طريق سماع الإنجيل كما يكرز به الذين أُرسلوا.

تجاوب البشر

ثم نلاحظ تجاوب البشر وبخاصة تجاوب اليهود، ففى رومية ١٠:١٦، ١٧ يكتب الرسول بولس: «لكن ليس جميع اليهود قد أطاعوا الإنجيل، لأن أشعياء يقول: يارب من صدق خبرنا؟ إذا الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» لاحظ هنا الإشارة إلى إشعياء ٥٣:١ فقد تنبأ إشعياء عن رفض الخبر السار فكيف كان يمكن للإسرائيليين أن يقبلوا الخبر السار؟ كان يلزمهم أن يسمعوا كلمة المسيح فى الرسالة. ففى مرات كثيرة عندما نكرز، يسمع الناس الرسالة فقط، ولكنهم لايسمعون كلمة المسيح فى الرسالة. فيجب علينا أن نتأكد من أن رسالتنا فيها كلمة من المسيح. جاء الناس فى أيام إرميا إليه وسألوه أن يصلى للرب ليروا ما إذا كانت هناك كلمة منه (إرميا ٣٧:١٧، ٤٢:٢، ٢٠).

أولا: يوجد الأمر من فوق، قال الرب يسوع: «إذهبوا إلى العالم أجمع وإكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس ١٦:١٥) إنه طوعاً لهذا الأمر يلزم القيام بعمل الإرساليات.

ثانيا: هناك صراخ من أسفل، من الجحيم نفسه، فقد قال الرجل الغنى عن لعازر فى لوقا ١٦:٢٧: «أسألك إذاً ياأبت أن ترسله (لعازر) إلى بيت أبى»... فيلزمنا أن نرسل لعازر... الحى إلى بيوت الأغبياء.

ثالثا : هناك دعوة من الخارج، من مدينة ترواس. لقد سمع الرسول بولس الصرخة: «اعبر إلى مكدونية وأعنا» (أع ١٦:٩) فالناس فى كل العالم يصرخون اليوم.

رابعا: هناك انحصار من الداخل، فيقول الرسول بولس: «لأن محبة المسيح تحصرنا. إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا» (٢كورنثوس ٥:١٤).

إنها إرادة الله، إنها قلب الرب يسوع، إنها حث الروح القدس، إنها محبة المسيح التى يجبرنا أن نذهب لنخبر الآخرين برسالة المسيح الحلوة: فالعالم هالك مثلما كانت الأمة الإسرائيلية. وهم هالكون ليس برغبة الله ولا بإرادته بل هم هالكون برغبتهم وإرادتهم. ويجب علينا أن نشركهم برسالة الرب يسوع المخلصة. وأرجو أن تكون أنت قد وجدت هذا الخلاص، وأرجو أن تكون قد وجدت السلام بإيمانك به.

الفصل الرابع عشر

امتياز القداسة

رومية ٨ : ١٢ - ١٧

مراجعة ومقدمة

يلزمنا لبدء هذا الفصل مراجعة ماسبق أن درسناه سابقاً، فإذا لم نكن نعرف أين نحن عندما ندرس الرسالة إلى رومية جزءاً صغيراً بعد جزء، فقد نجد أن قسما لا ينسجم كما ينبغى، وهكذا يجب علينا أن نستغرق وقتا فى بداية الأصحاح للعودة إلى الوراء إلى البداية للوصول إلى الذروة التى قصدها الرسول بولس.

ففى رومية ١٦:١–١٧ يلخص الرسول بولس موضوع الرسالة حيث يعلن أنه لا يستحى بإنجيل المسيح. ويذكر حقيقة أن الإنجيل هو قوة الله للخلاص وأنه يعلن بر الله ثم مباشرة يناقش طبيعة الإنسان الفاجرة. ويقول إنه ليس هناك شئ يمتلكه الإنسان أو يعرفه أو يستطيع أن يفعله لينقذه من حالة الفجور هذه. ويقول ببساطة إن كل فلسفات الإنسان إنما تزيد من الدينونة يذكر أن الممارسات الدينية فقط تزيد من الدينونة لأن الناس يتعدون على نظام الشريعة الذى تقوم عليه الديانة. ويختم بالقول أن كل البشر تحت الخطية ولايمكنهم أن يخلصوا من تلك الخطية بجهودهم أو ديانتهم أو أدبياتهم.

ثم يبدأ فى رومية ٢١:٣ بمناقشة مافعله الله، فيقول إن الله أتى ببر إلى العالم بموت المسيح، إنه بر لا علاقة له بالناموس، إنه بر بالإيمان بالمسيح، إنه بر بدون أى جهد بشرى أو مشاركة بشرية، وإنه بر حدث ودفع ثمنه بالفداء الذى صنعه المسيح على الصليب. وهذا يستبعد كل افتخار بالناموس، والممارسات الدينية والأدبيات والتعليم أو أى شئ آخر يقول الإنسان إنه له.

ثم يبين الرسول بولس من العهد القديم اختبارات إبراهيم إن هذه هى الطريقة التى قصد الله على الدوام أن يتعامل بها مع الإنسان. لقد تبرر إبراهيم بإيمانه بكلمة الله التى قالها له، بملاحظته لمواعيد الله وبتسليم نفسه لله. لقد تبرر بالخطوات التى اتخذها إيمانه. ويوضح الرسول بولس فى الأصحاح الخامس أن هذا البر الذى نستطيع أن نشارك فيه إبراهيم شئ دائم، ودوامه يؤكده موت المسيح، وحسبان ذلك الموت لحياتنا، وهذا يأتى بالسلام والراحة والحياة لنفوسنا.

بيّن الرسول بولس فى الأصحاح الخامس أن كل شئ فى العالم لُعن بسبب آدم، قد تم فداؤه بيسوع وقد أثار هذا اعتراضات، بالطبع، من أذهان الناس. والرسول بولس فى مناقشته لتعليم التقديس، يفند كل الاعتراضات التى يمكن أن تكون عند الإنسان. فهذه الطريقة لتبرير الإنسان بالإيمان لاتشجع على الخطية، بل فى الحقيقة يقول الرسول بولس إن موتنا مع

أبيض

لنعد إلى الآية ١٢ ونقرأ مرة أخرى: «فإذاً أيها الأخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد» فمديونيتنا هى للروح الذى به أمتنا أعمال الجسد الرديئة. لقد تحررنا. «وتحررنا» كلمة جميلة، لقد أطلقنا أحراراً بالصليب، من اتحادنا بالطبيعة العتيقة. وهذا ما هتف به الأصحاحان السادس والسابع عاليا. لقد تحررنا بروح الله من الجسد، فهذا ما أعلنه بقوة رومية ٨:١-١١. لم نستفد أية فائدة من الجسد، ولسنا مديونين له بشئ لنطيعه. وهذا يعنى ببساطة أنه عندما يأتى الجسد ليطلب شيئا منا، نستطيع أن نقول للجسد : «أنا غير مدين لك بشئ. أنا لست مدينا لك. لا استمد أية فائدة منك. أنت لاتفعل خيراً لى. لم تأت بشئ صالح لحياتى. أننى غير مدين لك بشئ».

كثيرون منا يقعون فى ديون. نشترى سيارة أو بيتا أو شيئا ندفع ثمنه على فترة من الزمن. ولأننا مدينون لأحدهم ولانستطيع أن ندفع ما علينا دفعة واحدة، فأننا نشتغل لأجلهم فترة من الزمن لنسدد الدين الذى نحن مدينون به لهم. بطريقة ما علينا أن نسدد ذلك الدين. والاحساس بدفع ذلك الدين احساس جميل. وسواء كنا نعمل عند الشخص الذى نحن مدينون له، أو نعمل فى مكان آخر للحصول على المال لسداد الدين. فطالما الدين موجود فلابد من الاحساس بالالتزام، فقانونيا وروحيا وكتابيا لابد من دفع الدين لأن الكتاب المقدس يقول: «لاتكونوا مديونين لأحد بشئ إلا بأن يحب بعضكم بعضاً» (رومية ١٣:٨). وعندما يحل موعد الدفع، فمن حق الدائنين أن يطلبوا سداد الدين، فإذا لم يسدد فمن حقهم أن يقولوا لى: «لماذا لم تسدد ذلك الدين؟».

بالمثل كنت فى وقت من الأوقات مديونا بشدة للجسد، ولم يكن ذلك بسبب أى شئ فعله الله، بل بسبب مافعلته أنا. وكما درسنا سابقا فى هذه الرسالة. لقد وضعت نفسى فى خطر، لقد وضعت نفسى تماما تحت سلطان الشيطان. لقد ملأ الجسد حياتى، وكانت الشهوات الجسدية هى ما أرغب فيه، لذلك عندما جاء الجسد بالكمبيالة واجبة السداد، كان على أن أدفعها. ولكننى لم أستطع دفع ذلك الدين، وعوضا عن ذلك دفع الرب يسوع نيابة عنى. دفع الدين كله. ومازلت مدينا ولكن الدين لروح الله. فلم أعد مديونا للجسد، فالجسد لم ينفعنى بشئ، ولم يمنحنى الجسد شيئا. لقد إفتديت من تلك المديونية، وأصبحت الآن مديونا لروح الله.

حياة جديدة

يغير رومية ٨ : ١٣ مجرى التفكير من مديونيتى إلى حياتى الجديدة. فيكتب الرسول بولس فى ٨:١٣ «لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد

المسيح، ودفننا مع المسيح، وقيامتنا مع المسيح، وسيرنا مع المسيح تجعل فكرة الاتحاد المتجدد بالخطية لايتفق اطلاقا مع نعمة الله.

ويناقش الرسول بولس فى الأصحاح السادس أن هذه الطريقة من خلاص الإنسان بالإيمان لم تسمح بالخطية، فهى لم تُعط الناس تصريحا لارتكاب الخطية. فهو يقول إنه لامعنى إطلاقا أن الذين قد تحرروا من السيد القديم (الخطية) وقد تحرروا من الإنسان العتيق (الجسد) يمكن أن يريدوا أن يعودوا لهذا الاتحاد مرة أخرى.

ثم فكر الرسول بولس فى حقيقة الصراع غير المتكافئ الذى كان له تحت الناموس، فهو يكتب الأصحاح السابع ابتداء من الآية الرابعة عشر، فيبين استحالة أن تستطيع جهود الإنسان أن تنقذه من هذا الصراع غير المتكافئ الذى يحتدم بين روحه وجسده. فلم يكن قادرا على الخلاص برغم أنه كان يعرف ناموس الله، وجود الله وطبيعة الله، فكل ذلك لم يكن كافيا لانقاذه من طريق الفجور، فوجد نفسه يصرخ فى يأس يكاد يكون مطلقا، فى ٢٤:٧: «ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت؟» وفى الاجابة على ذلك السؤال، يهتف الأصحاح الثامن بصوت عالى: «المسيح سينقذ! الله سينقذ.. بقوة روح الله».

مديونية جديدة

بعد مناقشة الصفات المميزة التى تشكل الحياة المتجددة فى ٨ : ١-١١ تأتى الوصية بالعيشة حسب ذلك لاحظ أن كل هذا الجزء سيسود عليه فكر روح الله القدوس، الروح القدس الذى به يتجدد الشخص والذى به تصبح الحياة المنتصرة ممكنة.

وبداية من العدد الثانى عشر نتكلم عن مديونيتنا لروح الله. ويجب أن نتذكر أن هذا الجزء يتناول الامتيازات التى لنا فى المسيح، وأول هذه الامتيازات هو مديونية جديدة، إقرأ رومية ١٢:٨-١٧ يقول الرسول بولس:

> «فإذاً أيها الأخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضا ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضا معه».

توجيه جديد

يتكلم الرسول بولس فى ١٤:٨ عن توجيه جديد وهنا امتياز عظيم لمن هو ابن لله، فالآية ١٤ تقول: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله». من هم أبناء الله؟ إنهم الذين ينقادون «بروح الله»، فطالما نتبع قيادة الروح، فإننا نتحقق ونثبت بنوتنا الإلهية وقيادة الروح هذه ليست مجرد تأثير قوة، ولكنها فعل شخصى محدد يشكل علاقتنا الكاملة بروح الله.

لاحظ بعض النصوص الأخرى التى يتكلم فيها الرسول بولس عن الانقياد بروح الله، ففى غلاطية ٥ نجد أن نتيجة الانقياد بالروح الحرية، النضج، الإثمار والخلاص. وماهو الانقياد بروح الله؟ الانقياد بروح الله هو مثل الانقياد بالجسد أو الانقياد بأى شئ آخر. فأن تنقاد لشخص ما، عليك أن تعرف مايريدمج، وهكذا علينا أن نكتشف مايريدنا روح الله أن نعمله. وأن تنقاد للبعض عليك أيضا أن ترى مثالهم. فالانقياد يقتضى تعليما ومثالاً. وروح الله يعلمنا عندما نقرأ فى كلمته ماذا يريد من شعب الله أن يفعلوه. كما يعلمنا روح الله أيضا عندما نلاحظ مثال الممتلئين بالروح والمنقادين بالروح فعندما ألاحظ حياة الرب يسوع وأحاكيه، فهذا انقياد بالروح، وعندما ألاحظ حياة الرسول بولس وأتبعه فهذا انقياد بالروح، وعندما ألاحظ حياة تيموثاوس أو أبفرودتس وهما يحاكيان حياة الرسول بولس الذى بدوره يحاكى حياة المسيح، والذى بدوره ينقاد بالروح، فأنا أيضا أكون منقاداً بالروح (فيلبى ١٩:٢-٣٠).

يريد كثيرون من الناس أن ينقادوا بالروح، ولكنهم لايريدون أن يدرسوا كلمة الله. وهذا مستحيل ويريد كثيرون من الناس أن ينقادوا بالروح ويحفظون عن ظهر قلب كلمة الله ولكنهم لايحاكون حياة المسيح، وهذا أيضا مستحيل. فلكى أكون منقاداً بالروح، يجب أن أكون منقاداً بتعليمه ومثاله، فهؤلاء هم أبناء الله. كيف أعرف أبناء الله على الأرض؟ أعرفهم برؤية أولئك المنقادين لروح الله. فهؤلاء هم الذين قد ولدوا من الله.

اختبار جديد

يتحدث الرسول بولس فى رومية ١٥:٨ عن اختبار وشهادة الروح. فاختبار الروح هو امتياز عظيم آخر فيكتب الرسول بولس: «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب» وهذا معناه أن أى شئ يُعرّض المؤمن للخوف

فستحيون...» فالجسد الذى هو الطبيعة الخاطئة للإنسان لايمكن القضاء عليه فى هذه الحياة، والأعمال التى تصدر عنه يمكن إماتتها، وعلى أية حال، لايمكن إماتتها إلا بروح الله. ومن الهام لحياتى الروحية أن أتذكر أن الجسد مازال فىّ، وهو مازال خطيراً جداً ولكن طريقة التعامل معه، هى القضاء عليه مرة واحدة، ولايمكن القضاء عليه إلا بالإماتة الدائمة. فإذا قرأت كولوسى ٣، وأفسس ٤ وغلاطية ٥ أو إذا رجعت إلى رومية ١، فستجد وصفا شاملاً للجسد، ووصية الله هى: «أميتوه، أخلعوه والبسوا ثوب المسيح الجديد الذى هو الحياة الجديدة التى يريدنا المسيح أن نحياها.

ومن الهام لنا أن نلاحظ أن هنا أول إشارة فى هذه الرسالة إلى الخطوة العملية للحياة الجديدة. فإلى الآن كان الرسول بولس قد تعامل أساساً مع التغيير الذى يحدث من العتيق إلى الجديد، ولكن هنا التغيير قد أثر فى الطبيعة، والطبيعة أثرت فى السلوك، ففى هذا الجزء يتعامل مع الطريقة التى يجب علىّ أن أعيشها بسبب ما قد فعله الرب يسوع. فهو لايتكلم عن تبنى، فقد سبق أن تعامل مع هذا الموضوع. فأنا أعلم أننى مدين لروح الله وليس للجسد. وهنا سيتكلم عن واجبى، وبعبارة أخرى: الطريقة التى علىّ أن أعيشها، ليس حسب الجسد. ولكن حسب روح الله.

وسيحاول الجسد أن يسحق الروح وأن يكبح الخطية الساكنة بقوة الإرادة المطلقة، ولايمكن أن ينتهى هذا إلا بكارثة كما قد أوضح الأصحاح السابع. فهناك رأينا الإنسان الذى كان يسعى لكبح جماح الخطية بقوة إرادته، فقد نظر إلى ناموس الله وقال : «هذا جيد، هذا ما أريد أن أفعله»، فوصل إلى أعماق نفسه بحثا عن قوة الإرادة، عن القدرة البشرية القوية التى تقول: «سأفعل ذلك، ولن أفعل ذلك» ولكنها لاتستطيع أن تفعل شيئا أبداً. إن قوة العاطفة الجديدة هى التى تستطيع أنجاز العمل، وجود روح الله فى القلب. وبهذا تصبح النصرة ليست ممكنة فقط، بل بالحرى سهلة ومتعزر اجتنابها تماما.

فالحب فى الواقع له من القوة أكثر مما للناموس. أنا لى محبة جديدة، هى محبة الله، هى المحبة لروحه، المحبة لأبنه، المحبة لكتابه، والمحبة لشعبه. فقد حلت محل محبة الجسد القديمة للعالم، التى قد طردتها محبة جديدة. وعندما تملأ المحبة القلب، لايبقى مكان لشئ آخر. فعندما تحب الله من كل قلبك ونفسك وفكرك وإرادتك وقوتك، فلا مكان لأى نوع آخر من المحبة. وهذه هى الطريقة التى يجب أن تغلب بها الخطية. فلايمكن التغلب عليها بإدراكنا للدين الجديد بل بامتلاك حياة جديدة. نعم ستصبح علىّ مديونية جديدة، وهى لله ولروح الله. وقد أصبحت لى حياة جديدة، روح الله القدوس.

ميراث جديد

ونجد آخر إمتياز للقداسة فى ١٧:٨، فيكتب الرسول بولس: «فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضا ورثة الله ووارثون مع المسيح، إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضا معه».

لاحظ التسلسل: أولاد، ورثة، ورثة الله، ووارثون مع المسيح. فالرسول بولس يذكر بكل وضوح وجلاء معنى أن نكون أبناء الله. فنحن أبناء الله لأننا قد ولدنا فى العائلة، ولكننا أولاد الله أيضا لأنه قد تبنانا حسب قصد مشيئته. ونحن ورثة الله ووارثون مع المسيح.

«ووارثون مع» تتضمن المساواة، ويسوع يستحق نصيبا مضاعفا لأنه الإبن البكر، ولكن هذا لايعنى شيئا بالنسبة له، بل حتى امتلاك مجد أبدى لم يكن همه الرئيسى. فقد ضحى بكل ذلك وأصبح مساويا لنا لكى نصبح نحن مساوين له. فنحن ورثة معه، نحن وارثون مع يسوع. والوارث يرث مايمتلكه أبوه. وهذا ما سنحصل عليه أنت وأنا فإن كنا أولاد الله فإننا نرث مايمتلكه الأب.

والنقطة الجميلة فى هذه الآية أننا سنرث بالتساوى مع الرب يسوع. وأغلب الوصايا تتضمن شروطا مثل هذه الوصية «إن كنا نتألم معه فسنملك معه فى المجد.. فالتركة هى الوراثة والمُلك مع الله. والشرط الوحيد هو أن نتألم ونشترك فى آلام يسوع. وماذا كانت آلامه؟ لا أظن أنها الصليب بقدر ما أدى إلى الصليب. لقد كانت حقيقة أنه كان على قلبه وفى فكره حالة ضياع البشرية. فالألم الذى علينا أن نحتمله هو عالم ضائع واحتياجه.

خاتمة

وإذ نختم هذا الفصل، لنرجع إلى هذه الآيات ونرى خمسة أشياء تذكرها:

الأول: أن لى مركز جديد، فلم أعد مديونا للجسد، أصبحت لى قوة جديدة، الروح القدس الذى يمنحنى روحا جديدة وموقفا جديدا.

ثانيا: لى علاقة جديدة، فالله أبى، ويالها من كلمة جميلة، كلمة تستلزم دراستها ساعة، بل يوما، بل أسبوعا، بل سنة...

ثالثا: أنا من عائلة الله. مرة أخرى، الله هو أبى، والأب ملتزم برعاية أولاده وحمايتهم وتغذيتهم. وكالخالق لكل العالم قد ألزم نفسه.

والعبودية لايمكن أن يكون عمل الروح القدس. فأى شئ يتضمن موقف أو روح خوف أو عبودية إما أنه نابع من قلبى عن عدم إيمان أو كتجربة من الشرير، فقد قال الرسول بولس لتيموثاوس فى ٢تيموثاوس ١:٧ «إن الله لم يعطينا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» فهذا هو الروح الذى يعطيه الله.

يجد بعض الناس صعوبة عندما يقارنون بين يوحنا ٣:١-٢١ حيث يقول الرب يسوع إننا أبناء الله بفضل الولادة الجديدة، وغلاطية ٤ حيث يقول الرسول بولس إننا أبناء الله بالتبنى. فالولادة بالتجديد تشير إلى علاقتنا واتحاد طبيعتنا بالله، والتبنى يشير إلى مركزنا وإمتيازنا كورثة، والإثنان متكاملان ويشيران إلى بنوتنا الإلهية. فنحن قد وُلدنا فى العائلة بروح الله، ونلنا التبنى فى العائلة بروح الله. لقد ولدنا كأبناء ونلنا التبنى كورثة.

شاهد جديد

يتعامل الرسول بولس فى رومية ٨:١٦ مع الامتياز الخامس للقداسة شهادة الروح القدس، فيكتب الرسول بولس : «الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا (فى الترجمات الإنجليزية: «يشهد مع أرواحنا») إننا أولاد الله» لذلك يقول الكاتب: لاحظ أن شهادة الروح هنا ليست لروحنا بل مع روحنا ويقول الرسول بولس فى غلاطية ٤:٦ «بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب». فالروح يصرخ «يا أبا الآب» وماذا يقول روحنا؟ «يا أبا الآب»، وهكذا نجد شهادة مزدوجة بأننا أبناء الله، شهادة الروح القدس وشهادة روحنا .

ويقول الكتاب المقدس إنه «على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة» (متى ١٨:١٦، تثنية ١٧:٦، ١٩:١٥، يوحنا ٨:١٧). فالله قد عرف فعلا أننى ابنه، وقد صرخت «يا أبا الآب»، وصرخ الروح «يا أبا الآب» والمسيح لايستحى أن يدعونا إخوة، فلدى الدليل الوافى على أننى ابن لله.

وكلمة «أبا» وراءها مفهوم جميل، فهى كلمة طفل، فهى أول كلمة يمكن أن يستخدمها طفل عندما يخبر أباه، (بابا) فيقول «أبا». فكلمة «أب» هى كلمة الشخص البالغ الذى يرى ويعرف العلاقة العميقة على مدى السنين. كما أنها كلمة الشخص البالغ الذى ينظر إلى شخص آخر بالغ ويقول: «إننا أقرباء، إننا متشابهان، إننا من نفس الأسرة وهكذا من أول كلمة ينطق بها الطفل إلى آخر كلمة ينطق بها ابن بالغ، نحن أبناء الله. وهذا امتياز عظيم.

رابعا: لقد تبنانى أبنا له. هل أنا متأكد؟ نعم لأن هناك شاهد جديد، الروح القدس الذى يصرخ مع روحى: «يا أبا الآب». إننى أتمسك بهذا الاتحاد بالله، أتمسك أنه قد تبنانى، وألجأ إليه فى كل احتياجات حياتى، فى كل ضعفاتى. هو قوتى، فى كل جوعى، هو طعامى، فى كل احتياجاتى، هو مؤونتى، ولدى الإثبات لذلك، لدى البرهان ليس فقط فى صليب المسيح وفى محبة الله، بل فى صراخ وشهادة روح الله.

خامساً : هناك ميراث جديد مع الله، فأنا وارث لله، ووارث مع المسيح فى كل مايرثه المسيح. هذه الامتيازات هى الأسباب العظيمة لأن نحب الرب إلهنا. هى أسباب عظيمة لرفض الشهوات والمطالب التى يطلبها منا الجسد. هذه امتيازات عظيمة من الله ليمنحنا السلام الذى نحن فى حاجة إليه فى وسط صراع العالم. أرجو أن تكون هذه الامتيازات لها نفس التقدير الكبير الذى لها عندى. فعندما تفكر فيها فى الأيام والسنين القادمة، ليتها تمنحك سلاما عظيما وفرحاً بالإيمان بيسوع المسيح.

الفصل الخامس عشر

حوافز القداسة

رومية ٨ : ١٨ - ٣٠

مراجعة ومقدمة

إن شرط الألم للحصول على المجد قد وُضع فى رومية ١٧:٨. وفى رومية ٣:٥ قد أرانا الرسول بولس أن الضيق لايمكن أن يؤدى بالمؤمن إلى العار. وهو الآن يفصل هذا الفكر ويعلمنا بأنه مع أن حياتنا فى المسيح مطوقة بالألم بل وبالموت، فإن النتيجة الحتمية لكل هذا الألم والموت هى المجد. فالمؤمن المتألم إنما هو يتبع مثال السيد. فكما كان الأمر مع السيد، هكذا سيكون مع التابع.

الألم يؤدى إلى المجد

فالمجد هو الفكرة فى ١٨:٨-٣٠، فيبدأ «بالمجد» ويختم «بالمجد» ويسجل هذا الجزء أسبابا عديدة لماذا سيؤدى الألم إلى المجد. وعندما نتأمل فى هذه الأسباب، لنبدأ بقراءة ١٨:٨-٢٥ حيث يناقش الرسول بولس العظمة الفائقة للمجد الآتى. وهى قراءة طويلة، ولكن بعد أن نقرأها سنناقش نقطتين رئيسيتين، فيكتب الرسول بولس:

> «فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله – إذ أُخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها، على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضا ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن، وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا، لأننا بالرجاء خلصنا، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء: لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضا. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر».

لاحظ أول كل شئ النظر إلى العظمة الفائقة للمجد العتيد الذى يعقد الرسول بولس مقارناته به. ففى ١٧:٨ توجد مزاملة للألم والمجد، فيقول الرسول بولس بكل بساطة إننا إذا اشتركنا فى آلامه، فسنشاركه فى مجده. فإذا كان علينا أن نتألم معه، فسنتمجد أيضا معه. فشركتنا مع المسيح هى شركة واحدة فى الألم وفى المجد. فإحداهما حقيقة مثل الأخرى تماماً.

المجد أرجح وزنا من الألم

لذلك فعندما نتألم، ينبغى ألا نظن أن ذلك سينقص من المجد، بل بالحرى هو شرط للمجد، فهو الطريق التى يجب أن يسير فيها المؤمن ليصل إلى المكان المسمى المجد. ففى الجزء

أبيض

فكل شئ يشير إلى الحقيقة أن حالة الكون الحاضرة ليست هى التى كانت فى البداية وليست كما ستكون أخيراً. فهذه الحالة التى أحدثتها الخطية هى من الواضح برهان عن المجد الذى مازال ينتظر الخليقة. وهذا أمر يصعب فهمه، ولكن الخليقة نفسها الجزء غير الحى فيها، الجزء الذى لايفكر منها والجزء غير المؤمن منها، قد أُخضع للبطل، ليس لأنه أراد ذلك، بل لأن الله أراده كذلك، ليكون شهادة عن المجد العتيد أى الآتى الذى ينتظر المؤمن.

موقف المؤمن

موقف المؤمن فى ٨ : ٢٣–٢٥ هو التأكيد الثانى. فمن الواضح جداً أن الخليقة متميزة عن المسيحيين. فالإشارات الأربع للخليقة لاتشير إطلاقا إلى المسيحيين، بل إلى المكونات المنظورة من السماء والأرض باستثناء المسيحى على الأقل، ويمكن كل الجنس البشرى. فالخليقة نفسها قد لُعنت بسبب الخطية وتتوقع فداءها.

وليست الخليقة فقط تئن للمستقبل، بل المؤمنون يئنون ويتوقون إلى قيامة الجسد، فهذا هو فداؤهم النهائى. إقرأ ٢٣:٨ مرة أخرى: «وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا». هذا هو الرجاء الذى به خلصنا. فخلاصنا شئ حاضر وكامل فيما يتعلق بالنجاة من الذنب ودينونة الخطية. ولكن خلاصنا مازال مستقبلا بالنسبة للنجاة الكاملة من وجود الخطية. فنحن سنتحرر من وجود الخطية فى حياتنا عندما نكون فى ذلك الجسد المقام، عندما يصبح لنا الجسد الذى قد ضمنه المسيح لنا.

ونقرأ فى ٨ : ٢٤، ٢٥: «لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ماينظره أحد كيف يرجوه أيضا. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر» ما هو سر الاحتمال بصبر؟ ماهو سر الاستمرار؟ ماهو الحافز الذى يعطيه لنظل قديسين ونحيا حياة مقدسة؟ الحافز هو الجسد الذى ينتظرنا، الجسد المقام الجسد الشبيه بجسد الرب يسوع. وهنا نجد الحاجة إلى مُذكّر. فأمامنا مستقبل عظيم، وحيث أن لنا ذلك فإننا سنحتمل، ونستطيع أن نحتمل. ويجب أن نحتمل كل ما يأتى علينا. فالعظمة الفائقة للمجد العتيد حافز قوى لأن نعيش قديسين.

وفى ٨ : ٢٦–٣٠ مازال الرسول بولس مشغولاً بفكرة المجد العتيد والأكيد، ويقدم الأسباب لشعوره بالثقة فى أن المجد محتم مثل الألم. وقد سبق أن قدم تأكيدين بالاستشهاد بالخليقة فى موقف المؤمنين.

الأول من الآية ١٨، يتحدث الرسول بولس عن التفاوت الكبير بين الألم والمجد وفى الترجمة الأمريكية يقول: لأنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لاتستحق أن تقارن بالمجد الذى سيستعلن فينا». فكفة الميزان بالمجد سترجح جداً كفة ميزان الألم. ففى الواقع لا وجه للمقارنة بينهما.

ففى ٢كورنثوس ٤:١٦–١٨ توجد مناقشة لنفس الأمر، ولكنها تعطينا تفاصيل أكثر قليلاً، فيكتب الرسول بولس:

«لذلك لانفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً، لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديا. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى بل إلى التى لاترى. لأن التى تُرى وقتية وأما التى لاتُرى فأبدية».

فيقول الرسول بولس إننا خارجيا نفنى، ولكن داخليا نتجدد يوماً فيوماً. ثم يتكلم عن المتاعب والضيقات فيقول أمرين: إنها خفيفة ووقتية. ثم يقول أن أمرين سينتجان عن ذلك: إنها تعمل أكثر فأكثر ثقل مجد أبدى. فالضيقات خفيفة ووقتية. أما المجد فأبدى وثقيل، فلا وجه للمقارنة بينهما.

أحيانا يذهب الناس إلى مكتب مشير، وفيما هم يتحدثون عن متاعبهم، قد يشعرون بأن المشير لايتعاطف مع متاعبهم بالكامل، وربما يقولون: «أنت لاتعرف شيئا عن آلامى» وقد يقول المشير: «أنت على حق، فأنا لا أعرفها كما تعرفها أنت. ولكننى أعلم شيئين عنها: الأول: إنها ليست ثقيلة جداً، وثانيا: إنها لن تستمر طويلا عندما تقارنها بمالك فى المسيح. ثم بداية من الجزء الأخير من الآية ١٨، يتكلم الرسول بولس عن يقينية أن هذه الآلام سيعقبها المجد، فيقول: «المجد الذى سيستعلن فينا» وهذه العبارة فى اللغة الأصلية (اليونانية) تتضمن اليقين الكامل بالمجد، الذى سيستعلن بكل جماله للذين يتألمون مع المسيح لايوجد ريب. أن آية آلام يتحملها الشخص لأجل المسيح أو نيابة عن المسيح ستؤول بلا أدنى شك للمجد.

الاستشهاد بالخليقة

وفى ٨:١٩–٢٥ يؤكد الرسول بولس حقيقة أن الألم سيؤدى إلى المجد. أولا، يرجع إلى الخليقة. فنقرأ أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً متوقعة النجاة. فهذا المجد يُنتظر بشوق شديد حتى من الخليقة غير العاقلة التى تتوق إلى الاستعلان الكامل لأبناء الله.

فالخليقة ليست على حالتها الأصلية قبل أن تخضعها الخطية للبطل. والخليقة لم تتخذ قرارا عقلانيا، ولكنها أُخضعت للبطل، أخضعها الله على رجاء أن تعتق الخليقة من كل فساد.

أو فى حالة الملكية، فالرسول بولس يقول إن الروح القدس يشفع لأجل أناتنا التى لاتستطيع الكلمات أن تعبر عنها. فهناك أوقات تبلغ بنا السعادة مبلغا لانستطيع معه التعبير عن سعادتنا بكلمات فى الصلاة، وفى أوقات أخرى يبلغ بنا الحزن مبلغا نعجز معه عن التعبير عن أنفسنا، فهناك إحساس داخلى، أنين داخلى من الفرح أو من العجز واليأس والقنوط. وفى تلك اللحظة، عندما أكون فى هذه الدرجة من الضعف، يكون الروح قويا، وعندما لا أستطيع أن أتكلم، هو يتكلم. عندما لا أستطيع أن أفكر فيما أقوله، هو يفكر فيما يجب أن يقال فهو يشفع فى مايقول أمام محكمة الله «هذا مايحاول ابنك أن يقوله» فأنا أعلم أن الله يعلم هذا مسبقا، ولكنه مع ذلك يشفع لأنه يريد ذلك، فهو يحبنى، فليس الله وحده هو الذى يحبنى، وليس الرب يسوع فقط هو الذى يحبنى، بل روح الله القدوس يحبنى أيضا ويريد أن يساعدنى على حمل ما لا أستطيع حمله وحدى. هذا حافز عظيم لأظل أمينا. هذا حافز عظيم حتى عندما أكون قد وصلت إلى نهاية قدرتى على الكلام، وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أئن فى داخلى. إنها لتعزية عظيمة وحافز قوى أن أعرف أنه فى تلك اللحظة يبدأ الروح القدس فى الكلام نيابة عنى. هذا هو عمل الله العظيم بالروح القدس.

عمل عناية الله

ثم يقرر الرسول بولس شيئا ما فى ٢٨:٨ نعرفه جيداً، فيكتب: «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده» هذا أمر عظيم! هنا حقيقة عمل مستمر. ونرى هذا فى حقيقة أن كلمة «يعمل» فى اليونانية فى صيغة المضارع المؤكد، وهى الصيغة اليونانية للقول: «إنها تظل تعمل» فيمكن قراءتها: أننا نعلم أنه فى كل الأمور «يعمل الله دائما» فالله دائما يعمل وهذا ماقاله الرب يسوع عندما بكّتوه على عمل الخير فى يوم السبت فقال: «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يوحنا ١٧:٥). يريد الرب يسوع أن يقول لنا ألا نظن أنه فى أيام السبت يترك الله العمل إنه ترك عملية الخلق فقط، ولكنه لم يترك عمله فى العناية بالعالم وحفظ الكون متماسكا. لم يترك عمله فى العناية باحتياجات آدم وحواء. لم يترك عمله فى الاصغاء لترانيم الملائكة. لقد ترك عمل الخلق. فالله دائما عامل. واقتداء بالله أنت تعمل، فالله دائما يعمل.

فهناك حقيقة العمل الدائم، ولكن هناك أيضا حقيقة شمولية هذا العمل. وهذا واضح فى الكلمات: «يجعل كل الأشياء تعمل معاً. فالمسيحى الحقيقى يرفض التفكير فى أن هناك شيئا

شفاعة الروح القدس

وهناك ثلاثة براهين أخرى لاستكمال البحث. أولهما هو شفاعة الروح القدس فى رومية ٨:٢٦، ٢٧، حيث يكتب الرسول:

«وكذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم مانصلى لأجله كما ينبغى، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لاينطق بها. ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ماهو اهتمام الروح. لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين».

ففى وسط الآلام الحاضرة، فإن الروح الساكن فينا يفعل أكثر من أن يبعث فينا الرجاء، فهو فعلا يعيننا فى حيرتنا لعدم معرفتنا كيف نصلى أو ماذا نصلى. وكلمة «يقين» كلمة مدهشة للغاية وهى لاترد إلا هنا وفى لوقا ١٠:٤٠ حيث تقول مرثا للرب يسوع: «قل لها أن تعيننى» فالكلمة تتضمن المساعدة ضد كل معارضة. ولكن الكلمة فى صيغتها الأصلية شيقة لدرجة أنه ليلزمنا بعض الوقت لدراستها.

فالكلمة «يقين» فى اليونانية كلمة معقدة، ففى لوقا ١٠:٤٠ يمكن ترجمة العبارة حرفيا: «أمرها أن تقف مقابلى، ونقوم نحن الإثنان بالعمل» أليس هذا فكراً غريبا؟ روح الله يقف على الجانب الآخر، مقابلى، ويقوم معى بالرفع والحمل. فأنا وحدى لا أستطيع أن أقوم بالعمل. وهو وحده يستطيع أن يقوم به كله، ولكنه لايؤديه كله، بل يساعدنى. فهو مازال يريدنى المشاركة فى بذل هذا الجهد. لقد وعد الله أن روحه سيكون مقابلى عندما أحاول رفع هذا الحمل الذى هو أثقل جداً من أن أستطيع حمله، فهو سيساعدنى. فهو معى سيرفع ويحمل، ولهذا السبب نسمى هذا العمل: «شفاعة» فالآن، بشكل خاص، يقف الروح القدس على الجانب الآخر، وهو معى يحمل ضعفى فى الصلاة. فعندما يحل العجز والتعب بالمؤمن وسط الألم والحيرة، فالبرغم من إحساسنا بأنه لاسبيل لنستطيع أن نصلى، فإن روح الله يعيننا فى الصلاة.

ملاحظة على الترجمة

يلزمنا أن نتأمل فى ٨:٢٦، ٢٧ مرة أخرى، ونبدى ملاحظة على الترجمة. ففى الترجمة الإنجليزية الدولية الجديدة نقرأ : «وبنفس الطريقة، الروح يعيننا فى ضعفنا. فنحن لانعلم مايلزمنا أن نصلى لأجله، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لايمكن للكلمات أن تعبر عنها» وفى هذا التعبير يبدو أن الأنات كما لو أنها أنات الروح القدس، ولكن الروح القدس ليس فى حاجة لأنين، وبعبارة أخرى: إن الروح القدس يستطيع أن يعلن كلمة الله، فهو يعرف قلب الله، ويعرف فكر الله، وليس فى حاجة إلى الأنين فى الصلاة، وكلمة «يئن» فى اليونانية «مضافة»

لاحظ أن هذا عمل التفكير الإلهى، فالرسول بولس يذكر الذين سبق الله فعرفهم، وهذا معناه أن الله عرف مقدما قبل الزمن، ثبت الله نظره عليهم متفضلا، وهذه النظرة تبدأ كل عملية الفداء. فالله عليم بكل شئ، فالله يعرف كل شئ، والله سبق فعرف أناسا معلومين كعمل من المعرفة الإلهية والإرادة الإلهية وقد سبق أن عين هؤلاء الأفراد، سبق أن عينهم ليكونوا شيئا معينا. لقد عرف من سيكون هؤلاء الناس. كانوا يجدون فى ابن الله الممجد مثالهم الذى يُحتذى، وقوتهم وهدفهم. لقد سبق فعينهم ليكونوا على صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.

ثم كان هناك عمل الدعوة الإلهية. لقد سبق الله فعرف، وسبق فعين، ثم دعا. لقد دعانا الله بالإنجيل أقرأ كلمات الرسول بولس فى ٢تسالونيكي ٢:١٣-١٤ فهو تكلم هناك عن خلاصنا فيقول إننا قد دعينا من الله بالإنجيل وليس هذا مجرد دعوة من الله بالإنجيل لأن الجميع مدعوون، ولكنها تعنى قبول الدعوة، فالمدعوون يأتون. هناك عمل غفران إلهى. فالذين دعاهم بررهم وهذا ما كانت تناقشه هذه الرسالة حتى هذه النقطة. فالمدعوون قد جعلهم وكأنهم لم يخطئوا بالمرة. فليس ثمة شئ ضدهم فى سفر السماء. فالأمر الوحيد الذى يطلبه الله هو أن يؤمنوا. فقد أُكمل العمل السماوى فى حقيقة أن النص يقول إن هؤلاء بررهم، وهو أيضا مجدهم. وكثيرا ما قد لاحظ مفسرو الرسالة إلى رومية الفعل الماضى وقد أندهشوا لهذه الكلمة «ومجدهم» وقد قال رجل اسمه فينلى فى كتابه «إن زمن الفعل فى هذه الكلمة الأخيرة مدهش، إنه أجرأ ماينتظره الإيمان، مما يذكره العهد الجديد».

خاتمة

يثير هذا الفصل العديد من المشكلات فى آذهان الناس. على أية حال لايحاول الرسول أن يقدم أو على الأقل أن يفسر أن يوفق بين الجوانب الإلهية والبشرية لهذا الفصل العظيم. فهذا الفصل يبدو لبعض الناس أنه لا خيار للإنسان إطلاقا. وعلينا ألا ننسى أنه فى فصول أخرى من الكتاب المقدس، نجد الجانب الإلهى والظروف البشرية موضوعان بالتساوى أمام أبصارنا. ولكن هذا النص يصور ويكبر ويمجد عمل الله. فنجد فى هذه المرحلة الحكمة تتفق تماماً مع أقوال السفر دون محاولة التوفيق بين كل جوانب الحق. والذين يتأثرون بشدة من علم الله الشامل وقدرته الكلية ووجوده فى كل مكان، لن يعجزوا أبداً عن رؤية مسئوليتهم فى تأييد الشروط التى يعمل بها الله. ولقد سبق أن رأينا هذه الشروط. فالله يعمل فى حياة المؤمن.

لايستطيع أن يستخدمه الله فى النهاية للخير ولخير المؤمن يمكنه أن يستخدم البرص كما فى حالة أيوب. يمكن أن يستخدم الشوكة فى الجسد كما فى حالة بولس ربما أعظم برهان للكل يمكنه أن يستخدم الصليب كما فى حالة يسوع. لايوجد شئ لايستطيع الله أن يستخدمه للخير النهائى للمسيحى من السهل الإيمان بأنه ليس هناك مالايستطيع الله أن يستخدمه، ولكن الأصعب الإيمان بأنه ليس هناك مالايستخدمه الله، فالله يستخدم أى شئ وكل شئ.

لاحظ **الانسجام فى هذا العمل الإلهى** – كل الأشياء تُعمل معاً للخير. هل من الممكن أن تؤمن بأن رياح الشمال الباردة تتوافق مع نسمات الجنوب الدافئة؟ إنها تفعل ذلك، فبعد كل شئ تتوافق. ويمكن نقدم مثالاً وراء مثال لإثبات هذه الحقيقة. فالله يستطيع أن يأخذ أى شئ وكل شئ يحدث، ويجمعها معاً ليجعل منها وحدة متناسقة. فهو يأخذ كل الأمور الرديئة التى تحدث لى، وكل الأشياء الطيبة، بل وأخطائى الرهيبة وينسجها معاً إلى النموذج الذى فى فكره من البداية لحياتى. فهذه هى الكيفية التى يعمل بها الله.

ثم لاحظ **فائدة هذا العمل**، إذ يقول الرسول بولس «كل الأشياء تعمل معاً للخير...» فقد تتلوى درجات السلم ولكن كل درجة أعلى مما قبلها، فمسارى مازال إلى أعلى. هل قد لاحظت صاقل الماس؟ فهو يقطع ويصقل الماس لمدة طويلة قبل أن تصبح جميع الجوانب المرئية متلألئة. وعندئذ، وعندئذ فقط، يضعها فى قاعدتها المناسبة لكى تبدى كل لمعانها. هكذا الأمر معنا. فهو يصقلنا بكل الأشياء التى تحدث لنا إلى أن نصبح فى النهاية على استعداد لتحقيق غرضه ومجده.

لاحظ أيضا **حدود العمل**، فهو محدد بالذين يحبون الله، والمدعوين حسب قصده. لأن رجل العالم الذى يظل متعمدا بدون المسيح، فيمكن أن يقال بلا رعب أن كل الأشياء تعمل ضده. فطبيعة الله ضده ناموس الله ضده وقداسة الله ضده ودينونة الله ضده، ولكن الرجل المذكور هنا هو الرجل الذى يحب الله. وهو الرجل المدعو حسب قصد الله، ولهذا فإن كل شئ يعمل معاً بتجانس للخير نتيجة لعناية الله العجيبة، وهذا سبب جيد للاستمرار، وحافز قوى لنظل قديسين.

نتائج قصد الله

فى رومية ٨:٢٩، ٣٠ نجد نتائج قصد الله، فيقول الرسول بولس:

«لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً».

وفى الآية ٢٨ يقول الله إنه هناك شرطين ليعمل عمله العظيم فى قلب الشخص وحياته. فيجب أن يحب الله وأن يجب أن يكون مدعوا حسب قصد الله. والقصد يرتبط بكلمتين: سبق فعرف وسبق فعين. فالدعوة والخلاص يرتبطان بثلاث كلمات : «مدعووين، مبررين، وممجدين. ويعمل الله كل هذا لأنه له القدرة. كما أنه يعملها لأن الإنسان يؤمن ويثق أن الله يفعل ما فى قدرته أن يفعله.

وقبل أن يحاول الإنسان فى هذا النص، لينحنى أمام الله ويثق فى أنه سيجعل كل الأشياء تعمل معاً لخيرنا، بحسب ماسبق أن عرفه، بحسب ما سبق أن عيّنه. بحسب الإنجيل الذى به يدعوننا، حسب الإيمان الذى به بررنا، وحسب النعمة التى سيمجدنا بها. فالله عظيم، والله صالح. وهذا حافز كاف لنظل ثابتين وأمناء إلى النهاية. ليعطك الله سلاماً فى هذا الإيمان الراسخ.

الفصل التاسع عشر

إسرائيل الحاضر والمستقبل

رومية ١١ : ١ - ٣٦

مراجعة ومقدمة

لقد كنا ندرس اهتمام الله بإسرائيل. وقد فتح الرسول بولس فى الأصحاح التاسع قلبه لنا وسمح لنا أن نرى محبته العظيمة لإسرائيل لدرجة أنه كان على استعداد أن يدان لو يعنى ذلك خلاص إسرائيل. ثم عرض لنا عظمة الله فى محاولة خلاص إسرائيل، فناقش أمانة الله وعدله ورحمته وقوته ومحبته. وبيّن أنه مع أن الله مطلق السلطان، فأنه كان يستخدم هذا السلطان المطلق ليعبر عن اهتمامه وإرادته لإسرائيل.

ويكرس الأصحاح العاشر لمناقشة سبب رفض إسرائيل. فلم يكن رفضهم لعدم أمانة أو ظلم أو عدم قدرة أو عدم محبة من جانب الله. بل كان رفضهم بسبب موقفهم المتزمت من ديانتهم وسوء فهمهم لناموسهم. فقد كرسوا أنفسهم عقليا وبكبرياء لنفس نوع مسعى الأمم، ولذلك لم يكن لدى الله خيار إلا أن يرفضهم مع أن ذلك لم يكن رغبته. وفى رومية ٢١:١٠ يقتبس الرسول بولس إشعياء ٢:٦٥ بأن الله قد بسط يديه المحبتين إلى شعب معاند ومقاوم. فهم لم يعصوا إرادة الله فحسب، ولكنهم عارضوا الله عقلياً.

بقية إسرائيل

وسيكرس الرسول بولس كل الأصحاح الحادى عشر من الرسالة إلى رومية لتقديم الدليل على أن الله لم يتخل نهائيا عن إسرائيل. فهناك على الدوام إتاحة الفرصة لنعمة الله. ولكن فقط إذا تابوا وطلبوه. وهذا الفكر موجود فى العهد القديم فى إشعياء ١:٥٩، ٢ «ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع. بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لايسمع» ويقول الله فى أخبار الأيام الثانى ١٤:٧ لسليمان: «فإذا تواضع شعبى الذين دعى إسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية، فإننى أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم». لقد قال الله إنه سيسمع ويغفر ويشفى، فقط إذا تواضعوا وطلبوا وصلوا.

فالرسول بولس يقول إن الله يهتم بإسرائيل. فتقدير الله لإسرائيل يجب أن يسكت إلى الأبد أى قول بأن الله لم يكن أمينا أو غير محب. فتأمل ما فعله الله لإسرائيل فى كل أنحاء العهد القديم كله وهو يحتمل خطيتهم وعدم أمانتهم. تأمل مافعله وهو يرسل إبنه إلى العالم ويجعل الرب يسوع يقضى تلك السنوات الطويلة يعيش بين إسرائيل ويتكلم إلى إسرائيل عن محبة الله لهم. تأمل ما فعله الله عن طريق صليب المسيح، فالله يُقّدر إسرائيل، ومن الهام أن تدرك مدى تقدير الله لنا، فالله لاينظر إلينا كديدان خاطئة. بل ينظر إلينا كأبناء مخطئين ونحن نعرف

أبيض

أربعة شهود، الثانى هم البقية

يتحدث الرسول بولس فى رومية ١١:٢-١٢ عن البقية كونها دليل على خلاص الله. فيقول فى الآيات ٢-٦: «لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه. أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا : «يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى» لكن ماذا يقول له الوحى: «أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل». فكذلك فى الزمان الحاضر أيضا. قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة. فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة» يلزمنا أن نذكر ماكتبه الرسول بولس فى رومية ٨:٢٨-٣٠:

> «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعلم معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده. لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا».

ولايتكلم هذا الجزء فقط عن هذه الدائرة الصغيرة، المسماة إسرائيل، ولكنه يتكلم عن **أى واحد** يدعو باسم الله. **أى واحد** ارتبط بقصد الله، و**أى واحد** أحب الله.

ثم يذكر الرسول بولس عبارة خاصة عن هذه الدائرة الصغيرة فى إسرائيل. فالله لم يرفض شعبه الذى سبق فعرفه، ولكنه اضطر أن يرفض الأمة نفسها. كان عليه أن يرفض الأمة مثلما كان عليه أن يرفض الأمم، ولنفس السبب. لقد رفضوا أن يبقوا الله فى قلوبهم وفى معرفتهم. لقد كان رفضهم لله ولابنه الرب يسوع، هو الذى جعله يرفضهم.

وهكذا رفض الله الأمة. الذين **من** إسرائيل، فهو لم يرفض إسرائيل نفسها لأنه سبق فعرفهم، فقد سبق أن عرفهم، وسبق فعينهم، حسب الخطة التى بها يصيرون مشابهين صورة إبنه. ويذكر الرسول بولس البرهان التاريخى على هذا بذكر إيليا. ويسألهم بطريق التذكر: أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا: كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً: «يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى، وهم يطلبون نفسى؟» (١١:٢ب، ٣). وكان لدى الله جواب على إيليا، «أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل» (١١: ٤ب).

لقد أبقى الله بقية بنعمته، فالله له شعب معروف سابقاً. وهذه سابقة كتابية قد رسخت. يلزمنا أن نذكر الحادثة التاريخية التى أدت إلى هذا الحوار بين الله وإيليا. لقد هرب إيليا خوفا من إيزابل لأنه قد هدم مذابح البعل وقتل كهنة البعل (١ملوك ١٨:١٦-١٩:١٨). وفى خوفه أحس إيليا بأنه مهجور، كان عنده مانسميه الآن فى الديانة «مركب إيليا» كان على يقين مطلق

قيمة الإبن عند أبيه. فالأب يتطلع كل يوم من النافذة راجيا أن يرى إبنه قادما عبر التلال، فلديه ثوب أو حلة معدّة للإبن، ولديه عجل مستعد ليذبحه، وخاتم ليضعه فى أصبعه، ولديه حذاء ليضع فيه قدميه (إرجع إلى لوقا ١٥:١١-٣٢). فالرسول بولس يريد أن يعرف بنو إسرائيل أن الله يحبهم، وأن الرسول بولس أيضا يحبهم. ولكن الله فى كل صفاته غير المحدودة يتصف بشكل خاص بالمحبة فالله محبة، ويريد أن تكون هذه المحبة معروفة لبنى إسرائيل.

أربعة شهود، أولهم الرسول بولس

فى رومية ١١ سيستدعى الرسول بولس أربعة شهود لكى يثبت أنه يمكن أن يكون هناك مستقبل مجيد لأى يهودى يتضع ويرجع إلى الله ويصلى والشاهد الأول هو الرسول بولس نفسه، ففى رومية ١١:١ يكتب الرسول بولس: «فأقول ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا! لأنى أنا أيضا إسرائيلى من نسل إبراهيم من سبط بنيامين» والسؤال هنا هو ما إذا كان الله رفض شعبه أو لم يرفضه. وقد قرر الرسول بولس فى رومية ٩:٦ب: «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد. ويصور هذا بدائرة كبيرة ودائرة صغيرة. ويعود الآن الرسول بولس إلى هذا التشبيه، فهو مازال يريدنا أن نتذكر أن الله لايظن إطلاقا إنه سيخلص كل من هم **من إسرائيل**. ولكن الله تعهد أنه سيخلص البعض ممن **ليسوا من** إسرائيل، **الأمم**.

يقول الرسول بولس: ألعل الله رفض شعبه؟ «**حاشا**!» والدليل على هذه العبارة هو أننى أنا خلصت. فالرسول بولس يقول لو أنه كان اليهودى الوحيد الذى خلص، فهناك دائرة صغيرة داخل الدائرة الكبيرة، إذا كان هو مثلا لكل إسرائيل، فهو إذاً دليل على أن الله يحب إسرائيل لأن الله خلصه. فعلى مدى حياته المسيحية، اعتبر الرسول بولس نفسه أنه أول الخطاه لأنه قد اضطهد الكنيسة وأيّد كراهة اليهود للإنجيل. وقال الرسول بولس: إذا كان الله قد استطاع أن يخلصه فهو إذا يستطيع أن يخلص أى شخص. وكتب الرسول بولس فى ١تيموثاوس ١:١٥ «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا». وسيقول الرسول بولس: «تطلع إلى. لقد خلصت، وأنا من شعب إسرائيل، أنا من سبط بنيامين. أنا برهان على محبة الله».

هنا حقيقة الموقف. فأمل الرسول بولس فى القيام بكل هذه الكرازة للعالم الأممى هو نفسه كما كتب عنه فى رومية ١:٩، ٢، ١:١٠، أن يخلص إسرائيل. كان الرسول بولس مهتما بخلاص الأمم، فقد كان مدفوعا لذلك بالإرسالية المعطاة له من الله. وكان أمله هو أن يرى إسرائيل ذلك، ليصبح غيوراً من الأمم ويرجعوا بأنفسهم للرب ويخلصوا.

تحذيرات للأمم

شجرة الزيتون

وفى رومية ١١:١٧-٢٤ يقدم الرسول بولس تحذيرات للأمم تشبيه شجرة الزيتون فيقول:

> «فإن كان قد قطع بعض الأغصان، وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكا فى أصل الزيتونة ودسمها، فلا تفتخر على الأغصان. وإن أفتخرت فأنت لست تحمل الأصل، بل الأصل إياك يحمل. فستقول قطعت الأغصان لأطعّم أنا. حسناً. من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان تثبت. لاتستكبر بل خف. لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية، فلعله لايشفق عليك أيضا. فهوذا لطف الله وصرامته، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. وأما اللطف فلك إن ثبتّ فى اللطف، وإلا فأنت أيضا ستقطع. وهم إن لم يثبتوا فى عدم الإيمان سيُطعّمون، لأن الله قادر أن يطعمهم أيضا. لأنه إن كنت أنت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة، وطعمت بخلاف الطبيعة فى زيتونة جيدة، فكم بالحرى يُطعّم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة فى زيتونتهم الخاصة!».

لقد كانت شجرة الزيتون كثيراً رمزاً لأمة إسرائيل (إرجع إلى إرميا ١١:١٦-١٧، هوشع ١٤:٤-٦). ففى هذه الفصول الكتابية من العهد القديم، قد قاله الله إنه سيطرحهم إلى النار لأنهم لايأتون بثمر. فالصورة هى هذه: الله هو أصل الزيتونة، والأمر هكذا لأنه هو يحمل كل الأشياء، ومصدر كل الأشياء. والشجرة نفسها هى الدائرة الصغيرة التى نقرأ عنها فى رومية ٩:٦. إنها إسرائيل الحقيقى، إسرائيل التى هى من إسرائيل. أنها نسل إبراهيم الموعود به. إنهم الشجرة التى تحمل الأغصان. والآخرون هناك لأنهم قبلوا المسيا. فالرب يسوع جاء إلى خاصته (يوحنا ١:١١). فاليهود هم خاصة الرب يسوع، وقد أعدهم أنبياء العهد القديم، ويوحنا المعمدان. جاء الرب يسوع إلى خاصته، ولكنهم لم يقبلوه. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه» (يوحنا ١:١١).

والأغصان الطبيعة فى هذه الشجرة هم اليهود المؤمنون. أما الأغصان غير الطبيعية فهم الأفراد من الأمم الذين قد طُعّموا فيها، كل منهم بالإيمان الشخصى: إنه الفرد الذى يُطعّم فى

بأنه الوحيد الأمين لله. ولكن كان لله موارد أكثر تحت تصرفه أكثر من إيليا وحده، كان لله سبعة آلاف لم يحنوا ركبة لبعل.

والتطبيق هو أنه كانت هناك بقية كما يكتب الرسول بولس فى رسالته إلى أهل رومية. كانت هناك بقية فى أيام إيليا، وتوجد بقية فى أيام بولس. وهذه البقية لم يتم اختيارها على أساس الأعمال، بل بسبب نعمة الله. فلو أن البعض خلص بالأعمال، فأنهم لايمكن أن يخلصوا بالنعمة، وإلا فالأعمال لاتبقى بعد أعمالا. فالزيت والماء لا يختلطان، وهكذا النعمة والأعمال لايختلطان.

لاحظ ما يستخلصه الرسول بولس فى هذه النقطة فى رومية ١١:٧-١٢ حيث يكتب:

> «فماذا. ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله. ولكن المختارين نالوه. وأما الباقون فتقسوا. كما هو مكتوب: أعطاهم الله روح سبات وعيونا حتى لايبصروا، وأذانا حتى لايسمعوا إلى هذا اليوم. وداود يقول: «لتصر مائدتهم فخا وقنصا وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كى لايبصروا ولتحن ظهورهم فى كل حين». فأقول ألعلهم عثروا لكى يسقطوا. حاشا بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم. فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم، فكم بالحرى ملؤهم».

والنتيجة هى أن الأمة لم تنل البر، ولكن المختارون نالوه. فالرسول بولس يجعل من الواضح أن تقسية إسرائيل لم تكن كلية. بل حصلت القساوة جزئيا لجزء من إسرائيل مما أدى إلى سقوطهم. وهذا السقوط لم يكن بالضرورة نهائيا. فاليهود لم يعثروا حتى يسقطوا ولا قيام لهم. ففى عثرتهم قد وجد الأمم الخلاص. فكان إسرائيل قادرا أن يرجع مرة أخرى.

أربعة شهود، الثالث هو الأمم وخلاصهم

يُناقش موضوع الأمم وخلاصهم فى رومية ١١:١٣ حيث يكتب الرسول بولس: «فإنى أقول لكم أيها الأمم، بما أنى أنا رسول للأمم أمجد خدمتى..» كانت خدمة الرسول بولس، المعطاة له من الله، هى أن يرى خلاص أكبر عدد ممكن من الأمم، دفعت هذه الخدمة بالرسول بولس إلى أقاصى الأرض ليمكنه أن يتكلم إلى كل مجتمع أممى، لعلهم يخلصون وماهو الأمل وراء الحقيقة؟ يواصل الرسول بولس حديثه فى رومية ١١:١٤-١٦.

> «لعلى أغير أنسبائى، وأخلص أناساً منهم. لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات؟ وإن كانت الباكورة مقدسة. فكذلك العجين. وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان».

تقول لنا هذه الآيات أن لله دخل فى كل هذه الأحداث. فتقسية إسرائيل كان القصد منها أن تكون وقتية إلى أن يدخل ملء الأمم. وسواء كان هذا يعنى اكتمال عدد الأمم الذين سيخلصون أو اكتمال غضب الأمم ضد إسرائيل، ليس واضحا. وعلى الحالين إنها تبين أن الله متداخل فى توقيت هذه الأحداث.

كما أننا نلاحظ فى هذا القسم وعداً من الله بأن كل إسرائيل سيخلص. تذكر فى رومية ٩:٦؟ فلم يقل الرسول بولس كل إسرائيل، الدائرة الكبيرة، سيخلصون، بل قال كل إسرائيل، الدائرة الصغرى ستخلص. فالله يعرف من يمكنه أن يخلص، وسيخلص. ارجع وإقرأ القرائن فى إشعياء ٢٧، ٥٩. وإرجع أيضاً إلى إرميا ٣١. فقرنية الكلام فى هذه الأصحاحات هى أن الله قد جاء للدينونة (على إسرائيل) ولكنه أيضا قد خلصهم من تلك الدينونة. لقد خرجوا منها بالإيمان بالله. ويمكن جداً أن يكون هذا كلام عن آخر أعمال نعمة الله لليهود. ويظهر هذا فى تدمير مدينته وأمته. فبهذا العمل الأخير، قصد الله أن يتم مشيئته وقصده، فبالسبى قصد أن يتم خلاص الدائرة الصغيرة من الناس الأمناء.

لاحظ عهد الله فى ١١:٢٨، ٢٩. ونرى مرة أخرى تطبيق الدائرة الكبيرة والدائرة الصغيرة. فالله لم يكسر كلمته لإبراهيم (إرجع إلى رومية ٤) فالله يخلص أيضا **نسل الوعد** وأيضا يخلص **نسل القصد** ثم فى ١١:٣-٣٢ نقرأ أن الله قد اختار اليهود ليحملوا الإنجيل للأمم لكى يخلصوا هم أيضا. والآن الله يختار الأمم حتى يمكن لليهود أن يسمعوا الإنجيل ويخلصوا.

الخاتمة

يختم الرسول بولس هذا الجزء بترنيمة حمد للرب! سبحوا الرب! سبحوا الرب لعمق حكمته. سبحوا الرب لعمق علمه. سبحوا الرب لعمق حكمه. سبحوا الرب لشخصه، وفكره ومشورته. سبحوا الرب لأنه هو خالق كل الأشياء وجابل كل الأشياء، وهو غاية كل الأشياء.

ويكتب الرسول بولس عبارة النتيجة الأخيرة لمقصده فى ١١:٣٦، فقصده هو أن يمجد الله، فهذا هو غاية كل شئ قد فعله فى المسيح. ويتكلم الرسول بولس فى أفسس ١:٣-١٤ عن غرض الله العظيم. وفى ١:٣-٦ يقول الرسول بولس «لمدح مجده، فيتكلم الرسول بولس عما قد صاره الرب يسوع فى أفسس ١ : ٦ – ١٢ فيقول: «لمدح مجد نعمته» فهو يتكلم عن الروح القدس فى أفسس١:١٣، ١٤» لمدح مجد نعمته.

الشجرة، ولكنه أيضا الفرد الذى يقطع من الشجرة. والسبب الوحيد الذى لأجله قُطع اليهود من شجرتهم هو عدم إيمانهم. والمطلب الوحيد من الأمم ليطعموا فى الشجرة، هو الإيمان. وهذا يستبعد أى أساس للافتخار من أى إنسان. فإذا افتخر البعض بأنهم قد طُعّموا من الشجرة، فعليهم أن يذكروا شيئاً واحداً: الأصل هو الذى يحملك، وأنت لاتحمل الأصل. حتى خلاص الأمم هم برهان على اهتمام الله بإسرائيل ومحبته لهم، لأن الله قد طعّم الأمم فى الشجرة. إنها نفس الشجرة التى غرسها الله عندما قال لإبراهيم.. «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولى» (تكوين ١٨:٢٢). ومنذ ذلك الوقت فصاعدا، يتكلم الله عن شعبه باعتبارهم الشجرة الطبيعية من عائلة إبراهيم سيطعّم فيها الأمم. وهذا ماقاله الرسول بولس فى رومية ٤. فإبراهيم هو أبو الكل، ليس فقط لليهود الذين يسلكون حسب إيمانه، بل أيضا الأمم الذين يسلكون حسب إيمانه. فإبراهيم أبى لأننى قد طعّمت فى شجرته وإبراهيم لايحملنى بل بالحرى الأصل (الله) هو الذى يحملنى. فأننا كأممى آكل على نفس المائدة. فى ملكوت الله كما يأكل إبراهيم. فخلاص الأمم برهان على محبة الله لإسرائيل.

خلاص إسرائيل
أربعة شهود، والرابع هو الله نفسه

وبرهان الرسول بولس الأخير على أن اليهود يمكنهم الحصول على الخلاص موجود فى الله نفسه. لاحظ قبل كل شئ عبارة الرسول بولس عن توقيت الله فى هذا الموقف بخصوص اليهود، إذ يكتب الرسول بولس فى رومية ١١:٢٥-٣٦:

> «فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء. أن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل. كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب وهذا هو العهد من قبلى لهم متى نزعت خطاياهم. من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم. أما من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء. لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة. فإنه كما كنتم أنتم مرة لاتطعيون الله ولكن الآن رحمتم بعصيان هؤلاء، هكذا هؤلاء أيضا الآن لم يطيعوا لكى يرحموا هم أيضا برحمتكم. لأن الله أغلق على الجميع معاً فى العصيان لكى يرحم الجميع. يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. الآن من عرف فكر الرب؟ ومن صار له مشيراً؟ أو من سبق فأعطاه فيكافأ؟ لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين».

ماهو قصد الله؟ إنه يجمع كل الأشياء فى يسوع. إنه لنا القول، «سبحوا الرب» للرب كل المجد. هذا هو السبب الذى من أجله قد كتب الرسول بولس الإحدى عشر إصحاحا من رسالة رومية. هذا حقا سبب لكل رسائل بولس أسبح الرب. وفى ذلك التسبيح أجد معنى للحياة فى هذا التسبيح أجد السلام الذى يأتى لنفسى وأيضا أجد قيمتى. فى تسبيحه أعرف أننى فى قلب الرب لايريدنا الله أن نتجادل عن قوته وسيادته بل يريدنا أن نسبحه لقوته غير المحدودة ونعمته غير المحدودة أنه هنا أجد السلام والرجاء. أرجوا أنك ستجد السلام أيضا بالإيمان بهذا.

الفصل العشرون

أساس العيشة المسيحية

رومية ١٢ : ١ - ٢

مراجعة ومقدمة

فى هذا الفصل ندخل إلى الفصل الأخير العظيم لهذه الرسالة قدم الرسول بولس ما أراده أن يتحدث عنـه فى رومية ١ : ١٦ – ١٧ التى هى العبارة الموضوعية للرسالة كلها والمركز لهذا الموضوع الطريقة التى بها يبرر الله الإنسان وهى الإيمان، ويجعل الإنسان قادراً على أن يحيا بهذا الإيمان.

لقد ناقش الرسول بولس الدينونة الشاملة للإنسان، سواء كان هذا الإنسان وثنياً عقلانيا، أو أخلاقياً أو متديناً. لأن لا شئ من هذه الأشياء أزاح حمل وذنب الخطية. لقد تكلم عن الرب يسوع وعمله على الصليب، والعمل الكامل الذى قُدم لله الذبيحة الكاملة الكافية التى تجعله قادرا على أن ينظر نظرة عادلة للخاطئ مقدمة له الخلاص. كما تكلم الرسول بولس عن نتائج الخلاص ودامه بناء على طبيعته وحقيقة أنه قد محا كل ماعمله آدم فى الجنة. كما تكلم الرسول بولس عن حقيقة أن الصليب جعل الإنسان قادراً على أن يتحرر من الخطية والناموس. فالحياة تحت الناموس تجعل الإنسان يريد أن يفعل ما أراده الله ولكنه لايجد القدرة على فعل ذلك.

وفى رومية ٨ ينطلق الرسول بولس فى ترنيمة حمد جميلة. فتكلم عن إمكانية القداسة وامتياز القداسة مع النصرة والشخصية الملازمة التى تخلعها علينا القداسة. ودافع فى رومية ٩–١١ عن موقف الله بالنسبة لإسرائيل فرفض الله لإسرائيل الحالى ليس بأى حال من الأحوال لعدم المحبة أو القدرة أو القوة أو النعمة، فالله مازال يمد يده لشعب عاص مقاوم معاند. وقد وقعت الدينونة على إسرائيل بسبب محبة الله لهم. وقدم الرسول بولس حقيقة أن موقف الله من إسرائيل يُرى فى نفسه، لأنه هو العبرانى من العبرانيين قد نال الخلاص بنعمة الله. كما أن موقف الله من إسرائيل يظهر فى حقيقة أن هناك بقية كبيرة منهم قد رجعت للمسيح. كما أن موقف الله منهم يُرى أيضا فى أن الأمم قد طُعّموا فى الشجرة اليهودية. كما يُرى موقف الله من إسرائيل فى أنه يستخدم كل شئ ليأتى لهم بالخلاص.

ثم ينطلق الرسول بولس فى أنشودة حمد. ويختم الجزء التعليمى العظيم فى رومية ١١ بترنيمة تسبيح (إعلان الحمد) الحمد لحكمة الله وعلمه وحكمه وطرقه. فهو يحمد أعماق هذه المواصفات فى الله فهو ينظر إلى أعماق حكمة الله وعلمه وحكمة ومحبته وقدرته وخليقته. ويختم الرسول بولس بالقول: «له المجد إلى الأبد آمين» (رومية ١١:٣٦).

ويقول الرسول بولس فى رومية ١٢:١

«فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية».

أبيض

ما يتحدث عنه الرسول الآن هو النشاط الجسدى، عمله أو ديانته. لا يقيم أى دين الجسد مثلما تقيمّه المسيحين. إنه الجسد الذي يستقبل التأثيرات من الله والذى يمتلك الميل للطاعة أو للعصيان، ما الذى يمارس القوى التى يعطيها الله. يُسمى الجسد هيكل الروح القدس (١ كورنثوس ٦ : ١٩ – ٢٠). إنه الجسد الذى يعظم الله (فيلبى ١ : ٢٠)، لقد سبق أن تكلم بولس عن نفسنا وروحنا فى الإصحاحات السابقة.

وأساس هذا التكريس هو رحمة الله. وفى اللغة اليونانية كلمة «رحمة» اسم جمع، فيجب أن تُقرأ الآية «**برأفات** الله»، فالله ليس له رأفة (رحمة) واحدة، بل له رأفات متعددة، فرحمته يمكنها أن تصبح أى نوع من الرحمة أو الرأفة اللازمة. فالرأفة (الرحمة) معناها ببساطة «توفير الشئ المطلوب ولكنه ليس عن استحقاق. فالرأفة تمد الشخص بالشئ الذى هو فى حاجة إليه وليس بالشئ الذى يستحقه. لقد كانت رأفات (مراحم) الله موضوع هذه الرسالة حتى الآن. فهو فى طبيعته إله رحيم. فالأخلاقية أو الفضيلة يلزمها النشاط والعمل وإلا فإنها لن تستمر. فالسلـوك يحتاج إلى قـوة وراءه، ولهذا السبب ينصحنا الرسول على أن نضع أنفسنا فى يدى الله فى النعمة لنحيا الحياة الحقيقيـة.

ثانيا : هناك طبيعة التكريس. يحث المؤمنين فى رومية أن يقدموا أجسادهم كذبائح حية، يسلّم الرسول بولس بأن هذا أمر تطوعى. فكان عليهم أن يقدموا أجسادهم. وهذه العبارة ترتبط بعملية إحضار أو تقريب الذبائح إلى الهيكل (إرجع إلى لاويين ١ : ٣ ، ١٦ : ٧). وعندما كـان الرب يسوع طفلا، أتيا به أمه وأبوه الشرعى إلى الهيكل ليقدماه للكاهن حتى مايتخصص لله. وعندما أقدم (أهب) جسدى كذبيحة حية، فأنا أقول لله والملائكة والشيطان والكنيسة ولنفسى أننى ملك لـه.

وكلمة «قدموا» أو «أعطوا» ترد أيضا فى رومية ٦:١٣ حيث يكتب الرسول بولس «لاتقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله». وهذه الآية تربط الإصحاحين ٦، ١٢ معاً، كما أنه فى توافق مع آيات أخرى فى الكتب المقدس مثل لوقا ٢:٢٢، كولوسى ١:٢٨. فالفكرة فى التقديم هى التقديم التطوعى لله لشئ ماهو أصلا له. والتقديم أيضا يكون كاملاً. فالرسول بولس يقول لنا أن نقدم أجسادنا كذبائح حية، وهذا تعبير شامل يعنى الروح والنفس والجسد.

لقد سبق أن تكلم الرسول بولس فى الإصحاحات ١١ السابقة عن حقيقة أننا خلصنا وأن أرواحنا ونفوسنا هى ملك لله مايتحدث عنه الرسول الآن هو النشاط الجسدى، عمله أو ديانته.

ونغمة الرسول بولس تسترعى بشكل خاص النظر وهو يقدم هذه المطالب الفاحصة. فعندما يكون لدى الرسول بولس شئ عاجل ليشارك به قرائه، يستخدم هذه العبارة: «أسألكم» أو «أطلب إليكم» (إرجع إلى أفسس ٤:١، ١تسالونيكى ٤:١). لقد كان الرسول بولس حريصا على أن يحيا حسب أقواله. وقد كتب فى ٢كورنثوس ٢٤:١ «ليس أننا نسود على إيمانكم بل نحن مؤازرون لسروركم. لأنكم بالإيمان تثبتون».

وسندرس أيتين فى هذا الفصل، آيتين تضعان الأساس لكل شئ سيقوله الرسول بولس فى القسم الأخير. وهنا سنجد تعاليم التقديس والتكريس والتطبيق. فالعيشة المقدسة هى ماسنتناوله الآن. ونحن نعرف مما سبق أن الإنسان إنما **يخلص** بالإيمان، ولكن هل يمكنه أن **يعيش** بالإيمان؟ هل يجب أن أعماله الآن تحدد موضعه فى ملكوت الله؟ ما الذى سيحدد وضعه، وكيف يعيش وكيف يعمل؟

مبادئ التكريس

يكتب الرسول بولس فى رومية ١٢: ١،٢

> «فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم الفعلية. ولاتشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ماهى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة».

توجد عدة مبادئ يذكرها الرسول بولس فى هاتين الآيتين، وسنبينها فى خمس نقاط مختلفة. فإذا فهمنا المبادئ فى هاتين الآيتين، يقول الرسول بولس أننا سنقدر أن نختبر ونثبت ماهى إرادة الله.

أولا: أساس هذا التكريس. الكلمة المحورية فى ١:١٢ هى «الغاء» (بمعنى لذلك) فهذه الكلمة تربطنا بما سبق أن درسناه توّا. فمركزنا كمتبررين ومقدسين وممجدين يستدعى ممارستنا للتكريس والإخلاص. فإذا كان كل ما أعمله هو التعلم، فلربما ما أتعلمه يدخل قلبى ويؤثر فى مشاعرى ولكن ليس فى أعمالى، فلم أتعلم بعد مايريدنى الله أن أتعلمه. فلم يأت الرب يسوع لكى **أعرف** بعض الأمور. بل لم يأت الرب يسوع لكى **أكون** شيئا ما، بل جاء الرب يسوع حتى يكون **لدى** شئ ما و**أفعل** شيئا ما. فقد قال الرب يسوع: «السارق لايأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠ : ١٠) فحياتى تظهر فى نشاطى بسبب ما قد عمله الله لأجلى. فبالإيمان قد أعطانى الله خلاصاً وتقديسا ومجداً. ولهذا فهناك ثمة أشياء علىّ أن أعملها.

ونجد هذه الآية فى ترجمة أخرى.. «هذا هو عمل عبادتكم الروحى»، وكلمة روحى فى الإنجليزية الأفضل أن تترجم «العقلية» (كما فى العربية) فهى فى اليونانية من كلمة «**لوجيكن**» التى تترجم «المنطقية» فما يقوله الرسول بولس هو أنه من **المنطق أو عقليا** أن نقدم أجسادنا كذبائح حية ينبغى أن نجعل الجانب العقلى فينا، قدراتنا العقلية تملى علينا تصرفاتنا من نحو الله، ينبغى أن نحب الله من كل قلوبنا ونفوسنا وأفكارنا وقوتنا. ينبغى أن نتبع ما تمليه **علينا عقولنا**، فهذه هى طبيعة التكريس.

رابعا: وصايا التكريس، فى ٢:١٢ يقول بولس «ولاتشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ماهى إرادة الله الصالحة المرضية». يبدأ الرسول بولس هذه الآية بالنهى: «لاتشاكلوا هذا الدهر...» لاتخضعوا إلى سلوك هذا العالم لاتمسحوا لأنفسكم أن تساقوا وراء معتقدات هذا العالم ونماذجه. وكلمة «العالم» مترجمة عن الكلمة اليونانية «**آمون**» التى يحسن ترجمتها «الدهر» (كما هى فى العربية) وفى هذه الحالة تعنى «العصر الحاضر». ونجدها فى الكتاب المقدس ترتبط بالشر (ارجع إلى غلاطية ٤:١، ٢كورنثوس ٤:٤، أفسس ٢:٢).

ويؤكد الرسول بولس أننا إذا غفلنا. فسنجد أنفسنا منساقين ومتأثرين حسب العالم. وعندما يحدث هذا سنستسلم لروحه وطريقة الحياة. فطرق العالم شديدة الجاذبية وتبدو جيدة. وقد تكلم الرب يسوع عن مسرات هذا العالم ومايمكن أن تسببه من خسائر (لوقا ١٤:٨). أى شخص يعتقد أن هذا العالم يخلو من المسرات. فهو لايؤمن بما يقوله الرب يسوع ويجهل كل شئ عن طرق العالم، فهو لم يختبر بعض الأشياء التى يمكن للعالم أن يهبها. فالشيطان يجعل الشخص يشعر شعوراً طيباً على أساس وقتى ولكن فى النهاية يودى بهم إلى المرارة.

وعلى الجانب الإيجابى، يقول الرسول بولس: «بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم». «تغيروا» وهى فى اليونانية فى صيغة المبنى للمجهول أى أنها تعنى أن الشخص المقصود يخضع للتغيير الآتى عليه. و«الذهن» فى الكتاب المقدس يعنى أكثر من الفكر، فله جانب أدبى أخلاقى أيضا، ففى رومية ٢٨:١، ٢٣:٧ نقرأ عن ذهن العالم «وفكر المسيح». العقل الباطن للإنسان وفكر الله. فالفكر يخلط العقل بالناحية الأدبية (الأخلاقية) وبعبارة أخرى يمكن أن يوصف كالوسيلة التى بها تدرك النفس وتميز بين ماهو صالح وماهو حق، فمن الهام جداً أن نعتبر هذه الفكرة عن التغير الأدبى بواسطة مانفكر فيه، فيجب أن نتجدد فى أذهاننا.

لايقيم أى دين الجسد مثلما تقيمه المسيحية. أنه الجسد الذى يستقبل التأثيرات من الله والذى يمتلك الميل للطاعة أو العصيان والذى يمارس القوى التى يعطيها الله. يُسمى الجسد هيكل الروح القدس (١كورنثوس ٦:١٩-٢). إنه الجسد الذى يعظم الله (فيلبى ١:٢٠) لقد سبق أن تكلم بولس عن نفسنا وروحنا فى الأصحاحات السابقة. والآن لزم أن يتكلم عن تقديمنا، أو بذلنا أجسادنا له بقصد تنفيذ مشيئته وإتمام وصاياه.

ثالثا : هذا التكريس تطوعى، وكامل كما أنه تضحية، قال الرسول بولس: «قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة ومرضية عند الله، أى يسره. كانت الذبائح اليهودية فى سفر اللاويين تتكون بداية من نوعين. **الأول:** كانت هناك الذبائح المرتبطة بالمصالحة، وهى ذبائح الخطية وذبائح السلامة. **والثانى:** كانت هناك الذبائح المرتبطة بالتكريس (التخصيص) على أساس المصالحة التى تمت بين الشخص مقدم الذبيحة والله.

وذبيحتنا عن الخطية هو الرب يسوع المسيح، ولكن ذبيحتنا للتكريس هى أنفسنا، فكما مات هو، يجب أن نموت نحن أيضا، قال الرسول بولس فى رومية ٦ إننا دفنا معه بالمعمودية للموت.. فكما مات هو نموت نحن أيضا، وكما أقيم هو، سنُقام نحن أيضا. فصليب المسيح واف وكاف جداً لمحو كل خطاياى ويجعلنى متبرراً ومقدساً وممجدا فى المسيح ولكن حياة المسيح التى تجعلنى قادراً على أن أقدم جسدى ذبيحة حية. قال الرسول بولس إن المسيح قد صلب من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (رومية ٤:٢٥) فكما خلصنا بموته، نخلص أيضا بحياته (رومية ٥:١٠).

عندما نقدم أنفسنا لله تكون ذبيحة كبيرة عميقة. ومثال ذلك هنا هو اسحق، عندما وضع اسحق على المذبح، مات ليس فى فكره فحسب، بل فى فكر أبيه أيضا. حتى بعد أن استبقى الله اسحق، آمن هو وأبيه فى فكرهما أن اسحق ذبيحة حية (عبرانيين ١١:١٧-١٩) كما أن الرب يسوع ذبيحة حية. لقد مات على الصليب، ولكنه بمعنى أنه مازال على الصليب ففى ١كورنثوس ٢:٢ قال الرسول بولس: «لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً وكلمة «مصلوبا» هى فى اليونانية اسم فعل مضارع تام يعنى أن الرب يسوع مازال على الصليب، فهو مازال ذبيحة حية. لقد صُلب قبل تأسيس العالم، لقد ولد مصلوبا، ويحيا مصلوبا، وهذا ماينطبق علينا الآن.

وذبيحتنا **عملية** لأن تقديمها يتم فى موقف الخدمة. فالنتيجة ليست خلاصنا فحسب، بل أيضا الانقاذ من أيدى أعدائنا حتى يمكننا أن نخدمه. فنحن نخدمه لا عن خوف بل بالحرى فى قداسة وبر كل أيام حياتنا (لوقا ١:٧٤-٧٥).

خامسا: نتيجة هذ التكريس، فالرسول بولس : «سأسمح لنفسى أن تتغير تماماً وبالكلية. وبذلك سأكون قادراً أن أعرف واختبر ما هى إرادة الله الصالحة الكاملة والمسرة لله ستصبح إرادة الله معروفة. وكلمة «تختبروا» تعنى امتحان أو فحص كما تحاول اختبار أو فحص شئ فى المعمل، فهى تشير إلى التمييز الروحى الذى هو نتيجة تغيير داخلى. فلاتوجد علامة أصدق على النمو والتقدم والنضج فى الحياة المسيحية أكثر من التمييز الروحى. وللوصول إلى هذه النقطة التغيير أمر جوهرى تماماً. لاحظ أن إرادة الله سوف لاتُعرف فقط بل ستنفذ أيضا. هذا هو التعبير عن إرادة الله لحياة الإنسان. «سأفعل إرادة الله» لن أكون فقط قادرا أن أختبر إرادة الله بل أيضا سأفعل إرادة الله.

وإرادة الله ليست فقط تُعرف وتُنفذ، بل لتكون موضع استمتاع أيضا، فالرسول بولس يقول إننى سأكتشف أن إرادة الله صالحة ومرضية وكاملة. فاختبارنا الجديد مع المسيح يعّمق سعتنا لاستقبال بركة أعظم. فعندما نسلم أنفسنا باستمرار لنعمة الله، سنجد أن إرادته هى بالضرورة صالحة، وأن طاعتنا تسره جداً ونتحقق أخلاقيا من الغاية الموضوعة أمامنا.

الخاتمة

ما قد كان موضوع دراستنا فى هاتين الآيتين ليس هو النمو بل التغيير. فالنمو يفترض التقدم، أما التغيير فيدل على تغير الحال. فقد نما ربنا يسوع، ولكنه لم يكن مطلقا فى حاجة إلى أن يتغير. أما نحن فيجب علينا أولا أن نتغير، وعندئذ يمكننا أن ننمو بإتمام إرادة الله على الأرض.

وكلمة «تغيير» مشتقة من كلمة يونانية ميتامورفوزن» وهى تعنى حدوث تغيير كلى. وأفضل تشبيه هو تحول اليرقة إلى فراشة. فاليرقة تنسج حول نفسها شرنقة وتموت، وتظل خلال الخريف والشتاء داخل هذه الشرنقة ولكن فى الربيع يبدأ شئ يحدث، لقد حدث تغيير، ففى خلال شهور الخريف والشتاء، هذه اليرقة المائتة قد غيرت نفسها إلى فراشة رائعة، لايمكن أن تدرك أبداً أنها كانت شرنقة.

هكذا الأمر معك ومعى، فذاتنا الخاطئة قد نُسجت حولها شرنقة التى تسمى رحمة ونعمة الرب يسوع المسيح. وندخل فى صراع إلى أن نُغمر فى النهاية فى الرب يسوع ونخرج خليقة جديدة. كل الأشياء أصبحت جديدة، نهز أجنحتنا ونطير بقوة النعمة والإيمان إلى الأذرع أعمل إرادة الله. وياله من امتياز. ويا له من تغيير يحدث عندما نقدم أجسادنا لله ذبيحة حية ونتغير إلى مجده. وما أعظمه سلاما هذا! ليتك تجد سلاماً عظيماً فى أن تتغير وتصبح ذبيحة حية لله مقدسة وسارة له.

الفصل الحادى والعشرون

إظهار الحياة المسيحية

رومية ١٢ : ٣ - ٢١

مراجعة ومقدمة

فى رومية ١:١٢ ، ٢ درسنا مبدأ التدشين أو التكريس، ورأنيا أن التكريس مبنى على عمل الله فى التغيير نتيجة لتجديد أذهاننا.

وسيرنيا الرسول بولس الآن كيف يطبق مبدأ التكريس على كل جوانب الحياة المتعددة، الحياة التى نحياها بالإيمان، فالرسول بولس يريد من قرائه أن يتأملوا كيف أن حياتهم بالايمان ترتبط بكل جماعة المؤمنين كما هو موضح فى رومية ١٢:٣-١٣، ثم يبين كيف تمتد حياتهم إلى العالم أجمع.

رومية ١٢ :٣-٨ التواضع فى الجسد

«فإنى أقول بالنعمة المعطاه لى، لكل من هو بينكم أن لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى، بل يرتئى الى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الايمان، فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة، ولكن ليس جميع الاعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح واعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر، ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاه لنا. أبنوة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففى الخدمة. أم المعلم ففى التعليم. أم الواعظ ففى الوعظ. المعطى فبسخاء. المدبر فباجتهاد. الراحم فبسرور».

فالعلاقة الصحيحة مع الله تنتج علاقة صحيحة مع رفقائنا المؤمنين، فمن الجوانب الروحية فى حياتنا تصدر الجوانب الاجتماعية، وقد كانت الكبرياء وهى الآن وستظل على الدوام أعظم عدو للبر الحقيقى، فالتواضع هو المطلوب ويعبر الرسول بولس عن اتضاعه، عندما يقول: «فإنى أقول بنعمة الله المعطاة لى» فقد استطاع أن يعلمهم ويغرس ذلك فيهم بلا أى كبرياء لأنه كان يعلمهم بنعمة الله، لقد كانت كرازة بولس نتيجة «لمقدرته، فهو لم يعلمهم من مركزة كرسول، ولم يعلمهم من وجهة نظر معلوماته، رغم أنه كان من أكثر الناس علماً فى القرن الأول لكنه تكلم من موقع النعمة فهو يقدم دعوته من هذه النعمة إلى كل مسيحى بلا استثناء.

الدعوة للتواضع

حيث أننا نعيش الآن حياة متغيرة، فحاجتنا الأولى كمسيحيين هى أن نعى ما يجب أن يكون عليه موقفنا من نحو المسيحيين رفقائنا، وأن نعى كيف يحب علينا أن نستخدم مواهبنا الروحية، فالرسول بولس يقول إننا يجب ألا ترتئى فى انفسنا فوق ما ينبغى أن نرتئى، فكل

أبيض

وأنت لا تستطيع أن تقوم بمسئوليتى. فكلانا فى الجسد، وعندما نعمل فى الجسد بقدراتنا المختلفة كل منا يمارس مواهبه، فنحن نبنى الجسد، ونغذى الجسد لكى يبلغ النضج.

وهنا تبرز ثلاثة أفكار: الوحدة. التنوع والانسجام. لاحظ الوحدة، فهناك أعضاء كثيرة، ولكن جسد واحد. لاحظ التنوع: لا تؤدى كل الأعضاء نفس الوظيفة، لاحظ الانسجام، فكل عضو يرتبط بسائر الأعضاء ويجب ادراك هذه الأمور الثلاثة ومزجها، فنحن لنا وحدة الجسد، وتنوع الوظائف، والانسجام فى الموقع. وعندما تتحقق هذه الأمور الثلاثة وتمتزج معاً، تحيا الكنيسة حياتها الحقيقية وتستطيع القيام بعملها.

التعبير عن التواضع

نجد فى رومية ١٢:٦–٨ سبع مواهب، أربعا منها مواهب رسمية: نبوة، تعليم، خدمة ووعظ، والثلاث الأخيرة مواهب عامة: العطاء، التدبير، اظهار الرحمة. سواء كانت هذه المواهب رسمية أو عامة، فإن الرسول بولس سيبين آن الاتضاع لازم للتعبير عن هذه الخدمات المتنوعة أو مواهب الخدمة.

ويضع الرسول بولس موهبة النبوة فى المقدمة لأنها أهمها للغاية كما أنها كانت الاعلان الموحى به عن مشيئة الله، والخدمة النبوية كان يجب القيام بها بالنسبة لإيمان النبى، حتى عندما تكون الموهبة معجزية، فإن ممارستها كان يُحددها الإيمان فقد قال الرسول: «إذا كانت موهبة الإنسان هى النبوة، فيجب عليه أن يستخدمها بالنسبة لإيمانه» (رومية ١٢:٦ب) فالتوكيد هنا ليس على الموهبة نفسها، بل على نسبة الانسان التى لدى الشخص الذى يمارس الموهبة.

كانت النبوة لازمة، لأنها أدخلت إلى العالم الإيمان المسلم مرة للقديسين (يهوذا ٣) وقد انتهت النبوة عندما كمل العمل الخاص الذى كان مقصوداً منها، فكان النبى محدوداً فى ممارسته لهذه الموهبة المعجزية بإيمانه، وحيث أن هذا صحيحاً بالنسبة لموهبة النبوة المعجزية، فإذا نحن نعلم أنه صحيح بالنسبة للست مواهب الأخرى غير المعجزية التى سيذكرها الرسول بولس.

وفى حالة مواهب الخدمة، والتعليم، أو الوعظ، على المسيحى أن يكرس نفسه لعمله الخاص، فيجب عليه أن يكون منصرفاً لعمله فى الخدمة، فعليه أن يعرف القواعد التى تحكم عمله، وأن يتصرف فى حدود هذه القواعد، فيقول الرسول بولس إنه إذا كانت موهبة الشخص

مسيحى إنما هو جزء واحد من الرجاء العظيم، وإن لم يتفق أية عن نفسه مع فكر الله عنه، فلابد أن تنتهى حياته بالفشل.

يتكلم الرسول بولس عن الولاء فى كل هذا القسم، فقد تكلم من قبل عن ولائنا لله الذى تظهره بتقديم أجسادنا ذبيحة حية، والآن يتكلم عن ولائنا للروح القدس ولرفقائنا المسيحيين بممارسة المواهب التى قد أعطاها الله لنا لكى يستفيدوا منها أيضاً.

وشىء شيق نراه فى قول الرسول بولس بأن العمل يجب أن تحدده الموهبة الإلهية فيقول فى ٣:١٢ إننا يجب أن نرى أنفسنا ومواهبنا بحسب ما أعطانا الله قدر الإيمان، فالله يعطى لكل انسان مقداراً من الايمان، إنه لفكر هام وفاحص أن كل واحد قد أعطى موهبة (ارجع إلى أفسس ٧:٤) ولكن هذه الموهبة يجب أن تُستخدم، ويجب أن تستخدم بقدر ما أعطى لنا من الإيمان وعلينا أن نستخدم موهبتنا كما اخذناه كوكلاء على نعمة الله العظيمة. نحن نعلم أن الايمان بالسمع، والسمع بكلمة الله، ولكن يقال أن الإيمان أيضاً هو عطية الله (يو ٦:٤٠ ، ٤٧) فالله يعطينا نعمة من خلال كلمته، ولكنه يعطينا أيضاً نعمة لنؤمن بها.

سبب التواضع

يقول الرسول بولس فى رومية ٤:١٢ ، ٥ «فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض»، فإن التنوع فى المواهب التى يمنحها الله يشكل السبب الرئيسى ليكون المسيحى متواضعاً، فكما أن الكرمة لها اغصان كثيرة، والجسد له اعضاء كثيرة، كذلك الكنيسة مكونة من عدد كبير من الاعضاء، وكل منهم له موهبته، والتى قُصد بها أن تمارس فى مكانها الصحيح وبالصورة الصحيحة.

ويذكر الرسول بولس هنا نقطة هامة جداً، وهى أن الكنيسة كائن حى وليست مجرد منظمة، فبينما هى منظمة. هى كائن حى، وهذه الصورة من جسد باعضائه العديدين، إنما لتذكرنا بشدة بمكان وحدود كل فرد مسيحى، فالرسول بولس لا يتكلم فقط عن مكافى فى الجسد، ولكنه يتكلم أيضاً عن محدودياتى فى هذا الجسد، فعمل اليد محدد بحقيقة أنها يد، وعمل الأذن محدد بحقيقة أنها أذن. فلا تستطيع الأذن أن تقوم بعمل اليد، ولا اليد تستطيع أن تقوم بعمل الأذن، ولكن بالعمل معاً، بقيام كل عضو بواجبه، فإنها تبنى وتفيد وتمجد جسدى الطبيعى. ونفس هذا الأمر معك ومعى فى جسد المسيح، فأنا لا استطيع أن اقوم بواجبك أو بمسئوليتك،

الواجبات الإخوة

ويذكر الرسول بولس العديد من الواجبات التى ينطبق على كل فرد. أولها «موهبة المحبة» وسيناقش الرسول بولس هذه مرة أخرى فى رومية ١٣:٩-١٣، ومع أنه لا يناقش هذه الموهبة هنا، فيبدو أن الرسول بولس يعرف أن هذا واجب علينا من نحو الإخوة والعالم، إنها تساعدنا على تطبيق الخلاص الذى وهب لنا فى المسيح. ففى رومية ١٢:٩-١٠، يكتب الرسول بولس: «المحبة فلتكن بلا رياء، كونوا كارهين الشرب، فيتصقين بالخير، وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية مقدمين بعضكم بعضنا فى الكرامة. ذكرت المحبة فى الجزء الأول من آية ٩ يجب أن تكون المحبة مخلصه. يجب أن تكون بلا رياء. تمقت المحبة ما هو شرير وتلتصق بالخير ثم يتحدث بولس عن محبة الأخوة. يقول بولس «وادين بعضكم بعضاً...».. وداسة شخصية عظيمة لملاحظة كم مرة تستخدم عبارة «بعضكم بعضا» فى الكتاب المقدس لترى العلاقة العظيمة التى لنا ليس مع الرب يسوع فحسب بل مع «بعضنا البعض» يذكر الرسول فى هذه الايات أننا بحب أن نود الآخرين ونكرم الآخرين ونحيا فى انسجام مع الآخرين يجب أن ندرك أننا ننتمى للآخرين لان لنا علاقة فى الجسد، فيجب أن نكون محبين للإخوة وأن نفضلهم عن أنفسنا، والواجب الثانى هو موهبة الخدمة التى يجب أن أقدمها للإخوة، فيكتب الرسول بولس فى رومية ١٢:١١ غير متكاسلين فى الاجتهاد حارين فى الروح عابدين الرب. فيذكر ثلاثة أشياء فى هذه الآية بالنسبة لموهبة الخدمة.

أولاً: فيما يتعلق بخدمتى للآخرين يجب أن أكون مجتهداً غير مقاوم بنشاط.

ثانياً: يجب أن يكون موقفى موقف الحماسة.

ثالثاً: علىّ أن أكون مطيعاً حيث أننى أخدم الرب.

ثم يتكلم الرسول بولس عن موهبة الشركة. ففى رومية ١٢:١٢-١٤ يقول الرسول بولس «فرحين فى الرجاء، صابرين فى الضيق مواظبين على الصلاة. مشتركين فى احتياجات لاقديسين، عاكفين على اضافة الغرباء، باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تعلنوا». فالرسول بولس يقول إنه يجب علىّ أن أكون صبوراً مع الآخرين بسبب التعب والضيق والاضطهادات التى نتحملها معاً. علىّ أن أكون ثابتاً وقوياً ونحن نصلى معاً. علىّ أن أشترك فى احتياجات القديسين وأكون مضيفاً للغرباء، فهناك أمور من الولاء والاكرام والمحبة علىّ أن أقوم بها من نحو إخوتى وأخواتى فى المسيح.

هى الخدمة، فعليه أن يخدم، وإذا كانت موهبته هى التعليم، فعليه أن يعلم، وإذا كانت موهبته هى الوعظ والتشجيع، فليقم بالوعظ، فعندما يعرف الناس موهبتهم ويبدأون فى ممارستها، فإنهم ينصرفون تماماً إلى عملهم ويكتفون به، فيصبحون مدركين أن هذا هو ما عليهم أن يعملوه ويقول الرسول بولس إن هذا هو الشىء الصائب ليعملوه. وهكذا فمسئوليتنا هى أن نكتشف نوع موهبتا وننصرف إلى ممارستها.

ثم يذكر الرسول بولس موهبة العطاء وقد تبدو هذه موهبة غريبة، لأنها موهبة لا يهفو إليها الكثيرون، ويقول الرسول بولس على أية حال: «إذا كان العطاء لاحتياجات الآخرين، فليكن بسخاء» (رومية ١٢:٨ب) فعلى الشخص أن يأخذ ما يمتلكه ويستخدمه بطريقة سخية كريمة، وعيطيها بسخاء لخير المجتمع المسيحى.

ثم يناقش بولس الرسول موهبة القيادة، أو التدبير، وهو أمر لا تتعلمه بالتردد على حلقات دراسية، ولكنها موهبة تأتى من الله، والشخص المدبر يجب أن يدبر باخلاص واجتهاد، فعليه أن يتذكر الحاجة إلى عدم الانحياز، وللعدالة، ويجب ألا يكون كسولا بل يجب أن يجهد نفسه، يجب أن يجتهد فى قيادته، فالفكرة الكتابية عن القيادة أو التدبير هى فكرة المساعدة، والرفع والارشاد وأن يكون مثالاً لمن يقودهم.

ثم يذكر الرسول بولس «موهبة الرحمة» فإذا كان لأحد موهبة الرحمة فيجب أن يكون راحما بسرور، وكلمة «بسرور» ترجمعتها من اليونانية. تعنى «الفرح» أو «اللطف» فيجب على أولئك الاشخاص أن يكونوا رحماء يطريقة تبعث الفرح فى الآخرين فالشخص الراحم يتماثل يكون مشتاقاً وحلو الشمائل ليخفف أحمال الآخر ويجعلهه مستريحاً. ومثال طيب لهذا زيارة شخص لشخص آخر فى المستشفى، فالشخص الراحم يدخل إلى موقف كئيب، ولكن عند مغادرته، يترك وراءة شيئاً من الفرح، شيئاً من الرب يسوع، وشيئاً من النور فى وسط حالة مظلمة.

وادراكنا للموهبة التى لنا وعزمنا على ممارستها، يُشكل افضل الوسائل بتمجيد الله وبركة «الذين حولنا، فيلزمنا أن نكون فريقا من المؤمنين يعملون بالروح القدس الذى وهبنا هذه الموهبة، يجب أن نستخدم مواهبنا لبنيان رفقائنا المسيحيين، الذين تخدمهم وتفيدهم هذه المواهب.

ويكتب الرسول بولس فى ١٢:١٨ إن كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس، فالسلام هو ما انشده وهو ما نكرمه، وهو ما لنا مع الله. فيجب ألا نجد أنه من الصعب جداً أن نعيش فى سلام مع الآخرين.. على أية حال نلاحظ وصفين للحياة فى سلام: الأول هو : إن كان ممكنا، فسالموا. واحيانا لا يكون هذا ممكنا، ولكن تأكد من أنه إذا فشلت محاولات السلام، ألا يكون ذلك عن خطأ حدث منا، والوصف الثانى هو أن نجاهد لأجل السلام، والجهاد معناه أننا قد بذلنا الجهد من جانبنا، وسيبذل الشيطان جهده ليجعل السلام غير ممكن، فهو يريد أن ينتصر بأى ثمن. فهو على عكس الرب يسوع الذى كان يمكنه أن يكون محارباً منتصراً بدعوة آلاف الفرق من الملائكة لمساعدته. فالشيطان ليس هنا لصنع السلام، بل إنه يسعى للاتيان بالدينونة، ولكن حمل الله هو الذى يأتى بالسلام (أفسس ٢:١٤-١٨).

ويذكر الرسول بولس قولاً جميلاً فى رومية ١٢:١٩: «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الاحباء بل أعطوا مكاناً للغضب (غضب الله). لأنه مكتوب : «لى النقمة» أنا أجازى يقول الرب». وقد يبدو أن هذا قول غير عادى. من الرسول بولس، ولكن علينا أن ندرك الحقيقة وهى أننا إذا كنا ننتقم للشر فنحن نغتصب مكانة الله بعمل شىء ما قد قال إنه محتفظ به بغير استثناء. فعلينا ألا نقلق من جهة الانتقام للشر الذى قد حدث، فالله سيهتم بذلك، يمكننا أن نكره الشر ونلتصق بالخير، ولكن علينا ألا نحاول الانتقام للشر لكى يحدث الخير، فنتجه هذا نراها فى ١٢:٢٠ على عكس ذلك: «إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه» (ارجع إلى الأمثال ٢٥:٢١ ، ٢٢) فالرسول بولس يقول: إن علينا أن نقابل الشر بالخير وليس الشر بالشر.وما الذى يتم أو ينجز نتيجة لهذا؟ إنه يجعل الشخص الآخر يشعر بالأسف لأجل ما صدر منه نحوك. وأنت تقابل الشر بالخير لاننا نحب الذين فى العالم، ونريد أن نساعدهم على التخلص من الضيق الذى سببه الشر فى حياتهم.

فالفكرة كلها وراء ما يقوله الرسول بولس هى أننا يجب أن نغلب الشر، فيكتب فى ١٢:٢١ : «لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير» فالنار لا يمكن إطفاؤها بصب البترول عليها، ولكن هذا هو ما نفعله عندما نقابل الشر بالشر، فإننا بذلك نضيف وقوداً لنيران الشيطان، على أية حال. ولكننا نطفئ النار عندما نغلب الشر بفعل الخير، وكان الرب يسوع المثال الاعظم لما نناقشه هنا، فعندما كان بين ألد أعدائه، كان يُعلم أعظم دروسه رقة ولطفاً، فقد كان الرب يسوع يجول يصنع خيراً، وهذا ما قاله الرسول بطرس لكرنيليوس (أعمال ١٠:٣٨) وعندما جال يصنع

واجبات نحو جميع الناس

فى رومية ١٢:١٤–٢١ الآن إن حياة إيمانى مكشوفة للناس عامة. فالمسيحى الآن فى العالم بين الوثنيين، فكيف نتصرف حيث أننا قد تبررنا بالايمان وليست علينا دينونة؟ كيف يجب أن نتصرف من نحو أعدائنا؟ يكتب الرسول بولس فى عدد ١٤ «باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تعلنوا» فعلى أن أبارك عدوى لا أن ألعنه، وهذا من الصعب عمله، لأننا عندما نُلعن علينا الا نلعن، وعدنما نؤذى علينا أن نبارك ونصلى لأجل الذى يأذينا.

ونرى فى رومية ١٢:١٥ نرى كيف علينا أن نتصرف نحو عواطف وأحاسيس العالم، فيقول الرسول بولس: «فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين»، فإذا كان الناس يفرحون لسبب جيد، فعلينا أن نفرح معهم، وإذا كانوا فى فترة نوح، فعلينا أن ننوح معهم، وإذا كانوا يكسبون مالياً أو اجتماعياً أو سياسياً، فعلينا أن نفرح معهم، وإذا كانوا يخسرون فى بعض نواحى حياتهم، فعلينا أن ننوح ونبكى معهم.

وعندما تكون هناك اختلافات فى الرأى أم الموقف، فما الذى علينا أن نفعله؟ فى ١٢:١٦ نقرأ: «مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين، لا تكونوا حكماء عند أنفسكم» يجب أن أنزل الى حيث يوجد المتضعين، ومعنى هذا ألا احتقر أى انسان بل على أن احاول فهم موقفهم، قد لا يفهمون هذا ولكننى على نفس مستواهم، فأنا خاطئ مخلص بالنعمة، فأنا مثلهم تماماً، خاطئ هالك بأعمالى، فنحن جميعاً متساوون بحسب تقييم الله لنا فيجب ألا أكون مغروراً وأنا بين أناس العالم.

فعندما أكون فى دائرة العالم والأمور تجرى من حولى وعندما يقترب الشر نحوى والظروف كلها رديئة جداً، فكيف اتصرف؟ فى ١٢:١٧ يقول الرسول بولس: لا تجازوا أحداً عن شر بشر، «معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس». وهذا أمر يصعب عمله، فناموس موسى قال أن نقابل الأعمال الشريرة بمثلها .، فالناموس قال إن فقأت عين أحد فله الحق أن يفقأ عينك، وإذا قتلت أحداً فلابد أن تموت، فكان الموقف هو عين بعين وسن بسن، وحياة بحياة، وشر بشر، وخير بخير، ولكن الرسول بولس يقول: إننا تحت النعمة، وخلصنا بالنعمة، ولم تعد علينا دينونة لأننا لم نعد أبناء العالم، فوطننا الآن هو السماء، وبسبب ما أصبح لنا من امتيازات الآن بالنعمة، فلم يعد الأمر مجازاة الشر بشر، فيجب أن نحترس أن نعمل ما هو حق فى عين كل واحد، يجب أن نتأكد من عمل ما هو كريم حتى حسب مقاييس العالم.

خيراً، سحق رأس الحية إلى أن مات أخيراً الموت العجيب فقضى على قوة وسلطان الشيطان إلى الأبد، فعندما يُعمل بنا الشر، فعلينا ألا نرد الشر بالشر، بل علينا أن نصنع الخير، ويعلمنا الخير، لا نخدم الله فحسب، بل نبين محبتنا للعالم الذى خلقه الله نفسه، كما نُقلن للعالم، الخير السار خير إنجيل الرب يسوع المسيح، وبذلك نحضر للعالم سلام الله، فلنجاهد لنكون متواضعين، ليس للاخوة فقط، بل لكل العالم، ليعطك الله سلاماً بالايمان بالرب يسوع المسيح.

الفصل الثانى والعشرون

المسيحى والأمور المدنية

رومية ١٣ : ١ - ١٤

مراجعة ومقدمة

رأينا فى الفصل السابق الرسول بولس يقدم ٢٧ وصية للمسيحيين، ليقول لهم إن النعمة جعلتهم مسئولين عن إخواتهم والأفراد الذى قد يقابلونهم فى العالم، وبالطبع قد يثور السؤال عن كيف أن الخلاص بالنعمة بالإيمان يؤثر فى علاقة المسيحى بالحكومة فى الأمور المدنية، ولابد أن يصبح هذا موضوع اهتمام خاص عندما يحدث أن يكون الامبراطور شخصاً شريراً مثل نيرون، وكانت الامبراطورية الرومانية تجعل هدف سياستها اضطهاد كنيسة الله.

الطاعة

يقول الرسول بولس، فى تناوله لهذا الموضوع، إن علاقتنا بالحكومة يجب أن تكون علاقة الطاعة، يكتب فى ١٣:١-٧ «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله، حتى أن من يقاوم السلطان، يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة، فإن الحكام ليسوا خوفاً للاعمال الصالحة بل للشريرة، افتريد أن لا تخاف السلطان، افعل الصلاح فيكون لك مدح منه، لانه خادم الله للصلاح، ولكن إن فعلت الشر فخف، لذلك يلزم أن يُخضع له، ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير، فإنكم لاجلُ هذا توفون الجزية ايضاً، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه، فأعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام».

ولابد أن هذا يبدو غريباً من شخص قد أُضطهد فى مدينة رومية من نفس الناس الذين قيل لهم أن يخضعوا لهم، على أية حال يلزمنا أن نفهم أن هذا هو الأسلوب الوحيد المتاح لأولاد الله، إذا كان عليهم أن يكونوا مواطنين شرفاء ومطيعين. عندما تكلم الرسول بولس بأنه حر من الناموس لم يكن يتكلم عن أنه حر من الالتزام بالخضوع للناموس، بل كان يعنى ببساطة أننا أحرار من الناموس كنظام سنُدان به أبدياً.. فالناموس ينظم حياتنا بينما نحن هنا على الأرض، ولكننا لن نحاكم به عندما نقف أمام الله.

الواجب نحو الذين فى السلطة

يقول الرسول بولس إن كل واحد يجب أن يخضع للسلطات الحاكمة، فالطاعة مطلوبة هنا، ليس فى إخضاع نفسى لمطالب القانون بل أيضاً لحماية حماة القانون وحكمهم. والسبب فى هذا نراه فى الجزء الأخير من الأية الأولى، تذكر ما قاله الرب يسوع لبيلاطس، عندما سأله

أبيض

التبرير

يُرى تبرير الطاعة للسلطات فى ١٣:٣ ، ٤، فالرسول بولس يناقش موضوع التحرر من الخوف من الحكومة فإذا أردت أن أتحرر من الخوف، فعلى أن أفعل ما هو حق وصواب لأن رئيس الحكومة خادم الله لعمل الصلاح، فإذا فعلت خطأ، فيكون ثمة سبب عندى للخوف لأن الحاكم لا يحمل السيف عبثاً، فهو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر. وهذا أمر خطير جداً، فالحاكم هو خادم لله للصلاح وللدينونة، فإذا فعلت الصلاح فسيكافئك ويحميك، أما إذا فعلت شراً فسيدينك ويوقع بك القصاص، ولديه موافقة الله على فعل ذلك.

الروح

ونرى روح الطاعة فى كلمات الرسول بولس بأنه من الضرورى الخضوع للسلطات ليس فقط بسبب احتمال العقاب بل أيضاً من أجل الضمير، فهناك ثلاثة أسباب علينا أن نطيع لأجلها:

أولاً: هو أن السلطات الحاكمة هى من الله نفسه.

ثانياً: احتمال ايقاع العقاب فى حالة كسر القانون، ومكافاءة لطاعته.

ثالثاً: نحن نطيع القانون والسلطات الحاكمة ليكون لنا ضمير طاهر. فأنا ملِك لله وليس للحكومة، ولكن حيث أن الحكومة مقامة من الله، فهى مقامة لخيرى وفائدتى، فلم يكن القصد منها إطلاقاً أن تضر بالانسان، بل بالحرى كان القصد منها خير الانسان، فبسبب علاقتى بالله وعلاقتى بكلمته، وعلاقتى باخوتى وأخواتى فى المسيح وعلاقتى بخلاصى أنا، فضميرى يستوجب أن أطيع قانون السلطات الحاكمة.

مثال: الضرائب والدعوة للطاعة

فى رومية ٦:١٣ يتناول الرسول بولس موضوع دفع الضرائب.. فلماذا ندفع ضرائب؟ إننا ندفع الضرائب حتى تتمكن السلطات التى هى خادمة لله فى حكم الأمة، أن يكون لها مواردها فالضرائب تستخدم فى معاونة السلطات والقوى المدنية ونحن ندفع تلك الضرائب كجزء من دعوتنا للطاعة. فهذه الدعوة للطاعة تشمل أربعة أنواع من الضرائب: ضرائب شخصية، ضرائب الصادرات والواردات، وضرائب الدخل. ثم ينتقل الرسول بولس إلى نقطة ما هو ضرورى حقاً. إذا كنت مديناً بالإحترام، فعليك أن تحترم، والاحترام معناه التوقير والخشية

بيلاطس: أما تكلمنى؟ «ألست تعلم أن لى سلطاناً أن اصلبك وسلطانا أن أطلقك؟» (يومنا ١٩:١٠) فأجابه الرب يسوع على ذلك السؤال بالقول: «لم يكن لك علىّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق» (يوحنا ١٩:١١) وفى دانيال ٤:١٧ ، يذكر دانيال إن الله هو الذى يقيم الملوك ويخلعهم، فالله يفعل ما يشاء، وليس من يستطيع أن يمنع يده أو يسأله عما يفعل.

وفى سفر دانيال، افتخر الملك نبوخذنصر بالمدينة العظيمة التى قدبناها، افتخر بحدائقها الرائعة التى كانت بها وافتخر بقوته العظيمة، ولأنه لم يعط الله المجد لأجل كل ما سمح له بالقيام به، جعله الله أن يذهب إلى الحقول ويزحف على يديه وركبه مثل الثور ويأكل العشب، وقد فعل ذلك إلى أن صار شعره كريش الطيور، وأظفاره كمخالب الطير. وبعد مدة من الزمن، رجع نبوخذنصر إلى عقله وقال: «أنا بنوخذنصر رفعت عينى إلى السماء فرجع إلىّ عقلى وباركت العلىّ وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد الذى سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور، وحُسبت جميع سكان الأرض كلا شىء وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل؟» (دانيال ٤:٣٤ ، ٣٥).

السبب

إن السلطات الحاكمة معينة من الله. والذين فى السلطة قد لا يكون عليهم أن يتعلموا الدرس الذى كان على نبوخذنصر أن يتعلمه، ولكنهم يقدرون أن يتعلموا الدرس بسلوكنا، بأن نكون مواطنين صالحين، وبطاعتنا واحترامنا للحكومة.

النكران

رفض الطاعة والاحترام للحكومة يعنى رفض الله والتمرد عليه، فالذى يتمرد على السلطة أو الحكومة التى قد عينها الله فالذى يتمرد على السلطة إنما يتمرد ضد ما أمر به الله. والذين يفعلون ذلك يجلبون دينونة على زنفسهم. على أية حال، إذا قالت لى الحكومة أن أفعل شيئاً يخالف ويتعدى على ناموس الله، فعلىّ أن أطيع الله أكثر من الحكومة (اعمال ٥:٢٩). ولا يشير هذا إلى القوانين التى لا أحبها، تلك القوانين التى تكون عادة غير مريحة لى أو تزعجنى بعض الشىء، ومع ذلك فليس لى الحق فى عصيانها. ليس لى الحق فى التمرد. والسبب ليس لأن القانون حق أو خطأ، بل لأن الله قد أعطى سلطات الأمة أن تحكم حسب مشيئة الله وبطريقته، فإذا أساءوا، فالله سيدينهم، ولكن مازال واجبى هو الخضوع.

المحبة هى خلاصة الوصايا

الأمر الثانى هو أن المحبة لا تتمم الناموس فحسب، بل هى تحفظ الوصايا. إنها لا تحفظ الوصايا تماماً، ولكنها تحفظها بطريق المحبة، ويقول لنا الرسول بولس أن ننظر إلى كل الوصايا، وبدون النظر إلى الوصايا الأخرى الكثيرة، فإنها جميعها يمكن تلخيصها فى قاعدة واحدة: «تحب قريبك كنفسك»، فإذا حُفظت هذه الوصية فقد حفظت كل الوصايا وهذا بالضبط ما قاله الرب يسوع عندما سئل يامعلم ما هى الوصية العظمى فى الناموس؟ فقد أجاب الرب يسوع تحب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك وبكل فكرك هذه هى الوصية «الأولى والعظمى» (متى ٢٢:٣٦–٣٨). فكل الناموس وأقوال الأنبياء تتعلق بهذه الكلمة الوحيدة: «المحبة».

والمحبة كلمة من الصعب تعريفها، ومن الصعب ادراك مداها. فهى تؤثر على مشاعرنا، ولكنها ليست شعوراً لأننا مأمورون بأن نحب، ولا يمكنك أن تأمر الناس كيف يشعرون. فهم يشعرون بالطريقة التى يشعرون بها بسبب ظروفهم، وحسب فكرهم، ووضعهم، فالمحبة تلجأ الى قدرة الإنسان على فعل الاشياء، فالمحبة هى الطلب النشيط للخير للآخرين، فهى تريد الخير للآخرين، وتبين الخير فى حياتك الذى لابد أن تنتظرها من الآخرين.

المحبة تبارك الآخرين

المحبة تحفظ الوصايا لأن الوصايا قد أعطيت لمنفعة الآخرين، فالعدد العاشر يقول لى إن المحبة لا تتمم الناموس فقط، وتحفظ الوصايا فحسب، ولكنه يقول لى إن المحبة تبارك قريبى، وأنا أحب استخدام كلمة «فالمحبة» فى هذا العدد، فالمحبة لا تصنع شراً للقريب، فالمحبة هى تكميل الناموس» ولماذا المحبة هى تكميل الناموس؟ لأنها تبارك القريب. ففى أى وقت أصنع أى شر جسدى أو عقلى أو مالى أو روحى من أى نوع لانسان رفيقى، فإننى لا أتصرف بمحبة، ولست اتمم الناموس، ولا أتجاوب مع الخلاص الذى قد أعطانيه الله فى المسيح.

وفى مثل السامرى الصالح (لوقا ١٠:٣٠–٣٧) يسمى السامرى «سامريا مسافراً» على أيه حال فى كل مرة نتكلم فى هذا المثل، فإننا نسميه السامرى الصالح، لماذا؟ لأنه كان محباً، لقد تمم الناموس، وحفظ الوصايا، وبارك قريبة، فالرجل الذى ضرب وجرح وترك بين حى وميت، قد مر عليه الكاهن واللاوى، وكلاهما كانا يعتبران متدينين، وقد تأثرا بما رأياه ولكنهما أسرعا فى طريقهما، بينما السامرى من الجانب الآخر لم يكن يعبد بالطريقة الصحيحة وفى المكان الصحيح، ولكنه عند مر بالرجل المصاب، نزل إليه وطهر جروحه وأركبه على دابته، وأخذه الى

وإذا كنت مديناً بالاكرام، فعليك بالاكرام. فاكرامك للبعض معناه أن تضعهم موضع الاعتبار الكبير، وعلاقتنا بالله تتطلب منا أن تكون لنا علاقة خاضعة ومطيعة للحكومة. والتزامات علاقتنا بالحكومة هى أن ندفع ونصلى ونطيع.

المحبة تفى وتتسم بكل الواجب

وبين الرسول بولس أن المحبة تفى بكل الواجبات التى علينا للحكومة المدينة، فإذا كان تهديد ضميرنا بالعقاب، وعلاقتنا التى يقصد أن تكون لنا من نحو الله، غير كافية، فالمحبة ستتمم كل الواجبات. وفى رومية ١٣:٨-١٠ نرى الرسول بولس يضيف العلاقة بين المحبة والقانون المدنى، فيكتب: «لا تكونوا مديونين لأحد بشىء إلا بأن يحب بعضكم بعضا، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس. لأن لا تزن، لا تقتل، لا تسرق.. لا تشته، وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هى تكميل الناموس».

المحبة تكمل الناموس

ويختتم الرسول بولس بالعبارة التى بدأ بها: «المحبة هى تكميل الناموس» وما تلزمنا رؤيته هنا هو أنه ليست المحبة هى التى تحفظ الناموس تماماً، وليست المحبة التى هى تمنحنا القوة أو أن الله يمنحنا القوة لحفظ الناموس بالتمام، على أية حال متى كانت لدى محبة، فقد أكملت الهدف من الناموس، من الرائع أن الله أعطى الناموس لكى توجد المحبة. فعندما يحب الناس فإنهم يتممون قصد الله من إعطاء الناموس للانسان، فعند أحب الانسان رفيقى، فإننى أفعل تماماً ما فعله الله. فالله قد بيّن محبته نحونا جميعاً، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رومية ٥:٨) لقد مات المسيح من أجل الضعيف والخاطئ والفاجر. فالمحبة هى التى جعلته يفعل ذلك. وقد أكملت الهدف من الناموس وصنعت خلاصاً للناس. فعندما أحب أخى أخى محبة عميقة وأرعى أخى، فإننى أكون قد أكملت الناموس بكل طريقة أرادها الله، إنما أشكر الله لأن الرب يسوع قد أكمل الهدف من الناموس من خلال محبته لنا لكنى ممنون أيضاً إذا فشل فى اكمال قصد الناموس من خلال نقص محبتى. فمحبة الله مازالت فى قلبى بالروح القدس الذى قد أعطانيه الله.

ويقدم الرسول بولس تحريضاً هاماً فى آية ١١ كما يقدم تفسيراً واضحاً لماذا يجب أن نستيقظ من نومنا، لأن «خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا» هناك توقع مجيد على وشك الحدوث قد تناهى الليل وتقارب النهار، ويعقد الرسول بولس مقارنة بين النهار والليل. فينتظر منا أن نتخلى عن المعيشة كأننا فى ظلام، لأننا عوضاً عن ذلك علينا أن نعيش كما فى النهار، فقد قال الرب يسوع بنفسه: «وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة، لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله» (يوم ٣:١٩ ، ٢٠).

يقول الرسول بولس إن النهار أوشك أن يحل، وهو يشير إلى الرب يسوع هنا. لأن الرب يسوع هو «كوكب الصبح» كما يعلن سفر الرؤيا (رؤيا ٢٢:١٦). فالرب يسوع هو «النهار» كما يقول الرسول بطرس «إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم» (٢بطرس ١:١٩) إنه نور العالم كما وصف الرب يسوع نفسه فى يوحنا ٨:١٢.

تحريض عملى

يحرض الرسول بولس أهل رومية أن يحيوا حياتهم كما لو أنهم على مرأى على الدوام من جميع الناس فى وقت النهار، فيجب ان يكون سلوكهم لائقاً فلا ينغمسوا فى الشهوات، «لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، ويقول الرسول بولس إنهم يجب أن يلبسوا أسلحة النور، وفى هذه الحالة السلاح هو الرب يسوع المسيح. ويصف الرسول بولس هذا السلاح بالتفصيل فى أفسس ٦:١٠ – ١٧ فهناك الايمان والبر واستعداد انجيل السلام، والخلاص وسيف الروح. فكل هذه الأشياء هى سلاح الله. وهنا بكلمات الرسول بولس فى رومية ١٣:١٢ ، ١٣ السلاح هو الرب يسوع. وعلىّ أن ألبس سلاح الله الكامل علىّ أن أسلك بصورة تدل على أن كل تصرفاتى ملحوظة، علىّ أن ألبس الرب يسوع المسيح.

علىّ أن أتجنب اشباع طبيعة الجسد الشريرة. وبعض الكلمات التى استخدمها الرسول بولس لا يفهمها غالبية الناس الآن، كلمات مثل البطر، والسكر، والمضاجع والعهر، ولكن الرسول بولس يذكر عبارة تقول إن ما علىّ أن أفعله هو علىّ العكس تماماً من هذه الأشياء، على أن أراجع كل حياتى وأن ألبس الرب يسوع المسيح، فلبس الرب يسوع كثوب هو أمر ايجابى تماماً فى حياتى، وعكس ذلك هو أن أكفر فى إشباع الجسد.

فندق وأستأجر له حجرة وقال لصاحب الفندق أن يعتنى به إلى أن يرجع، وإذا أنفق أكثر فعند رجوعه سيوفيه. لقد رهن مستقبله لأجل شخص لا يعرفه هذه هى الطريقة التى يجب أن نحب بها قريبنا، ليس بالكلام فقط بل بالأعمال ايضاً، هذه هى مسئوليتى من نحو الحكومة المدنية، وقوانينها، علىّ أن أحب.

الحبة تدفع دنينا للآخرين

مع أنه يجب ألا نكون مديونين بشىء لأى شخص آخر. ففى نفس الوقت هناك دين علينا لقريبنا يجب أن يُسدد بالكامل والدين الذى يتكلم عنه الرسول بولس هنا هو دين روحى. فما يعنيه الرسول بولس هو ألا تكون مديناً روحياً، فهو لا يتلكم عن دينا طبيعياً ماليا، بل لا تكون مديناً لأى إنسان بأى شىء روحياً، فهذا دين لا يمكن سداداه بالتمام ولا بعمل المحبة المستمر من محبة الواحد للآخر، هذا هو الدين الروحى الوحيد الذين ادين به لأى انسان، فيجب أن لا أكون مديناً لأى إنسان لكى اخضع له، بل أنا مدين له بخضوع المحبة فقط، ولأننى أحبة فإننى اسعى دائماً لخيره.

وكيف ينطبق هذا على السلطات المدنية؟ علينا أن نخضع للسلطات الحاكمة، فندفع ما علينا من ضرائب ونصلى لاجهلم ونظهر محبتنا لهم بخضوعنا لهم، وباظهار محبتنا لهم، نتجنب أى ضرر يكفى علينا، وفى ١كورنثوس ١٣ يناقش الرسول بولس خصائص المحبة، فيتكلم عن كل الاشياء التى نعتبرها عظيمة، ولكنه فى النهاية يقول أن كل هذه الاشياء تعتبر نفاية إن لم تكن متضمنة، وهو يذكر كل ما تنطوى عليه المحبة، ولكنه يختم بالقول: إنه بين الأمور الثلاثة العظيمة الإيمان والرجاء والمحبة، فإن اعظمهن المحبة.

الدافع والقوة للاستمرار

إذا كان على أن اطيع حكومة شريرة، مثل الحكومة الرومانية، وأحب عبدة الأوثان الذين اعيش بينهم فى مدينتى، فيجب أن يكون لدى دافع قوى سأكون فى حاجة إلى قوة حقيقية معطاة لى من الله، وهذا ما يناقشه بولس فى ١٣:١١-١٤ إذ يكتب، «هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا، قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال اللمة، ونلبس أسلحة النور. لينسلك بلياقة كما فى النهار، لا بابطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا الرب يسوع، ولا تصنعوا، تدبيراً للجسد لأجل الشهوات».

خاتمة

وبالتأمل فى هذه الاعداد، نرى ثلاث طرق بسيطة لنتذكر كيف ينبغى أن نعيش فى العالم:

أولاً: علينا أن نستيقظ من نومنا.

ثانياً: علينا أن نطهر حياتنا. وعلينا أن نخلع أعمال العالم (الظلمة) ونلبس أسلحة النور (النهار).

ثالثاً: يقول الرسول بولس: علينا أن ننمو، علينا أن نلبس الرب يسوع ونكف عن التفكير فى أننا نستطيع أن نشبع شهوات الجسد.

الشخص المسيحى النامى هو من نراه يلبس الرب يسوع كثوب، وأكثر من ذلك هو من لا يفكر كطفل فيما بعد، فهو لا يكفر فيما يشبع شهواته فحسب، ولكن عوضاً عن ذلك يفكر فى كيف يمكنه أن يخدم أخاه، يخدم الانسان رفيقة ويخدم الأمة التى يعيش بينهاً. إننا نحب الأمة التى وُلدنا فيها، ولذلك يلزمنا أن نعيش فيها كمواطنين لله، يلزمنا أن نعيش فيها كما كان الرب يسوع يعيش فيها. لا نريد أن نكون ذلك الرجل الذى يعنيه الشاعر بقوله: هناك إنسان بهذه الصورة، إنه ميت لم يقل لنفسه أبداً هذا وطنى، هذه بلادى وأرضى»، لى سلام فى الرب يسوع، لى سلام فى الكنيسة، لذلك لى سلام فى الأمة التى أعيش فيها، ليت الرب يمنحك بركة الاستمتاع بهذا السلام بالإيمان بالرب يسوع المسيح.

الفصل الثالث والعشرون

محبة الإخوة

رومية ١٤ : ١ - ١٥ : ١٣

المقدمة

يتناول هذا الفصل رومية ١٤:١ – ١٥:١٣ التى تعالج علاقتنا بالأخ الأضعف. ولا تقول الآخ الضعيف بل بالحرى الآخ «الأضعف»، لأنه بسبب خلاصنا وإدراكنا لتحررنا من الناموس، كيف نتعامل مع أولئك الذين لم يصلوا لنفس ذلك الادراك ولكنهم مازالوا إخوة لنا فى المسيح؟

إقبلوا أحدكم الآخر

دعوة للقوى

يبدأ الرسول بولس هذا القسم بدعوة للقوى لكى لا يدين أو يجرب الشخص الضعيف، فيكتب فى رومية ١٤:١ «ومن هو ضعيف فى الايمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار» يقول الرسول بولس إن علىّ أن أقبل الأخ الاضعف، فليس علىّ أن أجادله عن أفكاره، أو قرارته بخصوص شكوكه أو مجادلاته أو اختلافه فى الرأى معى.. وسيوضح الرسول بولس ذلك بأمثلة فى ١٤:٢ – ٤ بالمقارنة بين شخصين وبين كيف يتم التوفيق عندما توجد الاختلافات. فيكتب : «واحد يؤمن أن يأكل كل شىء، وأما الضعيف فيأكل بقولاً. لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل، ولا يدن ما لا يأكل من يأكل» لأن الله قبله. من أنت الذى تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته».

والاختلاف بين الرجلين هو حول أكل اللحم الذى ذُبح للأصنام، فأى لحم كان يُشترى من السوق فى أى مدينة وثنية فى القرن الأول، الأرجح أنه كان مقدماً للأوثان، وبعض الاخوة، الأضعف – وصلوا إلى حد أن قرروا ألا يأكلوا أى لحو م بالمرة لأنهم كانوا يخشون أن تكون هذه اللحوم قد ذبحت لوثن، أما الأخ الأقوى فكان يعرف أن الوثن ليس إلها، فكان يمكنه أن يأكل اللحم بدون أن يُعثر ضميره، أما الأخ الأضعف – من الناحية الأخرى – فكان يؤمن أن هناك إلهاً متضمناً، ولذلك فهو لا يستطيع أن يأكل اللحم دون أن يشعر أنه قد أعثر ضميره.

والحل هو أن الأخ الأقوى كان عليه ألا يتمسك بذلك ضد الأخ الأضعف، لأنه لا يريد أن يأكل، وعلى الأخ الأضعب ألا يدين الأخ الأقوى لأكله – اللحم. لماذا؟ لأن الله قد قبلهما هما الأثنين. والله قادر أن يجعلهما هما الأثنين يثبتان، فكيف يجرؤ أحدهما على ألا يقبل الآخر! لو كنت أنا، الأخ الأضعف، أنظر إلى الأخ الأقوى، فليس لى أن أتساءل: كيف يمكنه أن يفعل شيئاً ما يعثرنى، وليس لى أن أتساءل عن كيف يقبله الله أيضاً. وإذا كنت أنا الأخ الأقوى، فيجب علىّ أن أقبل الأخ الاضعف دون أن أجادلة، بل علىّ أن أحيا أمامه وأعمله طريق المسيح، ولكن ليس لى أن أرفضه.

أبيض

ونحن نقف أمام كرسى دينونة الله الآن، وليس فقط فى يوم الدينونة. فنحن علينا أن نقف أمام دينونة الله وليس دينونة أحدنا الآخر. فلا بهم فى التحليل الأخير سواء كنت أنا الأخ الأضعف أو الأخ الأقوى، فمازلت أخاً، فإذا كنت الأخ الأقوى فعلىّ ألا أحتقر الأخ الأضعف، وإذا كنت الأخ الأضعف فعلىّ ألا أدين الأخ الأقوى علىّ ما يفعله.

إن الموقف الصحيح هو الخوف المقدس، فالرسول بولس قال إننى سأقف أمام كرسى دينونة الله وسأعترف له، فسأكون فى محضر الله إلى الأبد، وبهذا الخوف المقدس أعرف ضعفى، لايهم مدى ما صرت عليه من قوة فى المسيح، عندما اقف فى محضر الله بفكرى وأرى الله يفحصنى، يحدث خوف مقدس، يجعلنى أرى ضعفى، ربما أرى نفسى كما ينبغى علىّ أن اراها، كأضعف الاخوة أو أول الخطاة.

ونجد فى العدد ١٢ العبارة الخطيرة هى أن «كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله» عن أعمالنا، وليس عن أعمال الآخرين، كل واحد منا سيعطى حساباً عن نفسه أمام الله، وليس هذا بالضرورة فى يوم الدينونة الذى يتكلم عنه الرسول بولس هنا، ولكن إننا فى كل يوم مسئولون أمام الله عن أعمالنا.

فى ١٣:١٤ – ١٨ يذكر الرسول بولس عبارة جميلة «لنبن أحدنا الآخر» عن عدم وضع مصدمة أو معثرة للأخ:

> «فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل الحرى أحكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة، فكشخص فى الرب يسوع المسيح، إننى متيقن أن ليس شىء (طعام) نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس.. فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تُهلك بطعامك (أخاك) ذلك الذى مات المسيح لأجله. فلا يُفترى على صلاحكم لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس. لأن من خدم المسيح فى هذه فهو مرضى عند الله ومزكى عن الناس».

لا تحزن الأخ الأضعف

التحريض الأول من الرسول بولس موجود فى الآية الثالثة عشر: فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً، بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للآخ مصدمة أو معثرة. وفى هذا التحريض ثلاثة أمور: نكف عن المحاكمة. ويجب أن أعزم ألا اضع أى عقبة فى طريق أخى، وألا أدين أخى،

والاختلاف الثانى وعلاجه نراه فى ١٤:٥ حيث يكتب الرسول بولس: «واحد يعتبر يوما دون يوم، وآخر يعتبر كل يوم، فليتيقن كل واحد فى عقله. الذى يهتم باليوم فللرب يهتم، والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم» والقضية هنا هى أن شخصاً يقول إن بعض الأيام أقدس من غيرها، بينما يقول آخر إن كل يوم خلقه الله فكلها واحد، قد تكون علينا واجبات فى يوم معين ليست علينا فى يوم آخر، ولكن رغم ذلك فإن كل يوم هو يوم مقدس.

والحل هو أنه من الخطأ المجادلة حول هذه القضية ومحاولة إقناع الآخرين بأنهم مخطئون، فهذه القضية عرضية، وهى مجرد اختلاف فى الرأى، ففى إمكان الاثنين أن يذهبا إلى السماء سواء كان يؤمن أن يوماً أقدس من يوم آخر أو أن كل الأيام سواء، والحل هو أن يتيقن كل واحد فى عقله، فمهما كان ما تؤمن به فى هذا الموضوع فتمسك به، واقتنع به، وليكن مقدساً عندك. فهناك وجهة نظر صائبة فى فعل أى شىء وكل شىء نفعله سواء كان إلزامياً أو كان اختيارياً، فنقرأ فى ١٤:٦ «الذى يهتم باليوم فللرب يهتم.. ومن يأكل لحماً فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله. فالرأى الصائب هو عمل كل شىء ونظرك مركز على الرب، فكل شىء يجب أن يُعمل فى ضوء هذا الفكر العظيم: إننى أفعل هذا للرب. فهذه هى خدمتى لله.

إن السبب الأساسى فى عمل كل هذا نجده فى ١٤ :٧ – ٩ إذ يكتب الرسول بولس:

> «لأن ليس أحد منا يعيش لذاته، ولا أحد يموت لذاته، لأننا إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن. لأنه لهذا مات المسيح وقام عاش لكى يسود على الأحياء والأموات».

وهذا هو نفس الاعتراف المذكور فى الأصحاح العاشر الذى يقود الانسان إلى الخلاص، فسيادة وربوبيه المسيح هى أمر أساسى فى أصدار كل القرارات، حتى فى قرار كيف أقبل الأخ الأضعف، أو إذا كنت أنا الأخ الأضعف، فكيف أقبل الاخ الأقوى.

نتائج عدم قبول الآخ

يوبخ الرسول بولس قُراءه لفشلهم فى قبول الأخ الأضعف أو الأخ الأقوى:

> «أما أنت فلماذا تدين أخاك، أو أنت أيضاً لماذا تزدرى بأخيك؟ لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح، لأنه مكتوب: أنا حى يقول الرب، إنه لى ستجثو كل ركبة، وكل لسان سيحمد الله، فإذا كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله» (رومية ١٤:١٠ – ١٢)

لا تدمر عمل الله فى الأخ الأضعف

يكتب الرسول بولس فى ١٤:١٩ – ٢٣ فلنعكف إذا على ما هو للسلام، وما هو للبنيان بعضنا لبعض. لا تنقض لأجل الطعام عمل الله. كل الأشياء (الأطعمة) طاهرة، لكنه شر للإنسان الذى يأكل بعثرة (يعرثا أحداً آخر) حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف. ألك إيمان فليكن لك بنفسك أمام الله، طوبى لمن لا يدين نفسه فى ما يستحسنه. وأما الذى يرتاب فإن أكل يُدان لأن ذلك ليس من الايمان، وكل ما ليس من الايمان فهو خطية».

وفى آية ١٣ يقول الرسول بولس للقارئ أن يعزم فى فكره ألا يضع مصدمة أو معثرة فى طريق أخيه، بل يقول الرسول بولس له إن يبذل كل جهد لعمل ما يؤدى للسلام والبنيان للطرفين. فلا تهدم عمل الله بسبب الطعام. فكل طعام طاهر، ولكن من الخطأ لأى إنسان أن يأكل شيئاً يجعل أحداً آخر أن يعثر. من اللزم أن تتأكد أنه لا ينبغى لك أن تأكل اللحم لمجرد أنه قد خلق لك لتأكله.

وهنا نجد شيئين لازمين:

أولاً: أن نسعى للسلام وبنيان أحدنا الآخر على أن اعسى أن يمتلك أخى الأضعف السلام الذى أملكه أنا، مما يؤدى إلى بنياننا نحن الإثنين. وهذا يطابق ما أارداه الرسول بولس فى الاصحاح الأول من الرسولة إلى رومية. لقد أراد أن يأتى إلى رومية لكى يمكن بنيان إيمانه وإيمان أهل رومية. ألا يكون أمراً عظيماً أن يقول الأخ الأضعف للأخ الأقوى كيف تقوى إيمانه فى المسيح؟ هذا ما لابد أن يأتى بالسلام بدلاً من الجدل حول شكوكه، وأفكاره مما يولد مشاعر رديئة بين الشخصين.

ثانياً: هو ألا تدمر الأخ الأضعف بسبب ما تريده أنت وترغب فيه باعتبارك الأخ الاقوى. فالأخ الأقوى يعلم جيداً أن هناك بعض الاخوة الضعفاء يمكن أن يدمرهم إذا أثقل كاهلهم بالطلبات وأنا لا أجرؤ على تدمير الأخ الأضعف بممارسة حقى فى عمل شىء عندما لا أكون مضطراً لعمله.

وثمة امتياز بسيط جداً مذكور فى آية ٢١، وهذا الامتياز كأخ أقوى، هو ألا أفعل شيئاً يسبب عثرة للأخ الأضعف. فعلى أن اتخلى عن أى حق من حقوقى، فالشىء الوحيد الذى يجب أن أعمله وسأعمله هو أن أكرم الرب يسوع وأخدمه. فحتى إذا كان من حقى أن أمارس كل أفكارى وحقوقى، فسأرفض أن أفعل ذلك. وهذا أمتياز عظيم أن نتذكره فى الآيتين ٢٢ و ٢٣

وألا أدعه يسقط. لا أريد أن اعيق أو أبطئ نموه الروحى، وأنا أشعر وأتصرف هكذا بسبب محبتى له.. أريده أن ينمو. فإذا نما ببطء أو بسرعة فهذا أمر طيب. فالشىء الوحيد الذى يسرنى هو أن يعيش الله هذا الأخ مثلى تماماً وهذا يعنى أن الله ينميه. فلا خطية فى كونة ضعيفاً، ولا فخر فى كونه قوياً.

وفى آية ١٤ يذكر الرسول بولس توكيداً رهيباً، فيقول إنه يعلم وييقن إنه ليس شىء نجساً، فلا طعام نجس، وهذا بالضبط هو ما تعلمه الرسول بطرس وهو على السطح فى أعمال الرسل ١٠ عندما رأى الملاءة العظيمة نازلة من السماء وفيها كل دواب الأرض والرب يقول له: «قم يابطرس، اذبح وكل. فقال بطرس: «كلا يارب لأنى لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً» (أعمال ١٠:١٣ ، ١٤)، **فقال الرب لبطرس:** «ما طهره الله لا تدنسه أنت» (أعمال ١٠:١٥) فالآخ القوى يعلم أنه ليس شىء نجساً يعلم أن الرب قد خلق كل شىء، وأنه يجب أن يُتناول مع الشكر.

ويحرض الرسول بولس فى ١٤:١٥ القارئ ألا يُهلك أخاه «لا تهلك بطعامك أخاك الذى مات المسيح لأجله» بممارسة قوتك عليه. فأنت لك الحق أن تأكل طعامك، ولكن لك الحق أيضاً ألا تأكل هذا الطعام، فلك الحق أن تتنازل عن حقك ويمتد هذا الحق لكلا القوى والضعيف، ولكن الأخ الضعيف لا يستطيع أن يفعل ذلك، لأن له ضميراً ضعيفاً. والضمير الضعيف عادة يتحكم فيه الناموس وليس الايمان والنعمة والاخ القوى يعلم هذا. ويجب لذلك أن يكون قادراً أن يتخلى عن حقوقه لكى لا يهلك بسببه الأخ الأضعف.

ويقول الرسول بولس: لا تضيع تأثيرك بما تفعله، لا يفترى على صلاحك. وكأنه شر. لماذا نوجد كأخوة أقوى فى جماعة أو فى شركة مع الناس؟ أليس لكى نساعد الضعيف لكى يقوى ويبلغ؟ ولن يحدث هذا إذا كان بما يفعل، نجعل الضعيف يتخلف عنا كثيراً، فيضعف تأثيرنا، وهذا هو السبب فى أن علينا ألا نعيش بطريقة تبدو للآخرين شريرة.

ونجد الموقف الصحيح فى العددين ١٧ ، ١٨ «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً فسواء أكلنا لحما أو لم نأكل وسواء شربنا أو لم نشرب فلا قيمة لذلك فيما يختص بالملكوت. فالشىء الهام بالنسبة للملكوت، هو أن نمارس البر وننشر السلام والفرح، فأى شخص يخدم المسيح بهذه الطريقة. يُسر الله ويرضى الانسان رفيقه.

التماس عاجل

يحرض الرسول بولس فى رومية ٥:١٥ ، ٦ أهل رومية على أن يتمموا ناموس المسيح ليتمجد الله، ولكى يحدث هذا، فإن الله سيعطى التشجيع وقوة الاحتمال لعمل ذلك، فالله يعطى تشجيعاً فى الوحدة، والله يعطى هذه الروح بيننا عندما نتبع الرب يسوع المسيح، وهذا معناه أننا نتبع الرب يسوع فى احتمال أحمال اخوتنا الأضعف: فهذا هو ما يعطى المجد الله.

التطبيق

يقول الرسول بولس فى رومية ٧:١٥ «لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله» وهذه الآية تنطبق على اليهود والأمم على حد سواء (٨:١٥) ، فيقول إن علينا أن يقبل أحدنا الآخر، كما قبلنا المسيح، فقد صار المسيح خادماً للختان حتى يثبت الوعد الذى أعطى لابراهيم، بأن فى نسله ستتبارك جميع قبائل الأرض، ولكى يمكّن الأمم أن يمجدوا الله لأجل الرحمة التى أسبقها عليهم.

الرسول بولس يستمد التأييد لقوله من العهد القديم

ففى ٩:١٥ – ١٢ يكتب الرسول بولس:

«وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب: من أجل ذلك سأحمدك فى الأمم وارتل لاسمك»

ويقول أيضاً: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه»، وايضاً «سبحوا الرب يا جميع الأمم وامدحوه يا جميع الشعوب» . وأيضاً يقول إشعياء: «سيكون أهل يسى والقائم ليسود على الامم عليه سيكون رجاء الأمم» ويقتبس الرسول بولس من مزمور ٤٩:١٨، والتثنية ٤٣:٣٢، إشعياء ١٠:١١ ليبين أن الأمم سيحمدون الله ويعطونه المجد.

ويذكر الرسول بولس لماذا أراد أن يكتب هذه الرسالة للمؤمنين فى رومية، فيقول فى رومية ١٣:١٥ «ليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام فى الإيمان لتزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس». فهو يريدهم أن يتقووا بشدة فى الانسان الباطن، ويريد أن يكون لهم فرح وسلام ورجاء وقوة، وكل ذلك بروح الله القدوس.

للأخ الأقوى. إذا كنت تؤمن أنه من الحق أن تأكل لحما، كما أنك تعلم أن كل الأيام سواء، فاحتفظ بهذا الايمان لنفسك، فلا حاجة بك أن تجول متحدثاً بذلك. ولا يلزمك أن تكرز به أو تعلم به. لأن ذلك سيسبب انقساماً وغيرة وشقاقاً فى جسد المسيح. فأصمت عما تؤمن به فى هذه الأمور. فبالنسبة للأخ الأضعف قال الرسول بولس ألا تشوش على إيمانهم. وقال طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه، ولكن إذا لم يكن يؤمن بما يفعله، فعليه ألا يفعله، والأخ الأضعف هو الآخ الذى يشك فى هذه الأفعال، فلا تنتهك إيمانك بل افعل ما يقوله ضميرك أن تفعله وأحب الأخ الأقوى.

ليرضى كل واحد الآخر مثلما فعل الرب يسوع

يكتب الرسول بولس فى ١٥:١ «يجب علينا نحن الأقوياء أن تحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا. فيقال للأقوياء أن يحتلموا ضعفات الضعفاء. فلا ينبغى أن يحاول الأقوياء إرضاء انفسهم، ولتأكيد ذلك يشجع الرسول بولس قارئيه فى ١٥:٢ «فليرضى كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان، فعندما أرى الأخ الأضعف وأرى ضعفه ونقائصه وعدم نضجه، فماذا علىّ أن أفعل؟ علىّ أن أحاول ارضاءه لأن ذلك يبنيه روحياً.

وهناك صفتان لارضاء هذا الأخ الأضعف: (١) أن يكون لخيره. (٢) أن يكون لبنيانة، فعلىّ كالأخ الأقوى أن أسعى لارضاء وخير الأخ الأضعف، فيكتب الرسول بولس فى ١٥:٣ «لأن المسيح أيضاً لم يرضِ نفسه». بل كما هو مكتوب: تعييرات معيريك وقعت علىّ. «فالمسيح لم يرضِ نفسه» وقد ذكر الرسول بولس ذلك فى فيلبى ٢:٥ – ٨ حيث يكتب أن يسوع لم يحسب نفسه معادلاً كله بل أخلى نفسه أخذاً صورة عبد. فلم يكن يهمه أن يرضى نفسه بل كان سروره أن يرضى آخرين.

ويقتبس بولس الرسول من المزمور ٦٩:٩ب ليؤيد ما سبق أن قاله.. «تعييرات معيريك وقعت علىّ» فقد احتمل الرب يسوع تعييرات الأخوة الاضعف، ويلزمنا أن نفعل نفس الشىء، الآن.. يتحدث الرسول بولس عن الوحى. بأن كل ما فى العهد القديم يشير إلى هذه النقطة (رومية ١٥:٤) فكل قديسى العهد القديم كانوا مثل الرب يسوع فى هذا الأمر، فقد احتملوا ضعفات الاخوة الأضعف بينهم، فإبراهيم احتمل ضعفات لوط، وداود احتمل ضعفات يوناثان، وهكذا تموا ناموس المسيح.

خاتمة

الأخ الأقوى مسئول أن يحمل أثقال الأخ الأضعف، والله عليه أن يمنح الأخ الأقوى القوة للقيام بذلك، كما أنه مسئول أن يعمل فى ذلك ليمنح الفرح والسلام والرجاء فى قلوب الأخ القوى والأخ الضعيف على حد سواء، وكل ما بقى بعد ذلك هو خاتمة بولس العظيمة فى تحيته وحمده وتحذيره لأهل رومية، ليمنحكم الرب سلاماً بالايمان بالرب يسوع.

الفصل الرابع والعشرون

الرسول بولس والاخوة

رومية ١٥ : ١٤ - ١٦ : ٢٧

مقدمة

هذا هو الفصل الختامى فى دراستنا للرسالة إلى أهل رومية. ففى الاصحاح الخامس عشر يتكلم الرسول بولس عن المسيحى كعامل، وفى الأصحاح السادس عشر يرسل لهم بعض التحيات الختامية.

المسيحى كعامل

فكرو موقف العامل

يُرى اهتمام الرسول بولس بالعامل المسيحى فى رومية ١:١٥ – ٤. فهو يهتم بمساعدة الأخ الأضعف على النمو لدرجة النضج فى المسيح ونرى فكر ذلك العامل فى ٥:١٥ – ٦. حيث ينصحهم الرسول بولس أن يكونوا بفكر واحد بعضهم مع بعض. نرى موقف ذلك العامل فى ٧:١٥ – ١٢ فى أن عليه أن يقبل الأخرين كما قبلهم المسيح.

أدوات العامل

يكتب الرسول بولس فى رومية ١٣:١٥ – ١٦ «ليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام فى الايمان تزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس، وأنا نفسى متيقن من جهتكم يا إخوتى أنكم أنتم مشحونون صلاحاً، ومملوؤون كل علم، قادرون أن ينذر بعضكم بعضا. ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله، حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولا مقدساً بالروح القدس».

والأدوات التى يذكرها الرسول بولس هنا تمكنهم من أن يقوموا بعمل الله، ويقول الرسول بولس فى آية ١٣ ليكون لهم فرح وسلام وثقة ورجاد، وفى آية ١٤ يقول إنهم مشحونون صلاحاً ومعرفة ولهذا السبب يقول عنهم إنهم قادرون أن يعلم أحدهم الآخر: فهم قادرون أن ينذر أحدهم الآخر فى طرق الله الصالحة والدائمة.

كفاية العامل

يكتب الرسول بولس فى (رومية ١٧:١٥ – ٢١):

أبيض

مديونون أن يقدموا هذه المساعدة عندما يكتب «أنهم استحسنوا (الامم) ذلك وإنهم لهم مديونون (لليهود) لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا فى روحايتهم، يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً.

ويقول الرسول بولس للأمم إنهم مديونون لليهود روحيا، ولذلك عليهم أن يمدوا اليهود باحتياجاتهم الجسدية. إنها مشاركة متساوية، فهناك مشاركة متبادلة فى ما ينصح به الرسول بولس ويعلمه. وقد جاء اليهود بالانجيل للأمم، والآن والأمم فقد اصبحوا مخلصين، ومبررين ومقدسين وممجدين فى الرب يسوع، واليهود فى حاجة إلى اعواز جسدية يجب أن تُملا فالقديسون اليهود فى اورشليم وبينهم بعض الفقراء، يستخدم الرسول بولس هذه الفرصة ليربط اليهود والأمم معاً ليصبحوا جميعاً مدينين بعضهم لبعض. لقد شارك اليهود ببركاتهم الروحية، والآن سيشارك الأمم ببركاتهم الجسدية.

والكل يتوقف على الله

يكتب الرسول بولس فى رومية ١٥:٢٨ ، ٢٩:

«فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر، فأمضيت ماراً بكم إلى أسبانيا، وأنا أعلم أنى إذا جئت إليكم سأجئ فى ملء بركة إنجيل المسيح».

يقول الرسول بولس إنه تحت عناية الله، وكذلك المؤمنون فى رومية تحت عناية الله، ولكن الرسول بولس واثق من أنه بعد أن يذهب إلى أورشليم ويتأكد من أن القديسين اليهود قد استلموا العطية المرسلة من القديسين الأمم، لن يكون هناك ما يمنعه من الذهاب إلى رومية فى طريقه إلى أسبانيا.

ولا نعلم ما إذا كان الرسول بولس قد ذهب إلى أسبانيا أو لم يزر أهل رومية وكما يثبت لم يقدم أهل رومية لمعاونته لأن بولس قُبض عليه وهو فى أورشليم وأحضر الى رومية على حساب الحكومة، ودفعت له الحكومة ايجار المسكن الذى أقام فيه هناك كما أطعمته وجعلت عليه حراسة لضمان عدم أذيته، لقد نجح الرسول بولس فى زيارته للإخوة فى رومية.

صلاة العامل

يكتب الرسول بولس فى (رومية ١٥:٣٠ – ٣٢):

«فلى افتخار فى المسيح يسوع من جهة ما لله، لأنى لا أجسر أن أتكلم عن شىء مما لم يفعله المسيح بواسطتى لأجل اطاعة الأمم بالقول والفعل، بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله، حتى إنى من أورشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح، ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا، ليس حيث سُمِّى المسيح لئلا أبنى على أساس لأخر، بل كما هو مكتوب: الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون».

يقول الرسول بولس إنه وأهل رومية فيهم الكفاية لأن المسيح يعمل فيهم. وقد سبق أن قال لهم ثلاثة أوصاف لخدمته، لقد قال إنه خادم للمسيح عليه واجب كهنوتى أن ينادى بانجيل المسيح. وهكذا الأمر معنا الآن. فنحن خدام للمسيح، ونخدم فى هيكل الله، وننادى بكلمة الله، كان هذا أهم عمل للكاهن. كان الكاهن يقوم بالذبائح فى أوانها، ولكن كان أهم عمل يومى له هو أن يكون بين الشعب يعلمهم عن الله، فيقول الرسول بولس للاخوة فى رومية إنهم مؤهلون بدرجة كافية للقيام بذلك بسبب ما سمعوه ورأوه فيه.

مواصفات العامل

يتكلم الرسول بولس فى رومية ١٥:٢٢ – ٢٣ عن نفسه فيكتب:

«لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة عن المجئ إليكم. وأما الآن، فإذ ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم، ولى اشتياق إلى المجئ إليكم منذ سنين كثيرة، فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم. لأنى أرجو أن أراكم فى مرورى وتشيعونى إلى هناك إن تملأت أولاً منكم جزئياً».

قال الرسول بولس إنه كانت هناك أشياء حادثة قد منعته من الاتيان إلى رومية بسرعة، ولكن حيث إن هذه الأمور قد تممها، فإنه علم أن ارادة الله له هى أن يواصل عمله، وهذا سيأخذه أخيراً إلى أسبانيا. ويبدو أنه لم يُكرز بالمسيح هناك. وفى طريقه لأسبانيا قصد أن يزور الاخوة فى رومية، وبعد أن يمكث معهم مدة طويلة، سيحظى بمعاونتهم، ولا يطلب الرسول بولس معاونتهم، ولكنه يفترض أنهم سيعاونونه.

ويكتب الرسول بولس فى ١٥:٢٥ ، ٢٦ عن شعوره باحتياجات الفقراء. «ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين. لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين فى أورشيليم»، وقبل مجيئة إلى رومية، هناك على أية حال شىء آخر يجب عمله، فباعتباره رسولاً للأمم، فهو مدين روحياً لليهود، وسيأخذ للقديسين فى أورشليم المعونة التى يرسلها إليهم هؤلاء الاخوة من الأمم، ويقول الرسول بولس فى ١٥:٢٧ إن الأمم

فيبى خادمة الكنيسة فى كنخريا، وكلمة «خادمة» هنا هى الكلمة اليونانية لكلمة «شماس»، كان يجب إعتبارها كخادمة عند الكنيسة فى رومية، ولم يذكر لماذا هى ذاهبة إلى رومية، يمكن أن تكون ذاهبة إلى هناك لشغل باعتبارها امرأة ثرية، ومهما كان سبب سفرها إلى رومية، فإن الرسول بولس يقول إنها قادرة على مساعدة كثيرين بسبب ثروتها، وكان الرسول بولس نفسه أحدهم، لذلك فالرسول بولس يطلب منهم أن يقوموا لها بأمرين: **أولاً**: أن يقبلوها، أن يحبوها ويرحبوا بها، اقبلوها، حيوها لأنها فى المسيح ولانها قديسة عظيمة وخادمة. **ثانياً**: قدموا لها أية مساعدة قد تحتاج اليها لأنها قد كانت مساعدة لكثيرين من الناس.

وكلمة «مساعدة» هى الكلمة التى جاءت منها الكلمة الانكليزية «باترون» أى «نصير» و«الباترون» هو الذى كان يوفر كل ما هو لازم، والذى يراقب كل حادث وكل ظرف ويتأكد من أنه لا ينقصهم شىء، هذا هو ما كانت تفعله فيبى، لقد كانت متأكدة بأنه لا يعوزهم شىء حتى يمكن إتمام العمل المطلوب.

أصدقاء يبعث لهم بالتحية

فى رومية ٣:١٦ – ١٦ يرسل الرسول بولس تحياته لثمانية وعشرين شخصاً، منهم بعض العائلات بكاملها ممن عرفهم فى رومية. كان أولئك الناس أشخاصاً عرفهم الرسول بولس وقابلهم فى أماكن أخرى قد أدوا له بعض الخدمات أو خدموا معه ويبدأ فى (٣:١٦ – ٤) بالقول: «سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع، اللذين وضعا عنقيها من أجل حياتى اللذين لست أنا وحدى اشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم». فما كان أعظم هذين الاثنين، ونتقابل معهما فى مناسبات كثيرة فى سفر الاعمال، كانا صانعى خيام مثل الرسول بولس وقد عمل معهما الرسول بولس فى مدينة كورنثوس، لقد تلمذ احدهما الآخر، واصبحا أقوى لارتباطهما معاً، أما متى أو كيف وضعا عنيقيهما لأجل الرسول بولس، غير معروف ولكن كنائس الأمم شكرت الله لانه لو لم يكن هذان الشخصان موجودين، فمن المحتمل جداً أن الرسول بولس كان قد مات.

ويكتب الرسول بولس فى (٥:١٦) «وعلى الكنيسة التى فى بيتهما» ففى داخل مدينة رومية كان هناك العديد من الجماعات الصغيرة، وكذلك اجتماعات أكبر، فكانت مجموعة فى بيت بريسكلا وأكيلا، ثم يقول الرسول بولس: «سلموا على أبينتوس حبيبى الذى هو باكورة أخائية للمسيح». كان هذا هو أول شخص تجدد على يد بولس فى آسيا، والآن اصبح فى رومية يكرز بالإنجيل.

«فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى فى الصلوات من أجلى إلى الله لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية، ولكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين، حتى أجئ إليكم بفرح بإرادة الله وأستريح معكم».

افلرسول بولس يعتمد على الصلاة، صلاته وصلواتهم، فالرسول بولس يريدهم أن يتحدوا معه فى الصلاة لأجل خدمته. يريدهم أن يتشفعوا حتى يصل إلى رومية بسلام، ويقول فى ٣١:١٥ إن يصلوا **أولاً:** أن ينقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية، و**ثانياً:** أن تكون خدمته فى أورشليم مقبولة عند القديسين، و**ثالثاً:** سيفعل مشيئة الله، فمهما كانت مشيئة الله لبولس، فإن مسرة بولس أن يتمم هذه المشيئة، فالرسول بولس يطلب من الاخوة فى رومية أن يصلوا لأجله، فيمكن أن ينجر بالصلاة أكثر مما يتم بأى شىء آخر يحتاج أن يعمله لأننا عندما نعتمد على الصلاة، فإننا نعتمد على ما يستطيع الله أن يعمله، وذلك هو كل ما يلزم عمله، قال الرسول بولس فى ٣٢:١٥ حتى أجئ إليكم بفرح بإرادة الله» أى عندما رأى الاخوة فى رومية أراد أن ينتعش. لعل الرسول بولس كان يعرف أن حياته على وشك الانتهاء، فهو قريب من الوقت الذى فيه سيسكب سكيباً كذبيحة لله (٢تيموثاوس ٦:٤ – ٨) ولهذا السبب، يريد أن ينتعش برؤية ثمر تعبه فى مكان لم يذهب إليه مطلقاً، هناك فرح للرسول بولس فى معرفة أنه عندما يذهب ليكون مع المسيح، وهو أفضل جداً (إرجع إلى فيلبى ٢٢:١ – ٢٦) سيستمر عمله فى تلك المدينة الكبيرة مدينة رومية الوثنية.

موقف العامل من السلام

يكتب الرسول بولس فى ٣٣:١٥ «إله السلام معكم أجمعين .. آمين» فالرسول بولس يريد أن يكون لهم جميعاً سلام الله وأن يختبروه.. فهل هناك شىء أكثر يستطيع الإنسان أن يطلبه للآخرين؟».

ختام الرسالة إلى رومية

وفى رومية ١:١٦ ، ٢ يوصى الرسول بولس بأخت فى المسيح: «أوصى إليكم باختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا، كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً».

«أطلب إليكم أيها الاخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذى تعلمتوه واعرضوا عنهم. لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء، لأن طاعتكم ذاعت الى الجميع، فأفرح أنا بكم وأريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر، وإله السلام سيسحق الشيطان تحت ارجلكم سريعاً، نعمة ربنا يسوع المسيح معكم (آمين).

يلزمنا أن نفهم أن الانضباط لازم ضد أولئك المعلمين الكذبة، والرسول بولس يذكر اعداءه ويقول ثلاثة أشياء هامة خصوصهم،

أولاً: انتبهوا اليهم لاحظوهم واعرفوهم، وراقبوهم.

ثانياً: أن يعرضوا عنهم، لا تكن لكم صلة بهم. لا تشاركوهم، والاسباب لهذا بسيطة، إنهم لا يخدمون الله، ويخدعون الابرياء.

ثالثاً: أن يظلوا مطيعين. فالجميع قد سمعوا عن طاهتهم، وقد فرح الرسول بولس جداً أن يذكر طاعتهم، ولكنه يشعر ايضاً بأنه يجب أن يذكرهم بهؤلاء الناس (إرجع الى رؤيا ١:٢ – ٧ وما يذكر به الرب يسوع الكنيسة فى أفسس) والرسول بولس سعيد جداً بأن يسمع بإيمان أهل رومية، ولكن لكى يستمر الرسول بولس فرحا بهم، كان عليهم أن يلاحظوا الذين كانوا صالحين، وأبرياء ويجهلون الشر، وأن يتأكدوا من طرد المعلمين الكذبة، فإذا لم تحدث هذه الأمور فإن فرح الرسول بولس لا يكمل.

العاملون مع بولس

يرسل الرسول بولس فى رومية ٢١:١٦ – ٢٤ تحياته إلى الإخوة، فيكتب.

«يسلم عليكم تيموثاوس العامل معى، ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائى.. أنا ترتيوس كانت هذه الرسالة أسلم عليكم فى الرب، يسلم عليكم غايس مُضيفى ومضيف الكنيسة كلها يسلم عليكم إراستس خازن المدينة، وكوارتس الأخ».

من المشجع أن نرى الرسول بولس محاطاً باناس صالحين يعاونونه فى عمله، وهذا يفسر لنا شيئاً من النجاح الذى حظى به، فتيموثاوس دائماً معه، كما يذكر الرسول بولس ثلاثة أقرباء آخرين له، والذى كان يسجل له رسائله ترتيوس يذكر اسمه ايضاً مع شخصية هامة جداً اسمه إراستيس الذى كان أحد الموظفين الهامين فى المدينة، ثم يذكر شخص اسمه كوارتس، كل هؤلاء الاخوة ارسلوا تحياتهم إلى الكنيسة فى رومية.

ويكتب فى ١٦:٦ ، ٧ سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً (لأجلكم كثيرا) سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا فى المسيح قبلى»، و«يالهما من اثنين» لقد كانا فى السجن مع بولس، وكانا مشهوران بين الرسل، وكانا يؤمنان بالمسيح قبل أن يؤمن الرسول بولس فلم يكن بولس أول أفراد أسرته فى الإيمان بالمسيح ويصبح مسيحياً، فنرى هنا بعض أقربائه الذين كانوا مسيحيين قبل أن يصير هو مسيحياً.

ويقول الرسول بولس فى ١٦:٨ – ١٣ «سلموا على أمبلياس حبيبى فى الرب.. سلموا على أوربا نوس العامل معنا فى المسيح، وعلى إستاخيس حبيبى، – سلموا على أبلس المزكى فى المسيح، سلموا على الذين هم من أهل ارستو بولوس، سلموا على هيروديون نسيبى، سلموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكائنين فى الرب.. سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب، سلموا على برسيس المحبوبة التى تقبت كثيراً فى الرب سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى أمه أمى.

لم تكن هذه أم بولس بل هى أم بروفس، ولكنها كانت بمثابة أم للرسول بولس وقتما يكون قريباً منها.

ويكتب الرسول بولس فى ١٦:١٤ – ١٦ «سلموا على أسينكريتس فليفون، هرماس، بتروباس وهرميس وعلى الاخوة الذين معهم». وهنا نجد كنيسة فى بيت اسرة، ويواصل الرسول حديثة: «سلموا على فيلو لوغس وجوليا ونيريوس واخته واولمباس وعلى جميع القديسين الذين معهم»، وهنا كنيسة اخرى فى بيت اسرة، ثم يقول الرسول بولس: «سلموا بعضكم على بعض بقبله مقدسة، كنائس المسيح تسلم عليكم» نقول الرسول بولس لكل هؤلاء الاشخاص أن يسلموا بعضهم على البعض، فالرسول بولس يعرف أناساً كثيرين فى رومية، وهو يفكر فيهم جميعاً، فهناك ثمانى نساء، بل تسعة بما فيهم فيبى وخمسة أهل بيب فى المسيح، مع خمسة كنائس عائلية، ويذكر الرسول بولس أسماء ثلاثة من اقربائه، وقبل أن ينتهى الأصحاح يكون الرسول بولس قد أرسل تحياته إلى ٣٨ شخصاً مختلفاً أو على الأقل ذكر اسماءهم وهؤلاء هم إخوته فى المسيح. فهم أحباؤه.

كما يذكر أعداء ايضاً، وهؤلاء يجب تجنبهم.

من سوء الحظ أنه كان على الرسول بولس أن يذكر بعض أعدائه مع تحذير ففى (١٦: ١٧ – ٢٠) يكتب الرسول بولس.

الرسول بولس يحمد الله

وينشد الرسول بولس ترنيمة حمد أخرى لأجل انجيل الله، وهو إكرام لله، فيكتب الرسول بولس فى (١٦:٢٥ – ٢٧):

«وللقادرأن يثبتكم حسب انجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب أعلان السر الذى كان مكتوما فى الازمنة الازلية، ولكن ظهر الان وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإلة الأزلى لاطاعة الايمان لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد الى الأبد».

ان السر الذى لم يعلن فى العهد القديم قد أعلن الان لكل الأمم. ما جعل السر معروفا امران. **أولاً:** اتمام النبوات التى قد قيلت، **ثانياً:** الكرازة بالانجيل، قال بولس أن كل ما قد وعد به الرب قد تم لقد جاء ابن الله، الخلاص الآن موجود الهدف من كل هذا أن يؤمن العالم ويطيع. طاعة الايمان هى لله الوحيد الحكيم بالتسبيح، والاكرام بيسوع المسيح المستحق كل المجد.

الخاتمة

ما نتيجة كل ما درسنا؟

«لأنى لست استحى بانجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن اليهودى أولاً ثم اليونانى. لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان (أى بالايمان من الأول للآخر) كما هو مكتوب: أما البار فبالإيمان يحيا» (رومية ١:١٦ ، ١٧).

فقد حقق الله فى إبنه أمراً ودفع ثمناً كافياً لخلاصنا، فهو يقبل ثقتنا فيه واتكالنا عليه وتسليمنا له ولتجاوب كاف لبذله الرب يسوع المسيح، وبسبب تجاوبنا يأتى لحياتنا بالسلام، والانسجام والفرح والنصرة، ووضعا غير قابل للانفصال حيث يقول:

«فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة اخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا» (رومية ٨:٣٨ ، ٣٩).

وهذا يجعلنى أقدم لله كل ما أنا، وكل ما لى، وكل ما سأكونه على الدوام، فكل ما سيكون لى هو له. فاستخدمه يارب، استخدمه لمجدك، استخدمه لخلاص الناس الهالكين، استخدمه لبناء كنيستك، استخدمه لجمع شمل شعبك، استخدمه لتوبيخ كل الشهوات الشريرة فى الناس الاشرار فى كل العالم ولكن ايها الآب فوق كل شىء لك المجد ولك الكرامة لك التسبيح، إلى أبد الأبدين الى كل الأجيال، وهذا هو السبب فى أن لنا سلام بالإيمان بربنا يسوع المسيح.